جامعة النَّجاح الوطنيَّة
كليَّة الدّراسات العليا

الكوارث الطبيعية والأوبئة وأثرها في فلسطين (1247-1336هـ/1831-1918م)

إعداد
عمار أحمد علي رمضان

إشراف
د. محمد الخطيب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2023

الكوارث الطبيعية والأوبئة وأثرها في فلسطين
(1247-1336هـ/1831-1918م)

إعداد

عمار أحمد علي رمضان

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2023/09/07م، وأجيزت:

د. محمد الخطيب	التوقيع
المشرف الرئيسي	
د. عبد الجبار خليلية	التوقيع
الممتحن الخارجي	
د. عدنان ملحم	التوقيع
الممتحن الداخلي	

الإهداء

إلى أبي وأمي..... فلولاهما لما وُجِدتُ في هذه الحياة.

ومنهما تعلَّمت الصمود وحبّ الحياة، مهما كانت الصعوبات.

إلى زوجتي... رفيقة الكفاح والظروف الصعبة، التي لم تبخل بوقت أو جهد لمساعدتي.

إلى فلذات كبدي... يوسف وعائشة وابراهيم.

إلى جميع أخوتي وأهلي والأقارب والأصدقاء.

إلى روح المربية الفاضلة آمنة رمضان...

إليهم جميعاً أُهدي باكورة عملي المتواضع.

عمار

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى مشرفي الدكتور محمد الخطيب؛ لتشجيعه ودعمه المتواصل واللامحدود، وصبره الكبير والمميز طوال مدّة مسيرتي البحثية، فقد منحني من جُهده ووقته الكثير.

وأتقدّمُ بخالص الشكر والامتنان لكوكبة العلماء الذين تلقيت على أيديهم العلم، ومنهم: الدكتور أمين أبو بكر، والدكتور عامر القبج، والدكتور عدنان ملحم؛ لما بذلوه من جهد ودعم خلال مسيرتي الدراسية.

والشكر والتقدير موصول إلى جميع العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، وأخصُّ بالذكر المرحوم الأستاذ فايز سلوم (أبو مازن)، والأستاذ عبد الله نصر (أبو محمد) والجندي المجهول عادل الظاهر؛ لما قدموه لي من مساعدة في إعداد هذه الرسالة.

الإقرار

أنا الموقع أدناهُ مقدَّم الرسالة التي تحملُ عنوان:

الكوارث الطبيعية والأوبئة وأثرها في فلسطين (1247-1336هـ/1831-1918م) دراسة تاريخية

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة اليه حيثما ورد، وأن هذه الرســـالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علميٍ أو بحثيّ لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالبة: **محمد أحمد علي رمضان**

التوقيع:

التاريخ: **2023/09/07**

فهرس المحتويات

الإهداء ..... ج

الشكر والتقدير ..... د

الإقرار ..... هـ

فهرس المحتويات ..... و

فهرس الجداول ..... ح

فهرس الخرائط ..... ط

فهرس الملاحق ..... ي

الملخص ..... ك

المقدمة 1

الفصل التمهيدي: دراسة في المصادر 3

الفصل الأول: الزلازل في فلسطين 12

تعريفها 12

التوزيع الجغرافي 13

أشهر الزلازل 15

تأثيرها على الحياة الاجتماعيّة والعمرانية 18

الموقفُ الرسميّ والمحليُّ 29

الفصل الثاني: الأمراض والأوبئة في فلسطين 35

الأمراض وتأثيرها على الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة 35

دور السلطة الحاكمة في مواجهة الأمراض 59

دور البلديات 70

بناء المستشفيات 80

الفصل الثالث: الكوارث المناخية 86

مناخ فلسطين وعناصره 86

الآثار الاقتصاديّة 94
الآثار الاجتماعيّة 104
الموقف الرسميّ والشعبي 114
الخاتمة 121
المختصرات والرموز 122
قائمة المصادر والمراجع 124
الملاحق 137
Abstract ..... b

فهرس الجداول

جدول (1): قريرُ الحكومة المصرية حول خسائر زلزال عام (1252هـ/1837م) 142

جدول (2): حجم الخسائر البشرية موزعة بين سكان مسلمين ويهود ورعايا أجانب..... 20

جدول (3): عددُ الوفيات بالكوليرا في عدد من مناطق قضاء عكا قياساً بعدد السكان سنة (1282هـ/1865م) 52

جدول (4): عدد وفيات الكوليرا في فلسطين عام (1282هـ/1865م) 52

جدول (5): توسط معدل سقوط الأمطار في بعض المدن الفلسطينيّة في بداية القرن العشرين..... 88

جدول (6): التقسيمات الإدارية التي كانت تنشرها الدولة العثمانيّة للواء عكا 105

جدول (7): التقسيمات الإدارية لسنة (1303هـ/1885م)..... 105

فهرس الخرائط

خريطة (1): خارطة فلسطين توضح مناطق توزيع الزلازل..... 34

فهرس الملاحق

ملحق (أ): قش على مدخل كرنتينا الخليل 137

ملحق (ب): عدد الزلازل التي وقعت فترة الدراسة والأماكن التي وقعت فيها مع تأثيرها 138

ملحق (ج): اسم الوباء وتاريخ تفشّيه والمنطقة التي تفشى فيها مع عدد الخسائر 139

ملحق (د): الكوارث المناخية ومناطق وسنوات حدوثها 141

ملحق (هـ): الجداول 142

الكوارث الطبيعية والأوبئة وأثرها في فلسطين
(1247-1336هـ/1831-1918م)

إعداد

عمار أحمد علي رمضان

إشراف

د. محمد الخطيب

الملخص

تُسلَّط هذه الدراسة الضَّوء على الكوارث الطبيعيّة والأوبئة وأثرها في فلسطين خلال الفترة الممتدة ما بين عامي (1247-1336هـ/1831-1918م)، والتي تم استخلاص معظم مادتها التاريخية من مدونات المؤرخين الذين عاصروا معظم احداثها والمتمثلة بالكتب التاريخية والرحالة، بالإضافة إلى اعتمادها على الصحف والجرائد التي كانت تصدر اعدادها في فترة الدراسة، وبعض المراجع العربية والاجنبية المترجمة ذات الصلة بالموضوع.

إذ تهدفُ الدراسة إلى التعرف على أنواع الكوارث الطبيعية التي عصفت بفلسطين خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، وتوضيح الآثار التى ترتبت عليها ومدى تأثيرها في مختلف نواحي الحياة. إذ شهدت منطقة بلاد الشام بشكل عامٍّ، وفلسطين بشكل خاصَّ حدوث أنواع من الكوارث الطبيعية كالزلازل، السيول والفيضانات، والعواصف المطرية، الثلوج، القحط، الجفاف، الارتفاع الحاد، أو الأنخفاض في درجات الحرارة، بالإضافة إلى تفشيّ الأوبئة والطواعين.

حيثُ أسهمت الكوارث في وقوع الخسائر البشرية وعدم استقرار الأوضاع السياسية، وتهدمُّ عدد كبير من المنشآت العمرانية، وكذلك تراجع الأحوال الاقتصاديّة.

المقدمة

شهدت فلسطين خلال الفترة الواقعة ما بين عاميّ (1247–1336هـ / 1831–1918م) حدوث عددٍ من الكوارث، تمثلت بالزلازل وانتشار الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى الآثار السلبية المترتبة على سقوط الأمطار الغزيرة، والثلوج، انحباس الأمطار، القحط، الجفاف وارتفاع درجات الحرارة بشكل غير مألوف أو انخفاضها دون الحد الطبيعي، ما تسبب في زعزعة الاستقرار البشري، وتراجع الأوضاع الزراعية، والاقتصاديّة، وما نجم عن ذلك من انعدام الأمن، وعدم الاستقرار للأوضاع السياسيّة في المنطقة، وترك حدوث بعضها آثاراً بالغةً في تدمير كثير من المنشآت العمرانية، وتخريبها وتعزيز نظام الاقطاع.

وفي سبيل التعرّف على هذه الكوارث وآثارها من النواحي الاجتماعيّة والاقتصاديّة والزراعيّة، والموقف الرسميّ المتمثل بالدولة، أو الشعبي –السكان–، فقد تم اختيار حقبة زمنية تمتد لتسعة عقود تقريباً، ابتداء من فترة الحكم المصري لبلاد الشام بشكل عام، وفلسطين بشكل خاص عام (1247هـ/1831م) حتى نهاية حكم الدولة العثمانيّة عام (1337هـ/1918م)، وقد حملت الدراسة عنوان " الكوارث الطبيعية والأوبئة وآثرها في فلسطين (1247–1336هـ/1831–1918م) " وذلك بالاعتماد على المصادر الأولية، وفي مقدمتها الكتب العربية، والأجنبية المترجمة، والصحف والجرائد. وتكمن أهمية هذه الدراسة بأنها الأولى التي غطّت الزمان والمكان.

جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول وفصل تمهيدي، تخللها مجموعة من الجداول، فقد خُصص الفصل التمهيدي لدراسة أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها، بينما عرض الفصل الأول الكوارث الطبيعية المتعلقة بالزلازل، فوضحت الدراسة أهم الزلازل التي حدثت بفلسطين، ومناطق حدوثها، وانتشارها، وآثرها في الحياة العمرانية والاجتماعيّة، وموقف الدولة من هذه الزلازل، ووضحت أهم الإجراءات التي قامت بها للحد منها من خلال إعادة إعمار ما تهدّم جراء هذه الزلازل.

في حين كرّس الفصل الثاني، للحديث عن الكوارث المتعلقة بالأوبئة، والأمراض مثل:الطاعون، والكوليرا، والملاريا، والتيفوس وغيرها، فتناول سبب انتشار هذه الأوبئة، وطرق انتشارها، وحالات الإصابة بها، وأثرها على المواطن الفلسطيني من الناحية الاجتماعيّة، بالإضافة إلى الدّور الرسميّ والشعبيّ في مواجهة الأمراض، وطرق علاجها، الذي تمثّل في معظم الأحيان، بإنشاء المستشفيات، واتخاذ الإجراءات الوقائية لتفادي تكرار وقوع الأوبئة والحد منها.

وأشار الفصل الثالث إلى الكوارث المناخية: ومنها الأمطار الغزيرة، الثلوج، البرد، الرياح، العواصف، المد والجزر الناتج عن حركة البحر، القحط، الجفاف والصواعق وأثرها على الجانب الاجتماعي والاقتصادي، ودورها في تكوين الملكيات الكبيرة، وتناول دور الدولة في الحدّ من آثارها على السكان.

الفصل التمهيدي

دراسة في المصادر

أولاً: المصادر

تكشف لنا المصادر جوانب متعددةٍ من الحياة اليومية للسكان في فلسطين، تتمثل في الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. وفيما يتعلق بهذه الدراسة فقد اعتمدت على عدد منها خاصة التي عاصر مؤلفها الأحداث التاريخية، ومنها:

1. تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، (القس أسعد منصور)

وُلد (منصور) في مدينة شفا عمرو من أسرة مسيحية، نشط في كتابة أدب الرحلات فألف كتاب تاريخ الناصرة الذي طبع عام 1924م في مطبعة الهلال المصرية. وكتابه هذا الموسوم بعنوان (تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة) يتألف من خمسة أبوابٍ، تناول في الباب الأول: الموقع الجغرافي لمدينة الناصرة وأحيائها بالإضافة إلى سكانها المسلمين والمسيحين، ثم تطرق إلى أسمائها وآثارها القديمة، ثم عرض في الباب الثاني: تاريخ المدينة قبل ميلاد السيد المسيح حتى الربع الأول من القرن العشرين.

أما الباب الثالث: فقد بيّن فيه المنشآت العمرانية للناصرة سواءً القديمة منها أو الحديثة والمتمثلة بالكنائس المسيحية ومدارس جميع الطوائف من الكاثوليك واللاتين والبروتستانت وغيرهم، بالإضافة إلى مساجد وجوامع ومقامات المسلمين، وفي نهايته ذكر المنشآت الحديثة للمباني السياحية المتمثّلة بالفنادق واللوكندات وخانات التجار. وتطرق الباب الرابع إلى الحياة الدينيّة والاجتماعيّة، فتناول فيه الأديان والمذاهب ثم ذكر سكانّها، مدعمة بالاحصائيات ونسبهم سواءً من المسلمين أو المسيحيين، وتناول أخلاق سكان الناصرة ولهجتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وفي الباب الأخير أفرد جانب الحياة السياسية من خلال تناول تاريخ حكومة الناصرة بالإضافة لكبار المتنفذين من المسلمين والروم واللاتين وغيرهم وفي نهاية الباب تناول الحياة السياسية فترة الاحتلال البريطاني.

ويُعدُّ هذا المصدر من أهم المصادر التي اشتملت معظم معلومات الرسالة البحثية، فقد حوت معلومات قيمةً عن الزلزال الذي ضرب فلسطين عام (1252هـ/1837م) بشكل مفصل إلى حد ما، مستنداً في معلوماته على الرحالة الأجنبي (طومسون) في كتابه "الأرض والكتاب"، الذي زار المنطقة فترة وقوع الكارثة، فتدرج منصور في عرض معلوماته بشكل جغرافي خاصة المناطق الشمالية. فركز منصور معلوماته عن حجم الخسائر البشرية والعمرانية التي لحقت بمدينتي صفد وطبرية واستعرض أيضا القرى الفلسطينية التى شهدت تدميراً كاملاً وجزئياً مثل المشهد والجش ولوبيه وغيرها[1]، وكذلك استقيت معلومات مهمة لأحداث عام (1320هـ/1902م) الذي وثق فيها الزلزال البسيط الذي ضرب بعض المدن الفلسطينية، موضّحاً فيه حجم الخسائر التي مُنِيت بها فلسطين[2].

وأفرد أيضاً في كتابه جزءاً مهماً للحديث عن فصل الأمراض التي انتشرت في فلسطين، معتمداً على مشاهد عصره خاصة، الكوليرا عام (1282هـ/1865م)، فعّد هذه السنة من السنوات التي حفرت بالذاكرة لما جرى فيها من مجموعة كوارث تمثلت بتأخر نزول المطر وسوء الأحوال الزراعية بالإضافة إلى غزوات الجراد التي شهدتها فلسطين بشكلٍ عامٍّ والناصرة بشكلٍ خاصٍّ[3]، وكذلك وثق الكارثة التي حلّت بفلسطين في صيف عام (1320هـ/1902م) جراء وباء الكوليرا فوصف أشدها على طبريا إذ عانى سكانها الجوع وما لحق بهم من الهلاك والحاجة، بالإضافة إلى ما عانوه من أحداث الحرب الكبرى من أمراض وفذقر وجوع وغيره[4].

2. ولاية بيروت، (محمد التميمي ومحمد بهجت)

يمثل كتاب (ولاية بيروت) المؤلّف من جزئين مرجعاً قيماً ومهماً لباحثي العلوم التاريخية المتعلقة بتاريخ فلسطين بشكل خاص وبلاد الشام بشكلٍ عامٍّ أوائل القرن العشرين لما يحتويه من وصف عام للحياة

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها الى ايامنا الحاضرة، مطبعة الهلال، (القاهرة/ مصر)، (د. ط)، (1343هـ/1924م)، ص80-81.

[2] (م.ن)، ص102.

[3] (م.ن)، ص82-85.

[4] منصور، اسعد، تاريخ، ص102، 116، 282.

الاجتماعيّة والاقتصاديّة لسكان فلسطين خاصة في الجزء الأول منه الذي أطلق عليه " ولاية بيروت – القسم الجنوبي". وتجدر الإشارة إلى أنه كتب على شكل مذكرات الرحالة، فكان المؤلفان يكتبان ما يلاحظانه ويشاهدانه بالعين المجردة ما زاد من قيمة هذا الكتاب للباحثين والمهتمين بتاريخ فلسطين.

ويتألف هذا الكتاب من جزئين تناول الجزء الأول ولاية بيروت والقسم الجنوبي منها المتمثل في لواء نابلس وعكا وبعض أجزاء مناطق لبنان، في حين تناول الجزء الثاني المناطق الشمالية من ولاية بيروت المتمثلة في لواء اللاذقية وطرابلس وعكار وغيرها، وقد تمّ الاستفادة من الجزء الأول في دراستي؛ لما يحتويه من معلومات مهمة تغذي الدراسة بشكل أساس وقيّم وخاصة في القسم المتعلق بمنطقة لواء نابلس وعكا.

وتألفّ الجزء من عدة أبواب تضمن في البداية الحديث عن الأطار الجغرافي لولاية بيروت وحدودها، ثم تطرق إلى المذاهب والطوائف الدينية فيها من مسلمين، مسيحيين، يهود، ودروز وغيرها، وتناول في باب آخر الأحوال الطبيعية في ألوية بيروت وعكا ونابلس المتمثلة: في طبقات الأرض، من حيث الأقاليم والمناخ ثم عرض الحياة النباتية والحيوانية ومحاصيلها الزراعية وغيرها.

وفي الأبواب الأخيرة من الجزء الأول تناول بشكل مفصل لوائي نابلس وعكا وأفرد فيهما مواقعهما الجغرافية، وتحدث عن حالتهما العمومية من حيث عدد السكان مرفقاً إحصائيات لسكان اللواءين، وكذلك تناول تاريخهما منذ القدم بشكل بسيط ثم عرض أهم المؤسسات الصحية والعمرانية فيهما مضيفاً دور البلدية في تنظيم اللواء، وفي النهاية تطرق إلى الحياة الاجتماعيّة ما بين فئات المجتمع على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم خاصة المسلمين والطائفة السامرية بلواء نابلس أو المسلمين والمسيحيين في لواء عكا.

وتمت الاستفادة من هذا الكتاب بالدرجة الأولى في دراسة الحياة الاجتماعيّة والصحية للوائي عكا ونابلس، فعند مطالعة الكتاب تشعر بأنك تعيش الواقع الأليم الذي لحق سكان منطقة عكا جراء الأمراض التي أصابتهم

نتيجة تشكل المستنقعات وما تخلفه من آثار سلبية على الناحية الصحية[1]، وكذلك أفرد مادة مهمة حول الوضع الصحي لمدينة نابلس خاصة في بداية القرن العشرين فأظهرت حجم الخسائر البشرية التي فقدتها نابلس جراء مرض الكوليرا والتيفوس والعلة الحميراء ما بين عامي (1900–1912م)[2].

وكذلك بيّن الدور الرسميّ والشعبي في مقاومة الأمراض والأوبئة، ففي مدينة نابلس أظهر حجم المبالغ المالية التي أنفقتها البلدية للحفاظ على الصحة والنظافة حيث كان مجموع ذلك حوالي 62200 قرش خلال مراجعة ميزانية البلدية عام (1332هـ/1914م)، إضافة إلى مظاهر الدور الشعبي وما أبداه سكان المدينة في جمع المبالغ المالية لبناء مستشفى وطني استمر حوالي أربع سنوات وهو المعروف حالياً بالمستشفى الوطني الذي تم بناؤه عام (1324هـ/1906م)[3].

ثانياً: الصحف

1. البشير – بيروت

تعتبر صحيفة البشير صحيفة دينية كاثوليكية إخبارية أسبوعية، أصدرت في بيروت في (الرابع من جمادى الثانية 1287هـ/الأول من أيلول 1870م)، وتظهر ميول الصحيفة واتجاهاتها كونها تصدر أعداداً خاصة بالمناسبات والأعياد المسيحية الكاثوليكية أنها تهتمّ بالمسائل الدينية والحوادث المحلية والعالمية التي لها علاقة بالمذهب الكاثوليكي خاصة في السنوات الأولى من نشرها، ثم توسع نطاق موضوعاتها إلى أبعد من ذلك.

وقد اهتمت البشير بأخبار الكاثوليك ومؤسساتهم في مجال التعليم والصحة وبناء الكنائس، فتطرقت إلى نشاط المستشفيات التابعة لرهبنة القديس (مار يوحنا) الإلهي والقديس (يوسف) في الناصرة وشفا عمرو وحيفا[4].

---

[1] التميمي، محمد وبهجت، محمد، ولاية بيروت –القسم الجنوبي– ألوية بيروت وعكا ونابلس، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/لبنان)، (د.ط)، (1335هـ/1914م)، ج1، ص49–50.

[2] (م.ن)، ص114–115.

[3] (م.ن)، ص94.

[4] البشير، عدد 868، 5 أيار1887م، ص3.

واهتمت بالأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافية في لواء بيروت، فنقلت أخبار القبائل والعشائر المنتشرة فيه[1]، وأخبار الكوارث الطبيعية من أمراضٍ وأوبئةٍ وجفافٍ وما تركته من آثارٍ سلبيةٍ في السكان[2].

2. **فلسطين – القدس**

هي من أهم الجرائد الفلسطينية وأكثرها انتشاراً، أصدرها (عيسى داود العيسى) في مدينة يافا عام 1911م فقد كانت في أول عهدها أسبوعيةً صغيرة ثم أخذت تظهر مرتين في الأسبوع، إلى أن تحولت إلى جريدة يومية بثماني صفحات فيما بعد، صدر عددها الأول في 14 كانون الثاني عام 1911م، وتوقفت عن الصدور بتاريخ 9 كانون الثاني عام 1914م، ثم استأنفت الصدور بعد الحرب العالمية الأولى وكانت واسعة الانتشار في معظم أنحاء فلسطين.

وقد تناولت الجريدة مواضيع مختلفة الجوانب تمثلت في الحديث عن الحياة الدينية في صفحاتها الأولى، خاصة المتعلقة بالدين المسيحي أو الإسلامي[3]، ثم تناولت الأوضاع الاقتصاديّة والسياسية التي تعيشها فلسطين، وكذلك تطرقت إلى الكوارث الطبيعية المتعلقة بالمناخ خاصة الجفاف والأمطار والثلوج وغيرها[4]، وتوسعت الجريدة في متابعة الحالة الصحية التي كانت تعيشها فلسطين بداية القرن العشرين، فذكرت الأمراض التي انتشرت في مناطق مختلفة سواء في عكا ويافا ونابلس وغزة وغيرها ومنها الكوليرا والسل والملاريا[5].

واهتمت الجريدة بمتابعة شؤون المزارعين، من حيث أسعار الحبوب والغلال، وكذلك أثر الكوارث الطبيعية على حياة المزارعين من الناحية الاقتصاديّة[6]، ولم تهمل الجريدة الموقف الرسميّ للحكومة في مواجهة خطر الكوارث بشتى أنواعها، وخاصة المتمثّل بالبلديات أو جهات الاختصاص وغيرها، كدور بلدية بيت لحم للحدّ

---

[1] (م.ن)، عدد 710، 18آذار 1886م، ص3.

[2] (م.ن)، عدد 487، 7 كانون الثاني 1880، ص 4.

[3] فلسطين، عدد 228، 3 جمادى الأول 1331هـ/ 27 آذار 1913م، ص1.

[4] (م.ن)، عدد 103، 27 محرم 133هـ/4 كانون الثاني 1912م، ص3. عدد 163، 4 رمضان 1330هـ/4 آب 1912م، ص3.

[5] (م.ن)، عدد 65، 9 رمضان 1329هـ/ 20 آب 1911م، ص3.

[6] (م.ن)، عدد 69، 23 رمضان 1329هـ/3 أيلول 1911م، ص2.

من غلاء أسعار اللحوم، وكذلك اهتمام بلدية يافا في الحفاظ على النّظافة العامة؛ لمنع انتشار الأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى بلدية غزة التي وقفت إلى جانب الفقراء في وجه التّجار لاحتكارهم السلع وتخزينها[1].

ثالثاً: الدراسات الحديثة

1. المحفوظات الملكية المصرية: بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد (محمد علي باشا): (أسد رستم)

وهو عبارة عن مجموعة كبيرة من الوثائق السياسية والاجتماعيّة والاقتصاديّة المتعلقة ببلاد الشام في عهد الحكم المصري، نشر منها خمسة مجلداتٍ ضخمة وبقي ثلاثة منها مخطوطة[2]، وشكلت هذه الوثائق التي احتواها الكتاب مراسلات بين القائمين على إدارة الحكم في بلاد الشام من جهةٍ والإدارة المركزية في مصر خاصة قصر عابدين من جهة أخرى، بالإضافة إلى وجود مراسلات من كبار الزعماء وشيوخ الطوائف والسكان المحليين.

وقد ضمت هذه الوثائق مواضيع متنوعة امتدت بين عامي (1225-1256هـ/ 1810-1841م) تضمنت المجال السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ وكذلك العمرانيّ، فمن ضمن المواضيع السياسية التي تناولتها: محاولة الإدارة المصريّة فرض الحكم المصريّ في بلاد الشام بالقوّة أثناء محاربة (إبراهيم باشا) الزعامات المحلية في بلاد الشام بشكلٍ عامٍّ وفلسطين بشكل خاص[3].

وتناول الكتاب أيضاً الحالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة لبلاد الشام في ظل الحكم المصري باعتبارها جزءاً من أملاكها وأراضيها، فعملت على متابعة شكاوي السكان جرّاء الأوضاع الاقتصاديّة السيئة التي كانت تمرُّ بها

---

[1] (م.ن)، عدد 68، 20 رمضان 1329هـ/ 31 آب 1911م، ص3. عدد 214، 12 ربيع الاول 1331هـ/ 6 شباط 1913م، ص2.

[2] الزركلي، خير الدين،الأعلام: تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، 8 أجزاء، دار العلم للملايين، (بيروت/لبنان)، ط5، (1400هـ/1980م). ص297.

[3] رستم، أسد، المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي، جامعة بيروت الامريكية، 4 مجلدات، (بيروت/لبنان)، (135هـ/1940م)، مج 1، ص208-212.

البلاد؛ نتيجة سوء الأحوال والفقر والمجاعة، فعملت على إمدادهم بالمعونات اللازمة من حنطة وقمح، وتقديم التسهيلات اللازمة لإعادة إعمار المباني والمنشآت العمرانية[1].

ولم تهمل الوثائق دور الدولة في مكافحة الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة التي انتشرت في البلاد بشكل خاص ويتضح ذلك من خلال التقرير الذي أرسله مندوب الإدارة المصرية في بلاد الشام إلى مصر حول حجم الخسائر التي لحقت بفلسطين بشكلٍ خاصً والشام بشكلٍ عامٍّ[2]، أما الجانب الصحي فقد حرصت الإدارة المصرية على سلامة بلاد الشام وفلسطين نتيجة الارتباط الجغرافيّ مع الأراضي المصريّة، فقد كانت مصر رائدة فكرة فرض الحجر الصحي أثناء تفشي مرض الكوليرا " الهواء الأصفر" الوافد حديثاً إلى بلاد الشام ومصر[3].

2. لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانيّة (1281–1337هـ/ 1864–1918): (زهير غنايم)

تُعَدُ هذه الدراسة من أكثر الدراسات أهمية بالنسبة لذات الدراسة؛ لما استفدته منها خاصة، لاعتمادها على أمّات المصادر الأولية، والمتمثّلة بسجلات المحاكم الشرعية والصحف والمجلات، وكذلك مصادر الرّحالة الأجانب والعرب وغيرهم.

فقد عالجت هذه الدراسة في الفصل الأول الأوضاع السياسية والاقتصاديّة منذ العصر العثماني حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وتناول الفصل الثاني التنظيمات الإدارية، وبيّن تبعية لواء عكا لولاية بيروت موضحاً الأقضية والنواحي وأعداد القرى التي يتكون منها اللواء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دون إهمال الأقضية الأخرى في فلسطين، الأمر الذي يساعد في فهم تطور النمو السكاني والاجتماعي والاقتصادي ومعرفته سواًء كان إيجابياً أم سلبياً.

---

[1] رستم، أسد، المحفوظات، مج 1، ص162. مج 3، ص244.

[2] (م.ن)، مج 3، ص208–ص211.

[3] (م.ن)، مج 2، ص178.

وتناول الفصل الثالث الحياة الاجتماعيّة المتعلقة بالسكان وعناصرها المختلفة بالإضافة إلى العوامل المؤثرة في السكان سواًء التي كانت تسهم في زيادة أعدادهم ومنها إجراءات الحكومة الرامية إلى فتح أبواب التجارة وتسهيل حركة المواصلات وغيرها، أو العوامل الطاردة للسكان ومنها انتشار الأمراض والأوبئة وسوء الأحوال المناخية على المزارعين والتجار[1]، في حين بيَن الفصل الرابع الحركة والنشاط العمراني في اللواء المتمثل في بناء المستشفيات نتيجة التنافس الطائفي الديني المدعوم استعمارياً وكذلك شق الطرق ومد السكك الحديدية وغيرها[2].

وإذا انتقلنا إلى الفصل السابع من الدراسة نجد أنّه تناول دراسة الحياة الاقتصاديّة الزراعية فبيَن أهم المحاصيل الزراعية والعوامل المتعددة التي تؤثر فيها والأساليب الزراعية[3]، مع الإشارة إلى الثروة الحيوانية, ولم يهمل دور الحكومة في رفع الأعباء التي يواجهها المزارعون، ومنها إصدار قانون الأراضي الصادر عام (1275هـ/1858م)، وإنشاء البنك الزراعي العثماني بهدف مساعدة الفلاحين المثقلين من ديون المرابين[4].

رابعاً: كتب الرحالة الأجانب

اعتمدت الدراسة في مادتها المصدرية على مجموعة من أدبيات الرحالة غير العرب التي وثقوها أثناء رحلاتهم وتجوالهم في مختلف الأراضي الفلسطينية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ومن أبرزها الرحالة ماري روجرز التي سمّت رحلتها بـ (الحياة في بيوت فلسطين رحلات ماري إليزا روجرز في فلسطين وداخليتها 1855–1859م)، حيث وضعت هذا الكتاب أثناء رحلتها لفلسطين خلال الفترة المذكورة. وسجلت خلال فترة وجودها في فلسطين وتجوالها لمعظم مناطقها الوصف الدقيق للأحوال العامة التي عاشها السكان

---

[1] غنايم، زهير، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية (1281–1337هـ/1864–1918م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، ط1، (1420هـ/1999م)، ص89–90، 128.

[2] (م.ن)، ص227–237. 262–263.

[3] (م.ن)، ص397.

[4] (م.ن)، ص325.

المحليين بما فيها هطول الأمطار الغزيرة وآثارها[1]. وكذلك وصفت لنا الاجراءات الشديدة المتبعة من قبل الكرنتينا _الحجر الصحي_ وانتشار مرض الكوليرا في حيفا ويافا[2]. بالإضافة إلى توثيقها بعض حالات الزلازل التي انفردت بذكرها عن غيرها من المصادر التاريخية خاصةً في مدينة حيفا[3].

[1] روجز، ماري، الحياة في بيوت فلسطين رحلات ماري إليزا روجز في فلسطين وداخليتها (1855–1859)، (ب.ن)، (ب.م)، (ب.ظ)، (ب.ت)، ص160.

[2] (م.ن)، ص160–165.

[3] (م.ن), ص382.

الفصل الأول

الزلازل في فلسطين

تعريفها

تشير التفسيرات العلمية **لمصطلح** الزلازل بأنها حركات تحدث في باطن الأرض فتؤثر على سطحها، وتؤدي هذه التحركات إلى توليد قوة ضغطٍ على الصخور، وعند تجاوز هذا الضغط أو القوة التى تولّدها تلك التحركات الحد الذي لا يمكن للصخور احتماله، تبدأ عندئذ بالانكسار والتشقق، وتسمى هذه الانكسارات بالفوالق الأرضية، يكون بعضها صغيراً لا يتجاوز طوله عدة أمتار، ومنها ما يكون كبيراً يصل طولها إلى مئات الكيلومترات[1].

وتؤدي حركة الانكسار إلى تحويل كمية كبيرة من القوة إلى طاقة حركية، على شكل موجات تنتشر في اتجاهات مختلفة من باطن الأرض نحو سطحها، وتعرف تلك الموجات بالموجات الزلزالية، ما ينتج دماراًوخراباً في المناطق التى تمر خلالها، وتعتمد نسبة تدميرها على طاقة تلك الموجات الزلزالية؛ فكلما كانت طاقة الموجات عالية، كان الدمار كبيراً[2]، كما يرتبط ذلك بالبؤرة الزلزالية، وتمثل النقطة الواقعة عليها مركز الزلزال الذي يعد بدوره أكثر مناطق سطح الأرض تأثراً به[3].

---

[1] محسوب، محمد وأرباب، محمد، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية، دار الفكر العربي، (القاهرة /مصر)، ط 1، (1419هـ/1998م)، ص51. صلاح، محمد، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491-923هـ /1097-1517م)، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، (غزة/فلسطين)، (1430هـ/2009م)، ص15. **وهناك تفسير آخر للزلازل** وهي هزات متفاوتة القوة تتعرض لها الارض تنتج عن حركة التشقق ما يؤدي الى انفصال مفاجئ للصخور وهو ما يطلق عليه الزلازل التكتونية، وهي أكثر أنواع الزلازل شيوعاً التي تسبب تشكل سلاسل الجبال وثوران البراكين. (انظر: بوناطيرو، لوط، سيناريو الكوارث الطبيعية والزلزالية وإدارتها في منطقة الشرق الأوسط، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (أبوظبي /الأمارات العربية المتحدة)، ط1، (1435هـ/2014م) ص3-4).

[2] صلاح، محمد، الكوارث، ص15.

[3] محسوب، محمد، وأرباب، محمد، الكوارث، ص51.

التوزيع الجغرافي*

تتوزع الزلازل جغرافياً حسب مناطق الضعف وعدم الاستقرار في القشرة الأرضية التى تعتمد على طول الحدود الفاصلة بين الألواح التكتونية ومناطق الصدوع، وعلى ضوء ذلك يوجد حزامان رئيسان يضمان داخلهما 91% من جملة الزلازل التى تتعرض لها الأرض. الأول: هو حزام الحلقة النارية قبالة سواحل المحيط الهادي وبه نحو 70% من جملة عدد الزلازل، والثاني: يُعرف بحزام البحر المتوسط، ويمتد عرضياً من إسبانيا غرباً حتى جنوب شرق آسيا شرقاً ماراً بسلسلة جبال تركيا ومرتفعات إيران، ويضم نحو 21% من نسبة زلازل العالم[1].

ويُضاف إلى هذين الحزامين مناطق ثانوية تتفرّعُ من الحزام الثاني، يضم نطاق البحر الأحمر ويمتد من شرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية، ويُعرف باسم حزام الأخدود الافريقي الشرقي*، من سوريا جنوباً إلى لبنان وفلسطين والأردن وسلاسل جبال غرب البحر الأحمر حتى أثيوبيا والكونغو، وبذلك يكون العالم العربي بشقيه الآسيوي والإفريقي واقع ضمن الأقاليم الزلزاليّة النشطة[2].

وقد تعرّضت فلسطين بشكلٍ عامٍّ على مدار التاريخ لكثير من الزلازل، فتأثرت معظم أراضيها بالزلازل، ولكن ما يميز تلك الزلازل التي ضربتها اختلاف قوتها، فيوجد أماكن ذات تأثير زلزاليّ نشط يؤثر على أغلب أراضي فلسطين، ويرى الجيولوجيون أنّ هناك مراكزاً للزلازل في فلسطين في منطقتي صفد ونابلس ذات

---

* أنظر الى صفحة 38 خارطة توضيحية حول انتشار الزلازل في فلسطين.

[1] محسوب، محمد، وأرباب، محمد، ص54– 55. آغا، شاهر، الزلازل حقيقتها وآثارها، ص177–ص179، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت/الكويت)، (د.ط)، (د.ت).

* **الأخدود الأفريقي:** هو صدع جيولوجي يمر غربي قارة آسيا وشرقي قارة إفريقيا ويمتد هذا الأخدود لمسافات طويلة من أقصى الشمال عند مقدمة جبال طوروس في قارة آسيا مروراً بوادي البقاع ويشمل إيضا البحر الميت وخليج العقبة والبحر الأحمر ثم جنوباً في قارة أفريقيا. (غلاب، محمد، والجوهري، يسرى، الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره، المطبعة الفنية الحديثة، (القاهرة/ مصر)، ط2، (1395هـ/1975م)، ص41).

[2] آغا، شاهر، الزلازل، ص193.

مراكز سطحية وأخرى أقل عنفاً مثل اللد والرملة[1]، وتجدر الإشارة إلى أن المناطق الجبلية خاصة الجليل الأعلى والأوسط صنفت على انّها مناطق غير مستقرةٍ تكتونياً، بدليل كثرة الزلازل والهزات الأرضية التي وقعت فيها منذ فترة ليست ببعيدة[2].

ويُفسَّر تعرض فلسطين للزلازل؛ لقربها من حفرة الانهدام الرئيس في الشرق (غور الأردن)، مما كان له الأثر الكبير والواضح في تشكُّل معالم سطح الأرض فيها، فالوحدة التضاريسية التي تقوم عليها مدن الشمال كالناصرة عبارة عن مجموعة من الجبال قليلة الارتفاعات مقطعة بفعل مجموعة كبيرة من الصدوع التي تتمحور باتجاه شرقي–غربي وبعض الصدوع التي شغلتها الأودية وعملت على تعميقها، وبهذا فإن المظهر الطبوغرافي الحالي في الجليل بشكلٍ عامٍّ قد تقرر فعلاً بتأثير حركات تصدُّعٍ بلغت أوجها في عصر البلايستوسين[*3].

وتدّل المنحدرات المتصدعة في لبنان والوادي المتصدع الكبير الذي يستمرّ في منخفض الأردن والبحر الميت على وجود منطقة للزلازل هناك، غير أنّ منطقة الهزات الأرضية لا تقتصر على أماكن التصدع فقط، بل تصل لأماكن بعيدةٍ حسب قوة الموجات الزلزالية، حيث كانت هذه الأمواج التي يسببها المدُّ عند حدوث الزلازل مدمَّرةً، ففي زلزال شمالي سوريّة عام (1237هـ/1822م) حُوّلت حلب وغيرها من المدن إلى مجموعةٍ

---

[1] المبيض، سليم، غزة وقطاعها دراسة في خلود المكان وحضارة السكان من العصر الحجري الحديث حتى الحرب العالمية الأولى، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة/ مصر)، (د.ط)، (1407هـ/1987م). ص34–35.

[2] عبيد، يوسف، قصة مدينة الناصرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة منظمة التحرير الفلسطينية. (د.م)،(د.ط)، (د.ت)، ص30.

[*] **عصر البلايستوسين:** هو أحد العصور التي مر بها كوكب الأرض وفيه تطورت الأنواع البشرية وظهور الإنسان الذى ننتمى إليه الذي يطلق عليه اسم الإنسان العاقل وفيه تشكلت أيضا الطبقة الجغرافية للوطن العربي من الأغوار والخليج العربي والبحر العربي. (غلاب، محمد، والجوهرى، يسرى، الجغرافيا التاريخية، ص 37–41).

[3] عبيد، يوسف، قصة، ص29. المبيض، سليم، غزة، ص34.

من الخرائب، إذ أُزهقت عشرات الآلاف من الأرواح طال فلسطين نصيباً منها، وكذلك زلزال صفد عام (1252هـ/1837م) الذي أثّر على أغلب مدن فلسطين ووصل تأثيره إلى المدن السوريّة واللبنانية[1].

وصنّفت المناطق الجنوبية والجنوبية–الغربية من فلسطين على أنها مناطق هامشية تتلقى الحد الأدنى من ضرباتها، وتتكسر عندها أخف موجاتها بسبب وجود خطوط الانكسار الجيولوجية القريبة من ساحل البحر في الجنوب كمنطقة غزة – وصولاً إلى بئر السبع التي لم تتأثر كما حدث لبعض المدن التي دمرتها الزلازل كلياً[2]. وتعرضت المناطق الجبلية الجنوبية والوسطى من فلسطين للزلازل خاصة مدينة القدس ويلحظ أنّ أكثر وقوع الزلازل فيها كان في فصل الشتاء وعند رصد الحركات الأرضية فيها وجد أنه في مدة (22) سنة قد وقع فيها (12) زلزلةً، تسعُ منها حلت في فصل الشتاء حسب قول الجمعية الجغرافية في برلين[3].

ويعلل ذلك أيضاً أن السيول الجارفة الناجمة عن تساقط الأمطار تخترق طبقات الأرض ومغاورها فتزيل روابطها الضعيفة بين الصخور وتحلل ترابها فتتزعزع وتتزلزل[4]، وهذا ما يفسر عدم حدوث الزلازل بالمنطقة الصحراوية في النصف الجنوبي من فلسطين بسبب افتقارها للسلاسل الجبلية بالإضافة إلى قلة سقوط الأمطار فيها.

أشهر الزلازل

تعرضت فلسطين خلال القرن (الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي) والعقدين الأولين من القرن العشرين إلى عددٍ من الزلازل ضربت معظمها أرجاء فلسطين مؤثرة في ذلك على دول الجوار، مثل: سوريا ولبنان؛ بسبب الاتصال الجغرافي المباشر معها، ووصف تاثيرها بين العنيف والأقل عنفاً فكان أشدّ الزلازل

---

[1] حتي، فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: حداد، جورج. وعبدالكريم، رافق، دار الثقافة، (بيروت / لبنان)، ط3، (ب.ت)، ج1، ص42–ص43.

[2] المبيض، سليم، غزة، ص35.

[3] اليسوعي، هنري، الزلازل في سورية، مجلة المشرق،السنة الأولى، عدد 8، 15 نيسان 1898م، ص342.

[4] باشا، حسن، الزلازل وأسبابها، مجلة المقتطف، عدد2، 1 شباط 1895م، ص97. شار، عبدالله، الزلازل، مجلة المشرق، السنة الثالثة، عدد 14، 15 تموز 1900، ص657.

الذي ضرب صفد عام (1252هـ/1837م)، إذ وصل تأثيره إلى معظم أنحاء فلسطين وأجزاء من سوريّة ولبنان، وسيتم الحديث عنه بشكلٍ مفصلٍ في الصفحات القادمة.

وقد تلقت فلسطين أوّل الزلازل في القرن التاسع عشر عام (1233هـ/1817م) فترك آثاراً في عكا، فتحدَّث الناس عن سببها وساق الناس في تفسير ذلك خرافات، منها: أنّ كوكب الأرض محمول على قرن ثورٍ وعندما يتعب ويريد الاستراحة ينقلها من ناحية إلى أخرى نتيجة هذه النقلة تتزلزل الأرض، في حين ردّها آخرون إلى وجود أبخرة داخل الأرض تنفجر بسب الضغط فتسبب اهتزازاً لها[1].

وسجّلت فلسطين خلال فترة الدراسة أول الزلازل عام (1250هـ/1834م) وبالتحديد في اليوم الثالث عشر من أيار، إذ أصاب مدينة بيت لحم، فتسبَّب بأضرارٍ عمرانية فقط دون ذكرٍ للخسائر البشرية[2]، وفي نفس العام تأثرت مدينة غزة بزلزالٍ وصف بالقويّ، استمر عدة أيام بشكل متقطع[3]، وبعد بضع سنواتٍ تعرضت معظم فلسطين في اليوم الأول من عام (1252هـ/1837م) إلى زلزالٍ مدمر كان مركزه مدينة صفد وما جاورها[4]، فتأثرت الناصرة وقراها فهدمت قرية المشهد* بشكلٍ كاملٍ[5]، ووصل تأثيره إلى معظم مدن فلسطين، فبلغ طبريا

---

[1] العورة، إبراهيم، تاريخ ولاية سليمان باشا العادل، مطبعة المخلص، (صيدا / لبنان)، (د. ط)، (1355هـ/1936م)، ص374–ص375.

[2] بنورة، توما، تاريخ بيت لحمم وبيت جالا وبيت ساحور أفراتا، مطبعة المعارف، (القدس/ فلسطين)، (د. ط)، (1402هـ/1982م)، ص68. رضوان، الكيلاني، الزلازل التاريخية في منطقة انهدام البحر الميت، مجلة البحوث الجغرافية، (الكوفة/ العراق)، (1443هـ/2021م)، ص156.

[3] المبيض، سليم، غزة، ص35.

[4] منصور، أسعد، تاريخ، ص80.

* **المشهد:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الناصرة على بعد (3) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (11067) دونماً، وبلغ عدد سكانها، عام(1341هـ/1922م) 356 نسمة. الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص99–100.

[5] منصور، أسعد، تاريخ، ص80. المعلوف، عيسى، دواني القطوف في تاريخ بني معلوف، المطبعة العثمانية، (بعبدا / لبنان)، (د. ط)، (1326هـ/1908م)، ص130–131.

وعكا وشفا عمرو* وتوابعهما في الشمال، بالإضافة إلى مدينة نابلس وتوابعها والقدس الشريف في الوسط، وكذلك يافا وغزة والرملة [1] والخليل في الجنوب وغيرها من المدن الأخرى[2].

وتبع هذا الزلزال عدد من الزلازل على فتراتٍ متباعدة، منها ما كان خفيفاً لم يتسبب بخسائر ومنها ما ألحق بعض الأضرار، ففي عام (1258هـ/1842م) ضرب زلزال مدينة يافا حيث تفسّخ عقد بنياتها وآلت إلى السقوط والخراب[3]، وفي تاريخ (3 ربيع الأول 1275هـ/10تشرين أول 1858م) ضرب مدينة حيفا زلزال أثر على بنيتها العمرانية، فتشققت البيوت والبنية التحتية كالشوراع؛ بسبب تزامن تأثير الزلزال مع هطول الأمطار[4]، وبتاريخ (25 ربيع الأول 1287هـ/ 24 حزيران 1870م) ضربت مدينة غزة هزة خفيفة لم تحدث آثاراً تذكر[5]، كما حدثت عدة زلازل طالت مناطق في سوريّة عام (1289هـ/1872م) كان مركزها في أنطاكية، انتهت برجفاتٍ شديدةٍ شعر بها سكان الساحل الشرقي للبحر المتوسط من يافا إلى بيروت[6].

وتعرّضت الناصرة إلى زلازلٍ آخر أقل عنفاً عام (1296هـ/1879م)[7]، وفي اليوم الأول من كانون الأول عام(1879/1296م) شعر سكان القدس بزلزلة دامت خمس ثوانٍ[8]، وبتاريخ (21 ذي الحجة 1320هـ/30 أذار 1902م) ضرب الناصرة زلزال متوسط ترك آثاره على العمران فقط، وأصيب الميتم الإنجليزي فيها، فبنيت له دعائم من الخارج وربط بالحديد[9]، وضرب فلسطين زلزال آخر عام (1321هـ/1903م) شعر به

---

* **شفا عمرو**: تقع بين حيفا وعكا على بعد (20) كم من المدينتين، بلغ مساحة أراضيها 97267 دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 2288 نسمة. الدباغ، ق2، ج7، ص566-569.

[1] رستم، أسد، المحفوظات، مج 3، ص209-211.

[2] شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882 دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، دار الهدى، ص195.

[3] الكيلاني، رضوان، الزلازل، ص156.

[4] (م.ن)، روجز، ماري، الحياة في بيوت فلسطين رحلات ماري إليزا روجز في فلسطين وداخليتها (1855-1859)، (ب.ن)، (ب.م)، (ب.ط)، (ب.ت)، ص382.

[5] المبيض، سليم، غزة، ص35.

[6] اليسوعي، هنري، الزلازل في سورية، المشرق،السنة الاولى، عدد 8، 15 نيسان 1898م، ص341.

[7] عبيد، يوسف، قصة، ص30.

[8] البشير، عدد 488، 16 كانون الثاني 1880م، ص4.

[9] منصور، أسعد، تاريخ، ص102، عبيد، يوسف، قصة، ص30.

سكان مدينة غزة، كان على شكل ثلاث هزاتٍ، واستغرق ست ثوانٍ[1]، وكذلك تشير بعض الابحاث إلى تعرّض منطقة رام الله في نفس العام إلى زلزال تصدعت بسببه البيوت في المدينة، كما تهدّم بعضها، وقد وصف الزلزال بانه عنيف، وفي شهر تموز من عام (1329هـ/1911م) ضرب أخر زلزالٍ فلسطين في فترة الدراسة، وكان مركزه مدينة اللد، هُدِم خلاله (500) بيتٍ وقتل حوالي (40) شخصاً[2].

تأثيرها على الحياة الاجتماعيّة والعمرانية

تركت الزلازل التي ضربت فلسطين آثاراً بالغة على الحياة الاجتماعيّة والعمرانيّة، فمن الناحية الاجتماعيّة أزهقت كثيراً من الأرواح خاصة التي حدثت شمال فلسطين، ومن الناحية العمرانيّة خلّفت الزلازل دماراً كبيراً في المباني العمرانية والتجمعات السكنية.

فبالعودة إلى زلزال عام (1250هـ/1834م) الذي ضرب فلسطين نجد أن مدينة بيت لحم قد تأثرت به بشكلٍ كبير دون غيرها من المدن الفلسطينية، فترك آثاراً على الحياة العمرانية نتج عنه تشققاً وعطباً في بناء كنيسة المهد خاصة سقفها من الجهة الشمالية، فتم إصلاح التشققات بعد ثمانية أعوام فأصلح السقف وغطيت الجدران ورصفت الأرض بالبلاط، كما سبب الزلزال تصدعاً في أديرة اللاتين والأرمن، وانهار برج يوحنا الدّمشقي في دير مارسابا*[3].

كما تأثرت فيه مدينة القدس، فتصدعت كنيسة القيامة، وجرى ترميمها في أواخر القرن التاسع عشر، واتفقت كل من فرنسا وروسيا وتركيا على أن تقوم الدولتان الأجنبيتان بتحمّل نفقات التّعمير، وأن تتولى تركيا

---

[1] المبيض، سليم، غزة، ص 35.

[2] الكيلاني، رضوان، الزلازل، ص156-157.

* **دير مار سابا:** من أديرة الأرثوذكس. يقع شرقي بيت لحم وفي الجنوب الشرقي من القدس على بعد (15) كم منها، نسب إلى الراهب سابا المولود في آسيا الصغرى، ولما زار الديار المقدسة عام 484م قام ببنائه. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج8، ص511).

[3] بنورة، توما، تاريخ، ص68.

الإشراف على الترميم وهذا ما جرى حسب الاتفاق فبلغت النفقات التي صرفت على ترميمها يومئذ (40) ألف ليرة ذهباً[1].

ومن كنائس الروم الكاثوليك التي تضررت في المدينة كنيسة القديسة حنة الواقعة بين باب حطة وباب الأسباط إلى الشمال من الحرم القدسي، إذ هدم الزلزال جدران الدير، فقامت الحكومة العثمانيّة عام (1258هـ/1842م) بنقل حجارته وبنيت بها ثكنة عسكرية عثمانية مجأورة لها[2].

وتعرّضت معظم أجزاء فلسطين في اليوم الأول من عام(1252هـ/1837م) إلى زلزالٍ مدمر كان مركزه مدينتيّ صفد وطبريا، طال تأثيره أغلب مدن وقرى المنطقة، ويتضح ذلك من خلال تقرير الحكومة المصرية في فلسطين، إذ عرض التقرير كشفاً بالخسائر التي حلت بسكان بر الشام ومنها فلسطين، جرّاء الزلزال الذي وقع في (24 من شهر رمضان لعام 1252هـ / اليوم الأول من كانون الثاني 1837م) والذي حدث قبل غروب الشمس بحواليّ عشر دقائق[3].

وشمل التقرير معلومات عن الخسائر التي وقعت بالأرواح البشرية، بالإضافة إلى الخسائر التي لحقت بالبيوت والأماكن المختلفة[4]، وبيّن التقرير الذي رفعه ممثل الحكومة المصرية في فلسطين انظر جدول (1) ملحق (هـ).

ويستنتج من المعلومات الواردة في الجداول أنّ مدينة صفد وتوابعها كانت أكثر المناطق تأثراً من حيث حجم الخسائر البشرية والعمرانية التى منيت بها جراء الزلزال الذي ضرب فلسطين بداية عام (1252هـ/1837م)،

---

[1] العارف، عارف، تاريخ القدس، ص 267. المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف، (القدس/فلسطين)، ط5، (1420هـ/1999م)، ص518.

[2] العارف، عارف، تاريخ القدس، ص244.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، ج3، ص208. النمر، إحسان، تاريخ نابلس والبلقاء، 4 أجزاء، مطبعة ابن زيدون، (دمشق/سوريا)، (د. ط)، (1357هـ/1938م) ج1، ص260. الدباغ، مصطفى، بلادنا فلسطين،10أجزاء، دار الهدى، (كفر قرع/فلسطين)، (د.ط)، (1412هـ/1991م)، ق2، ج7، ص49.

[4] منصور، أسعد، تاريخ، ص80. رستم، أسد، المحفوظات، ج3، ص208. الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص49.

الذي وصف بالمدمر، إذ لم تر المدينة أشد من هذه الضربات الطبيعية كونها مركز الزلزال[1]، ويتضح ذلك أيضاً من خلال مذكرات القنصل النمساوي (كتافاكو) المقيم في لبنان حينما بلغه خبر وقوع الزلزال وورود المعلومات له حيث لم يصدق ما تناقله الناس من هول الأحداث، فأرسل شخصاً من قبله ذي ثقة ليطلعه على أخبار الزلزال وإخباره بالحقيقة، وذلك لأنّ الأخبار الأولية التى وصلته تشير إلى خسارة تسعة أعشار الأهالي والمنازل في صفد[2]، في حين خلص تقرير الحكومة المصرية إلى أن حجم الخسائر البشرية التي منيت بها صفد بلغت 2158 شخصاً موزعين ما بين سكان مسلمين ويهود ورعايا أجانب على النحو التالي[3]:

جدول (2)

حجم الخسائر البشرية موزعة بين سكان مسلمين ويهود ورعايا أجانب

الرعايا	عدد القتلى
المسلمون واليهود	1507
رعايا فرنسا	73
رعايا إنجلترا	14
رعايا توسكانا (إقليم تابع لإيطاليا)	64
رعايا روسيا والنمسا	500
المجموع	**2158**

ويذكر الرحالة (طومسون) الذي عاصر الحدث وكان شاهداً عليه أنّ الزلزال وقع في اليوم الأول من عام (1252هـ/1837م)، وذهب لمساعدة المنكوبين وأنه قتل في صفد أربعة أخماس سكانها[4]، في حين خسرت

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص80. قرألى، بولس، فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا 1831-1841، مطبعة القديس بولس، (حريصا/لبنان)، (د. ن)، (1356هـ/1937م)، ص55.عبيد، يوسف، قصة، ص30، العسكري، يسار، قصة مدينة صفد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحريرالفلسطينية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ص54.

[2] قرألى، بولس، فتوحات، ص54.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، م3، ص208-211. غنايم، زهير، لواء، ص134-135.

[4] منصور، أسعد، تاريخ، ص81.

طبريا نحو (600) تحت الردم، وكذلك الحال لم ينج أحد من بعض العائلات الكبيرة التى كانت تقطن صفد سوى فرد واحد صادف وجوده في الناصرة من آل شومر[1].

وخلّف الزلزال دماراً في الحي اليهودي بمدينة صفد[2] فكان الحي قبل حدوث الزلزال بسنتين فيه (4000) يشتغلون بجدٍ ونشاط، لكن حاله بعد حدوث الزلزال تغيّر فساده الهدوء –نتيجة الدمار الذي آلمّ به– وتعرض للسلب والنهب من سكان القرى والمناطق المجاورة، وبشكلٍ عامٍّ يمكن تصوَر ما حل بالمدينة من دمارٍ إذ إن بيوتها كانت مثبتةً على سفح جبل بحيث إن أسطح البيوت السفلى كانت ممراتٍ وطرقاتٍ للبيوت التي أعلى منها، فلما حدث الزلزال انزلقت البيوت العليا على البيوت التى أسفل منها فهدمتها، وما كاد الأحياء يصحون من هول الموقف العظيم حتى خيم الظلام على البلد، فالذين لم يقتلوا حالاً، ماتوا قبل إنقاذهم، في حين تمّ إنقاذ الأحياء الذين بقوا تحت الردم بعد ستة أو سبعة أيام[3].

ويضيف (العسكري) نقلاً عن الرحالة (طومسون) الذي زار صفد وشاهد بأم عينيه آثار الدمار: " أن أول نظرة ألقيتها على أعالي جبال صفد العالية أوحت إلي بعبرة لن انساها، وهي مقدرة الله على إنزال أكبر نكبة في لحظةٍ واحدةٍ على بلد مهما كانت جبارة، لقد وقفنا مدهوشين أمام هذا الغضب الإلهي حين أسفرت لنا الحقيقة المؤلمة بأبشع صورها، فعندما كنا في بيروت شككنا في صحة الأخبار التي وصلتنا، لكننا الآن تيقّنا أنّ الناقل لم يستطع أن يصف نصف الواقع " ويندهش طومسون بقوله: أيموت سكان المدينة أو أربعة أخماسهم تحت التراب؟[4].

ويعرض القنصل النمساوي في عكا وصيدا تقريراً يوضح فيه ما حل بمدينة صفد وطبريا جراء الزلزال، ويورد أنه في اليوم الأول من عام (1252هـ/1837م) تعرضت منطقة سوريّة إلى هزاتٍ عنيفة وطويلة، فكانت

---

[1] العسكري، يسار، قصة مدينة صفد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (د.ط)، (د.ت) ص54.

[2] منصور، أسعد، تاريخ، ص81.

[3] العسكري، يسار، قصة، ص 54.

[4] العسكري، يسار، قصة، ص 54–55.

صفد وطبريا من أكثر المدن المتضررة من الزلزال، فخربت معظم بيوتها ومات أكثر سكانها، فلم ينج من سكان صفد سوى (400) نفس، والباقون ذهبوا ضحية الزلزال بين أنقاض البيوت المتهدمة[1]، وبلغ عدد اليهود الذين ماتوا بالزلزال حوالي (1500)، وبالمجمل خسرت طبريا أكثر من (500) نفس، إضافة إلى (40) جريحاً أما القرى المجاورة فكانت خسائرها متفاوتة [2].

ويُعدّ هذا الزلزال من أكثر الكوارث الطبيعية التي منيت بها فلسطينُ في القرن (الثالث عشر هجري/ التاسع عشر الميلادي)، وكانت قوة الطبيعة أضعاف قوة البشر المتواضعة، فمن شدة هول الزلزال لم يترك في قرية المشهد –على بُعد أربعة أميال شمالي الناصرة– بيتاً قائماً[3]، إضافة إلى انشقاق الأرض المحيطة بقرية الرينة* وابتلاع بعض سكانها، ووصف حال سكان المناطق المنكوبة بصورةٍ يندى لها الجبين؛ لما تعرضوا له من سلبٍ ونهبٍ من بعض السكان المحليين في الوقت الذي كانوا فيه بأمس الحاجة إلى التكاتف والتعاضد في مثل تلك الكوارث[4].

ويرجع سبب تفاقم الوضع الزلزالي في مدينتي صفد وطبريا عن غيرهما من المدن الفلسطينية، إلى الطبيعة الطبوغرافية للمكان الذي يتميز بالعلو الشاهق مقارنة بالمدن الأخرى خاصة مدينة الناصرة الأكثر قرباً لهما، علاوة على أنّ مركز النشاط الزلزالي كان في مدينة صفد[5]، وأدى توقيت حدوث الزلزال دوراً كبيراً في فداحة حجم الخسائر، فقد أجمعت أغلب المصادر أنّ الزلزال قد وقع في اليوم الأول من بداية سنة (1837م والموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان) قبل غروب الشمس بعشر دقائق[6]، وقت انتظار السكان المسلمين آذان المغرب في بيوتهم لتناول وجبة الإفطار، إضافة إلى طبيعة نظام البناء القائم في مدينة صفد التي

---

[1] قرألي، بولس، فتوحات، ص55–56.

[2] (م.ن)، ص55–56.

***الرينة:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الناصرة على بعد (1) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (16029) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 787 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص112–113. شراب، معجم، ص426).

[3] منصور، أسعد، تاريخ، ص80. عبيد، يوسف، قصة، ص30.

[4] منصور، أسعد، تاريخ، ص81.

[5] المبيض، قطاع، ص35.

[6] قرألي، بولس، فتوحات، ص56. رستم، أسد، المحفوظات، مجلد 3، ص 208، الدباغ، مصطفى، بلادنا، ق2، ج7، ص49.

أقيمت الأحياء الجديدة فيها فوق الأحياء القديمة[1]، فعندما تحركت صفائح طبقات الأرض انزلقت الأحياء الجديدة فوق الأحياء القديمة ما زاد من هول الكارثة.

وقد تحوّلت مدينتا صفد وطبريا إلى أنقاض بفعل الزلزال المهول، ما أجبر الناس بطبريا إلى استخدام الدواب نتيجة تعطل الطرق، كما توقف النشاط الاقتصادي في طبريا، وفيما يتعلق بعدد السكان من المسلمين فقد تناقص بشكل لافت، الأمر الذي أحدث تغيراً في التركيبة السكانية لصالح اليهود في المدينتين[2].

ويرجع ذلك التحوّل الديمغرافي لصالح اليهود أيضاً إلى أنّ المدينتين شهدتا هجرةً إليهما غلب عليهما الطابع اليهودي من الفقراء وأصحاب الحرف الصغيرة؛ نتيجة تدخل القنصليات الأجنبية خاصة البريطانية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى حماية القنصليّة النمساويّة لهم، إذ كان يعيش في صفد وطبريا حوالي (400–500) عائلةٍ يهودية من رعايا النمسا، لذا عُيّن لهاتين المدينتين سنة (1274هـ/1858م) وكيل قنصل نمساوي مقره صفد يدعى ميكلا سييفت(Michaela Swift)، إضافة إلى (3000) شخص يهودي يتمتعون بحماية فرنسا، سنة (1291هـ/1874م) عُيَّن لهم شخص من أصول جزائرية يحمل الجنسية الفرنسية هو صموئيل (Samuel) وكيل للقنصل الفرنسي في الجليل، وهو في نفس الوقت كان كبير الحاخامات في صفد[3].

ومر (طومسون) في رحلته بتاريخ (1837/1/22م) من طبريا إلى النّاصرة بعدّة قرى مسجَّلاً ملاحظاته حول ما رآه من أثار الزلازل الذي حدث في بداية العام، فمرّ بقرية لوبية* والشجرة* وكفر كنا* وصولاً إلى الناصرة، فشاهد الزلزال الذي أضرّ بهذه القرى بشكل متفاوت باستثناء قرية كفر كنا، إلا أن ما رسخ في ذهن

---

[1] العسكري، يسار، قصة، ص54.

[2] الكزاندر، شولش، تحولات، ص189.

[3] الكزنزاد، شولش، تحولات، ص189.

* **لوبية:** تقع إلى الغرب من مدينة طبرية على بعد (13) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (39629) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1712 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج6، ص424–425. شراب، معجم، ص639).

* **الشجرة:** تقع إلى الغرب من مدينة طبرية على بعد (10) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (3754) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 543 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج6، ص426. شراب، معجم، 466).

* **كفر كنا:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الناصرة على بعد (6) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (19455) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1175 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص94، ص98. شراب، معجم، ص628).

المعاصرين هو تلك المشاهد المؤسفة لسكان بعض القرى المجاورة لصفد عند ذهابهم إلى الأحياء المدمرة من صفد لتشليح الموتى وسلب الأحياء[1]، ويرجع ذلك إلى فقدان الأمن وعدم اكتراث الدولة بتوفير الحماية وتقديم الخدمات اللازمة للسكان المتضررين[2].

وتُظهرُ الإحصائيات أن عدد سكان مدينة طبريا قبل وقوع الكارثة عام (1232هـ/1816م) كان حوالي (2000) نسمةً في حين بلغ عدد سكانها عام(1264هـ/1848م) ما بين (1300–1400) نسمةً، وهذا ما يدلل على حجم الدمار والخراب وفقدان الأرواح بالمدينة[3]، وكان عدد من الرحّالة الذين زاروا المدينة في القرن التاسع عشر ومنهم الرحالة السويسري بيركهارت سنة (1228هـ /1812م) قد أكّدوا أنّ عدد سكانها بلغ نحو (4000) نسمة وأنّ ربعهم من اليهود[4].

ويورد (سخنيني) نقلاً عن الرحالة النمساوية أيد بغايفر(Ed Bagever) في وصف مدينة طبريا سنة (1258هـ/1842م) بعد وقوع الكارثة بنحو خمس سنوات، والتي لخّصت مشهد المدينة بأنّها أشبه بالخرائب، فمنازلها متهدَّمة تماماً، وأخرى محطمة جداً بشقوق كبيرة في الجدران، وكذلك أبراجُها وشرفاتُها مشقّقة، وبقيت صورة طبريا المتهدمة إلى فترات طويلة في كتب المؤرّخين رغم مضي عدة سنوات على وقوع الزلزال، فذكر الكابتن الأمريكي (لينش) الذي جاء إلى استكشاف نهر الأردن عام (1264هـ/1848م) أنّ الخراب ما زال ماثلاً عندئذ من جراء زلزال عام (1252هـ/1837م)، الذي أهلك قسماً كبيراً من أهلها، وكانت المدينة تعاني من سوء النظافة[5]، وفي عام (1274هـ/1857م) زار (طومسون) طبريا وقدّم وصفاً لها بأنها تقع على شاطئ البحيرة وهي محاطة بسور تمت تقويته بعدد من الأبراج، لكن زلزال سنة (1252هـ/1837م) أدى إلى إسقاط

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص 80–81.

[2] قرألي، بولس، فتوحات، ص57.

[3] سخنيني، عصام، طبرية: تاريخ موسوعي من انشائها سنة 20م إلى نهاية الانتداب البريطاني سنة 1948م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت/لبنان)، (د. ط)، (1430هـ/2009م)، ص271.

[4] سخنيني، عصام، طبرية، ص277.

[5] (م.ن)، ص 279–280. موسى، سليمان، رحلات في الاردن وفلسطين، دائرة الثقافة والفنون، (عمان/الاردن)، ط1، (1407هـ/1987م)، ص64.

جوانب كبيرة من السور، ثم لم يجر إصلاحه منذ ذلك الوقت، ولا توجد في سوريّة بلدة تماثل طبريا في كثرة أوساخها، وهي في الصيف شديدة الحرارة تكثر فيها الهوام والحشرات[1].

ولم تتغير صورة طبريا أيضاً حتى بعد مضي اثنتين وثلاثين سنة من وقوع الزلزال، إذ ذكر القس البريطاني اندرو توموسون(Andrew Thomson) عام (1286هـ/1869م) بأنّه شاهد أسوارها متهدمة في عدة مواضع بسبب الهزة الأرضية إذ توحي هذه الأسوار العالية أنه كان للمدينة شأن قبل حدوث الزلزال، وأنها تضم بداخلها مدينة ذات أهميةٍ، وأنّ فيها جزءاً كبيراً غير مأهولٍ، فتجمع السكان في الوسط كأنهم يخشون وقوع هزة أخرى، ويقدّر عدد سكان المدينة بـ(2000) نسمةٍ، بينهم عدد قليل من الأسر المسيحية و(800) شخصٍ يهوديّ، أما البقية فهم مسلمون، وأنّ النظافة معدومة فيها خصوصاً في الجزء اليهودي من البلدة[2].

وقد تأثّرت الناصرة بالكارثة التي حلّت بفلسطين عام (1252هـ/1837م)، ولكنّ الضرر كان أخف وطأةٍ مما حصل بصفد وطبريا، إذ دَمّر الزلزال (424) بيتاً أي حوالي ما نسبته (53%) من بيوتها، ولم تسلم البيوت الأخرى من الضرر، وكذلك فقدت (126) شخصاً من سكانها[3]، في حين تحولت عدد من القرى إلى قبور جماعية نتيجة تواضع مستوى أبنيتها من ناحية وتجمع غالبية سكانها عند غروب الشمس على مائدة الإفطار في شهر رمضان من ناحية أخرى، عدا عن الإصابات التي مني السكان بها خارج منازلهم جراء تشكل الصدوع الأرضية والانهيارت[4].

كما تهدَّم قسم كبير من دير البشارة في مدينة الناصرة، الذي سرعان ما أعيد بناؤه بعد مدة وجيزة ليغدو أفضل مما كان، وكذلك أثّر الزلزال في إغلاق نبع ماء النّاصرة التي كانت مصدر اعتماد السكان عليها

---

[1] سخنيني، عصام، طبرية، ص280.

[2] سخنيني، عصام، طبرية، ص280-281.

[3] المعلوف، عيسى، دواني القطوف، ص130-131. أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق في فلسطين 1869-1948م، مجلد 18، عدد 2، مجلة جامعة النجاح للابحاث (العلوم الانسانية)، (نابس/فلسطين)، (1425هـ/2004م) ص401.

[4] قعوار، نهى، تاريخ الناصرة: مسيرة عبر العصور، مطبعة فينوس، (الناصرة/فلسطين)، (د.ط)، (1401هـ/2000م). ص69-70. أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق، ص401.

بشكلٍ كبيرٍ في تزويدهم بالماء، فكانت تلبّي حاجة القرى المجاورة بالماء في فصل الشتاء وتشحّ كثيراً في الصيف والخريف[1]، ويقع هذا النبع فوق جرفٍ غربيٍّ لكنيسة الموارنة[2]، وتصدعت أيضاً كنيسة اللاتين في الناصرة وتهدم قسم كبير من الدير ثم أعيد بناؤه ليصبح أفضل مما كان سابقاً، وكذلك تهدمت الكنيسة الغربية أو كنيسة القديس يوسف وأعيد بناؤها[3]، بالإضافة إلى سقوط نحو ثلث بيوتها، واستمر تأثير الهزات لعدة أيام[4]، في حين نالت القرى المحيطة بالناصرة النصيب الأكبر من الخسائر، فأخذت كلٌ من القرى الممتدة ما بين طبريا والناصرة كلوبية والشجرة والجش* نصيباً من الدمار خاصة الأخيرة فلم يترك فيها الزلزال بيتاً قائماً[5].

وقد وصل فعل الهزة المدمرة إلى لواء عكا والمناطق المجاره، فتركت آثارها على الناحية الاجتماعيّة والسكانيّة والعمرانيّة، ومن النتائج التي نجمت عنها في قرى ومدن لواء عكا الآتي: تدمير قرية الجش وإصابة 235 شخصاً، وبلغ عدد وفيات قرية لوبيا (143) شخصاً جراء الكارثة، ودمرت قرية عين الزيتون*، وكذلك الحال قرية الشجرة والرينة اللتين دمرتا أيضاً، في حين تعرضت كفر كنا لتدمير محدود، أما الناصرة فقتل فيها (5) أشخاصٍ ولحق بها دمار متوسط للبنايات، وأما صفورية* فكان فيها الدمار غير مؤثّرٍ وبسيطٍ، وبلغ عدد قتلى مدينة عكا عدة أشخاص بالإضافة إلى بعض الجرحى[6].

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص81.

[2] (م.ن)،81. قرألى، بولس، فتوحات، 56.الدباغ، مصطفى، بلادنا، ق2، ج7، ص73. قعوار، نهى، تاريخ، ص101.

[3] منصور، أسعد، تاريخ، ص 138. الدباغ، مصطفى، بلادنا، ق2، ج7، ص74.

[4] قرألى، بولس، فتوحات، ص56.

* **الجش:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صفد، وبلغت مساحة أراضيها (12602) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 731 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج6، ص204–206. شراب، معجم، ص259).

[5] منصور، أسعد، تاريخ، ص81. الدباغ، مصطفى، بلادنا، ق2، ج7، ص100.

* **عين الزيتون:** تقع إلى الشمال من مدينة صفد على بعد (1) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (1100) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 386 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج6، ص187–188. شراب، معجم، ص556).

* **صفورية:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الناصرة على بعد (7) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (55378) دونماً، وبغ عدد سكانها عام(1341هـ/1922م) 2582 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج 7، ص108–109. شراب، معجم، ص487).

[6] غنايم، زهير، لواء، ص134–ص135.

وكذلك تدمير سور عكا الذي بني حولها خلال الحروب الفرنجية، ومع قدوم الحكم المصري لفلسطين أعاد (إبراهيم باشا) ترميم السور وتقويته، إلا أنّ الكارثة الطبيعية كانت أقوى من تلك التحصينات فلم يصمد معظمه أمام الزلزال الذي أدى إلى تدميره سنة (1253هـ/1837م) وبقي كذلك دون إصلاح أو ترميم[1].

ونالت مدينة نابلس نصيباً من الزلزال، فتهدّم جزء من المدينة ولجأ سكانها إلى المغاور والكهوف بعد أن قتل عدداً كبيراً من سكانها، فكان أكثرُ الضرر في حارة الحبلة[2]، ووصل تأثيرُه أيضاً إلى أقصى جنوب فلسطين إذ أحدث أضراراً عمرانية بمدينة الخليل وتركها تعاني من آثار الزلازل حتى نهاية خمسينيات القرن التاسع عشر[3].

وطال الزلزال كذلك مدينة الرملة، فأصاب مبانيها الدينية والأثرية، وأشار بعض الرحالة الأجانب إلى هذه الهزات التى ضربت فلسطين بشكلٍ عامٍّ والرملة بشكل خاص، ما أدى إلى مقتل بعض سكان المدينة وجرح عددٍ منهم، ومن الناحية العمرانية دمّر الزلزال عدداً من المساجد والزوايا والكنائس والمدارس بشكل كليّ أو جزئيٍّ[4].

وأجبر الزلزال سكان حيفا على إخلائها طيلة ثلاثة أيام، حيث لجؤوا إلى أراضي الخلاء دون أن يجسروا على المغامرة بالدخول إلى بيوتهم، نظراً لتكرار الهزات الأرضية، إضافة إلى تحول لون السماء إلى أسود ما زاد الرعب في قلوبهم، فضلاً عن تحوّل لون البحر إلى أحمر غريب، فاعتقدوا أنّ مياه البحر فقدت ملوحتها وأصبحت عذبة[5].

---

[1] (م.ن)، ص219.

[2] النمر، إحسان، جبل، ج2، ص260.

[3] شولش، الكزاندر، تحولات، ص195.

[4] نعمة الله، إبراهيم، الرملة في أواخر العهد العثماني (1281-1333هـ/1864-1914م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، (رسالة ماجستير/ غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، (غزة/فلسطين)، (1425هـ/2004م)، ص175.

[5] روجز، ماري، الحياة، ص382.

وقد ألحق هذا الزلزال أضراراً بالغة بالنشاط الاقتصادي، فدمّر كثيراً من المطاحن والدكاكين والمعاصر، فلم تقم الحكومة المصرية بتحسين البنية التحتية في البلاد، فتعطّلت المواصلات خاصة في المناطق المنكوبة، وظلت عمليات الانتقال ونقل البضائع من مكان إلى آخر في البلاد تتمُّ بوساطة الجمال والبغال والخيول [1].

وقد تفاوتت الأضرار التي خلفتها الزلازل من منطقة إلى أخرى في فلسطين من حيث القوة والضعف، ويعود ذلك إلى عدة أسبابٍ، منها:

1. المناطق التي كانت قريبة من مركز النشاط الزلزاليّ ترك فيها آثاراً جسيمة من قتلٍ البشر وتدميرٍ للحياة العمرانية، مثل: صفد وطبريا والمناطق المجاورة لهما، في حين تأثرت المناطق البعيدة عن مركز نشاط الزلازل بشكل بسيط فخلف أضراراً محدودة في المباني، مثل المنطقة الممتدة من غزة إلى بئر السبع التي تلقت الحد الأدنى من تأثير الزلازل، وذلك لأنها تعرّضت فقط لهزات جزئية أثرت على بعض ابنيتها القديمة[2].
2. أدى تصميم المباني داخل المدن والقرى دوراً كبيراً في زيادة الخسائر أو التخفيف منها، فمثلاً فالبيوت المبنية بشكلٍ متلاصقٍ وتداخل البناء القديم مع الحديث فيها كان له دور في إلحاق خسائر كبيرةٍ في العنصر البشريّ والعمرانيّ، وأكبر دليلٍ على ذلك ما حل بمدينة صفد. ثالثاً: تباين الطبيعة الطبوغرافية في فلسطين من مرتفعات جبلية ومناطق سهلية جعل المدن الجبلية تتلقى أكبر الخسائر والأضرار العمرانية، مثل: صفد وطبريا ونابلس وغيرهما، في حين أنّ المدن الأقل ارتفاعاً كان حجم الخسائر فيها محدوداً وبسيطاً مثل: مدينة الناصرة [3].

---

[1] صافي، خالد، الحكم المصري في فلسطين 1831–1840، مؤسسة الداراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، ط1، (1431هـ/2010م)، ص175.

[2] المبيض، سليم، غزة، ص35.

[3] منصور، أسعد، تاريخ، ص80–81.

وبناءً على ما تقدّم نستطيع أن نلاحظ أنّ زلزال عام (1252هـ/1837م) أدى دوراً كبيراً في زعزعة العمران وإحالة عدد من المواقع المأهولة في الأرياف والمدن إلى ركامٍ على رؤوس قاطنيها ما أثار الفزع والرعب في نفوس من سلم منهم فحملهم على الرحيل بعد تصدّع منازلهم وتشكل الانهدامات في محيطها، واختفاء عدد من الناس فيها، مما أسهم أيضاً في تفشي الأوبئة نتيجةً لشحّ الأقوات وسيادة البرد القارس، وتعفنّ الجثث وشيوع الهوام والقوارض والطيور الجارحة، ما دفع بالناجين إلى الرحيل وترك بيوتهم ومزارعهم خاويةً على عروشها[1].

ويرى الباحث أنّ الزلازل والظواهر الطبيعية الاخرى لا تعتبر كوارث طبيعية ما لم يكن لها تأثير على حياة الإنسان أو البيئة، حيث يتحكّم فيها عوامل كثيرةٍ، أهمها: حجم هذه الظاهرة وقربها من المناطق المأهولة بالسكان وحجم الكثافة السكانية، وكذلك تسبب الكوارث الطبيعية أضراراً ماديةً وبشريةً جسيمةً، كما تسبَّب العديد من المشكلات الاقتصاديّة والصحيّة والاجتماعيّة في العديد من الدول سواءً أكانت غنيةً أم فقيرةً، ولكنّ تأثيرها على الدول الفقيرة أكثر وأشدّ لقلة مواردها.

الموقفُ الرسميّ والمحليُّ

شهدت فترة الدراسة عدداً من الزلزال منها ما كان تأثيره ضعيفاً استطاع السكان التغلب على نتائجه وصعوباته، ومنها ما كان فوق طاقتهم خاصة زلزال عام (1252هـ/1837م) الذي كان مدَّمراً، لأجل ذلك كان لا بد من تكاتف المجتمع المحلي مع السلطة الحاكمة للتغلب على مثل هذه الكوارث، لكن ذلك لم يتم بسبب عدم قيام سلطة الحكم المصري آنذاك بدورها تجاه ذلك إلا بالقدر اليسير الذي يخدم مصالحها مقارنة بحجم الكارثة التى ألمّت بالسكان.

[1] أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق، ص400 401.

وفي هذا السياق أشار القنصلُ النمساويُّ أنّ الدولة المصريّة لم تقدم أدنى واجباتها لمساعدة المنكوبين أو تقديم أقل الوسائل اللازمة لهدم البيوت المتداعية[1]، ويضيف أن الدولة تركت السكان يعانون الويلات من هول الكارثة، ولم توفر الأمن للمنكوبين، فشهدت مدينة صفد حالة يندى لها الجبين من قساوة القلب عندما ترك سكان بعض القرى المجاورة لصفد موتاهم في قراهم وهرعوا إلى صفد لتشليح الموتى وسلب المناطق المتأثره من نكبة الزلزال[2].

ويمكن وصفُ دور الدولة المصريّة تجاه ولاية بلاد الشام بشكلٍ عامٍّ وفلسطين بشكلٍ خاصٍّ بالأنانيّة، فكانت تهتم باستغلال الموارد البشريّة والطبيعيّة، واتباع سياسةٍ إنشائيةٍ عسكريةٍ تمثلت في ترميم التحصينات التي أضر بها الزلزال، فأمر (محمد علي) بترميم ما أصاب تحصينات حيفا في جدرانها وأسوارها، في حين لم يُعطِ اهتماماً بترميم التحصينات الريفية، ولم يرمَّم قصر صفد ولا أسوار طبريا بعد أن هدمها زلزال عام (1252هـ/1837م)، فبقي على ما آل إليه بعد الزلزال من الخرائب[3].

"ومع ذلك عمل المصريون على ترميم حمامات طبريا وانشأوا حمامات أخرى جديدة فيها، وهي الشهيرة بينابيعها المعدنية الدافئة المفيدة كعلاج صحي، وصُمّم بناؤها على غرار حمامات مرمرة (معمار عثماني) وأرسلت تصماميمها إلى مصر للحصول على موافقة (محمد علي)، الذي أشرف على أعمال الإنشاء خطوةً بخطوة فكان ((إبراهيم باشا)) نفسه يستحمُّ في تلك الحمامات، وأفرد لنفسه غرفةً خاصة به بها حمام، وقد أرسل الأخير (111) جندياً إلى تلك الحمامات للعلاج وكان في مائها رائحة الكبريت"[4].

وقد بلغت هذه الحمامات شهرةً واسعة، إذ يؤمن الناس بان فوائدها الصحية كافية للقضاء على كافة الأمراض التي يتعرض لها جسم الإنسان، إذ تعد هذه المياه فعالةً لعلاج مرض الروماتيزم والوهنَ، ويؤمّها الناس في

---

[1] قرألى، بولس، فتوحات، ص57.

[2] منصور، أسعد، تاريخ، ص81.

[3] صافي، خالد، الحكم، ص343.

[4] (م.ن)، ص343.

تموز من جميع أنحاء سوريّة وفرض المصريون رسوماً على استعمالها[1]، وأسهمت هذه السياسة في زيادة أعداد القادمين إليها من أجل الاستشفاء[2]، وهذا دليل واضح على ان تلك الاعمال والإنشاءات الصحية كان الهدف من ورائها هو خدمة جنودهم وجني المال من مرتادیها.

ويرجع سبب عدم اكتراث الدولة المصرية بالكارثة التي حلت بفلسطين عام (1252هـ/1837م) أنها كانت مشغولةً في إخضاع بلاد الشام بشكلٍ عامٍّ وفلسطين بشكلٍ خاصٍّ لما شهدته البلاد من اضطراباتٍ ونشوب الثورات المتوالية ضدّ الحكم المصري، فبدلاً من تقديم يد العون والمساعدة الحكومية للسكان فقد انشغلت الدولة في محاربة السكان وأخذت تفرض عليهم الضرائب كضريبة الفرد والضرائب الزراعيةّ وغيرها[3].

وعادت بلاد الشام وفلسطين إلى حكم الدولة العثمانيّة بعد خروج الحكم المصري منها عام (1256هـ/1840م)، وكانت فلسطين ما زالت تعاني من آثار الزلزال الذي عصف بها أثناء الحكم المصريّ، فاتّبعت الدولة العثمانيّة سياسةً مغايرةً للسياسة التي اتبعها الحكم المصري، فعملت على توطين المهاجرين المسلمين في المناطق التي فقدت جزءاً كبيراً من سكانها خاصة صفد وطبريا، فأسكنت الجزائريين والشركس والتتر من بلغاريا وأرض الروملي_ أراضي الدولة العثمانيّة في قارة أوروبا_ بهدف تحقيق رغبة مزدوجة، تمثلت بإيجاد ثقلٍ إسلاميٍّ في مواجهة الاستيطان اليهوديّ الذين كانوا يتمتعون بأكثريتهم نتيجة الحماية الأوروبية، فتحوّلت صفد وطبريا بعد الزلزال إلى أنقاضٍ، ونمت المدينتان ثانية بسبب الهجرة اليهودية، فاصطبغت بالطابع اليهوديّ نتيجة الحماية البريطانيّة والنمساويّة والفرنسيّة لهما[4].

وقد أدّت حالة الفزع التي أحدثها الزلازل في نفوس السكان واختلاطها بالموروث الشعبي إلى بقاء المواقع الريفية الآيلة للخراب نذير شؤم ورعب يدعو أصحابها إلى الرحيل عنها، وذلك بعد أن اتخذت منها الغربان

---

[1] (م.ن)، ص343-344.

[2] سخنيني، عصام طبرية، ص274.

[3] العارف، عارف، المفصل، ص279.

[4] شولش، الكزاندر، تحولات، ص189-190.

والبوم أوكاراً لها، وظل إعمارها مرهوناً بقدوم موجةٍ سكانيّةٍ وافدةٍ، ونتيجةً لذلك فقد انتهجت الدولة العثمانيّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر سياسة النقل السكاني؛ لحل الخلافات بين السكان وتخفيف الازدحام السكاني على أطراف المدن، فعمدت إلى ذلك بهدف إعمار أكبر قدر ممكنٍ من مساحة الأراضي المعطلة[1]. وعملت الدولة العثمانيّة فيما بعد على إسكان جماعة من الجزائريين الذين تبعوا (عبد القادر الجزائري)* شمال بحيرة الحولة على مقربة من طبريا وصفد، فشكّل هؤلاء نصف السكان المسلمين في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ونشأت كذلك تجمعات للشركس حول طبريا وصفد، إلا أن المشروع باء بالفشل بسبب عدم مساهمة الدولة العثمانيّة في تمكين الشركس بمقومات الحياة[2].

وتمَّ إسكان الجزائرين العرب بعد عام (1273هـ/1856م) في عدة مدن، فأوجدوا عشر قرى، وسكن هؤلاء في أربع قرى في الجليل الأسفل عرفوا باسم المغاربة[3]، في حين سكن الشراكسة عام (1295هـ/1878م) في عهد السلطان عبدالحميد الثاني (1293–1327هـ/1876–1909م) في ثلاث قرى غربي الأردن، وهي كفركنا وساروناً* والريحانية*، وجاء ذلك لإعمار البلاد نتيجة الكوارث التي ألمّت بها من الزلازل، وبهدف

---

[1] أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق، ص401–402.

* **عبد القادر الجزائري:** جزائري الجنسية ولد في القيطنة من قرى إيالة وهران بالجزائر عام(1222هـ/1807م)، حارب الاستعمار الفرنسي للجزائر منذ أحتلالها (1245هـ/1830م) وقاتلهم خمسة عشر عاماً ثم استسلم عام (1263هـ/1847م) ونفوه إلى طولون وقدم إلى فلسطين ثم توفي في دمشق ودفن فيها عام (1300هـ/1883م). (الزركلي، خير الدين، الاعلام، ج4، ص45–46. شولش، الكزاندر، تحولات، ص190).

[2] شولش، الكزاندر، تحولات، ص189–190.

[3] أريه، افنيري، دعوى نزع الملكية: الاستيطان اليهودي والعرب في الفترة(1878–1948)، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، (عمان/الاردن)، ط 1، (1406هـ/1986م)، ص19.

* **سارونا:** تحريف لكلمة صارون الكنعانية، يمعنى سهل، قرية تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة يافا، أقيمت على أراضيها مستعمرة ألمانية عام (1288هـ/1871م)، بلغت مساحة أراضيها (1516) دونماً. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج4، ص358. شراب، معجم، ص438).

* **الريحانية:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا على بعد (27) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (1930) دونماً، وبلغ عدد سكانهاعام (1341هـ/1922م) 266 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص653–654. شراب، معجم، ص425–426).

تحقيق التفوق الإسلامي على اليهود الذين زاحموا السكان بدعم من الدول الأوروبية[1]، فزاد عدد سكان فلسطين خلال الفترة (1308–1334هـ/1890–1915م) من (473000) نسمةٍ إلى (590000) نسمةٍ[2].

وجاء هذا الإجراء العثماني بعد فرض الحكم المركزيّ عام (1280هـ/1864م)، فانتهجت الدولة العثمانيّة سياسة الإعمار للبلاد بالشراكة مع المجلس الإسلاميّ الأعلى، ففي عام (1308هـ/1890م) اقتطعت الدولة العثمانيّة (4000) دونمٍ من أراضي قرية شفا عمرو في خربة هوشه*، وأسكنت فيها المهاجرين الجزائريين لتصبح قريةً ناشئةً، بهدف إعمار المنطقة المستهدفة من الحركة الصهيونية وتعويض الخسائر السكانية التي خسرتها المنطقة نتيجة زلزال عام(1252هـ/1837م)[3]، وأثار الاهتمام الأوروبي بفلسطين بشكلٍ عامٍّ وبالناصرة بشكلٍ خاصٍّ بعد حرب القرم –بشكل متساوٍ مع مدينة القدس– تنشيط أعمال البناء بشكلٍ غيّر وجه البلد، فأخفت آثار الدمار التي أحدثها الزلزال المدمر لعام (1252هـ/1837م)[4].

أما على الجانب الشعبي فقد أعلن حاكم نابلس (أحمد آغا النمر) استعداده لإعادة إعمار البيوت التي دمّرها زلزال مدينة نابلس عام (1252هـ/1837م)، فقد أمر ابنه (عبد الفتاح آغا) سنة (1253هـ/1838م) بأخذ الشيد من ثمانين كبارة للمباشرة في عملية البناء للبيوت المتهدمة والترميم للبيوت المتضررة، إلا أنّ تلك المبادرة من هذا الحاكم لم تف بالغرض نظراً لحجم الخسائر التي منيت بها مدينة نابلس، فظلّت مدةً كبيرةً ترزح تحت نتائج الكارثة التي حلّت بها[5].

---

[1] أريه، افنيري، دعوى، ص21.

[2] (م.ن)، ص27.

[*] **خربة هوشه:** قرية مغربية تقع إلى الغرب من شفا عمرو، بلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 165 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص574).

[3] أبو بكر، أمين، تطور ملكية الاراضي في ساحل عكا 1869–1948م، مجلد 8، عدد2، المجلة الاردنية للتاريخ والآثار، (عمان. الاردن)، (1435هـ/2014م)، ص60.

[4] شولش، الكزاندر، تحولات، ص177–178.

[5] النمر، إحسان، جبل، ج1، ص260.

خريطة (1)

خارطة فلسطين توضح مناطق توزيع الزلازل

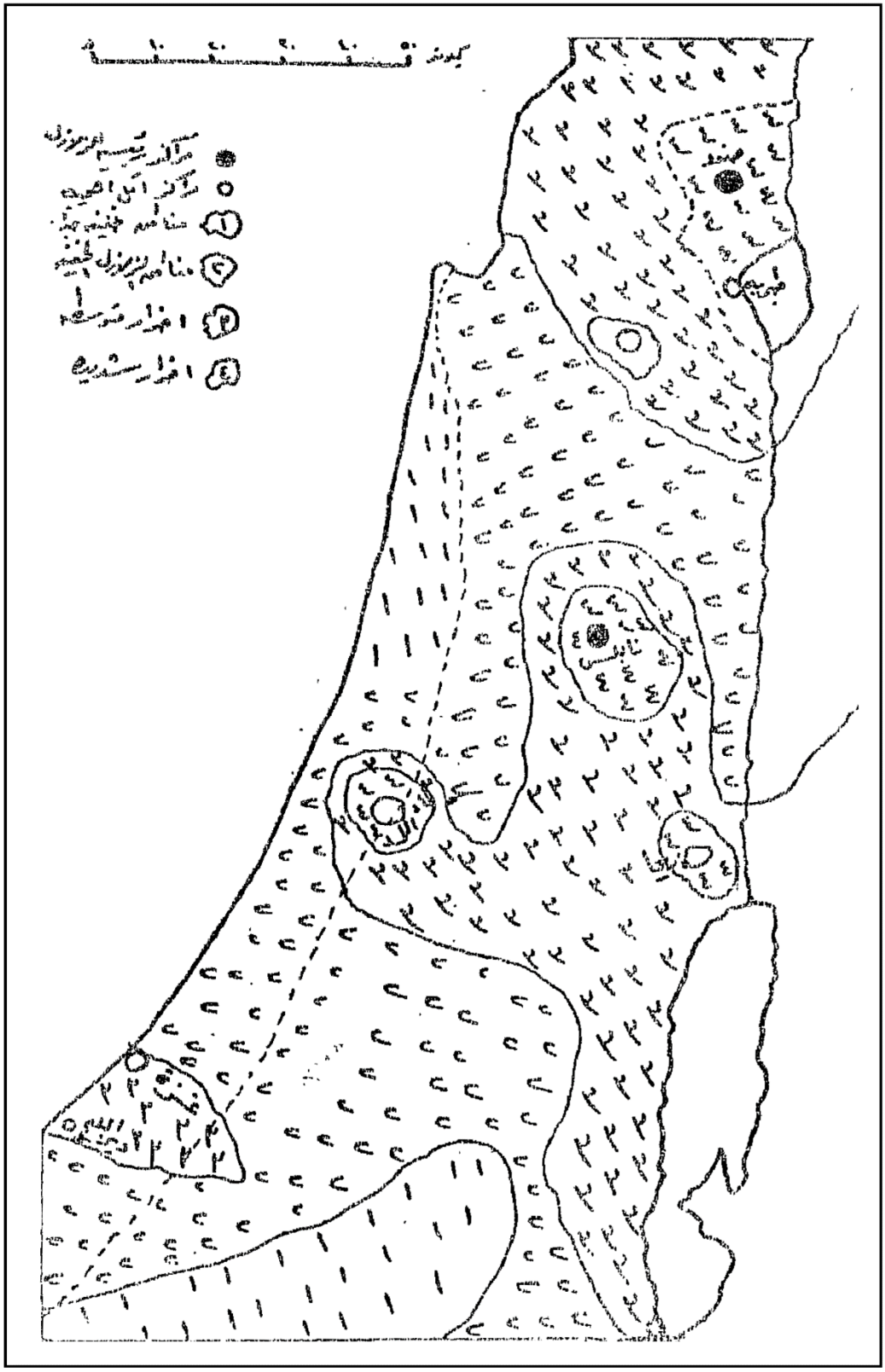

المصدر: المبيض، سليم، غزة، ص36.

الفصل الثاني

الأمراض والأوبئة في فلسطين

الأمراض وتأثيرها على الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة

تعرضت فلسطين خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي لانتشار عدد من الأمراض التي كان لها دور كبير في التأثير على حياة السكان في المستوى الاجتماعيّ، السياسيّ، الاقتصاديّ والصحيّ، وتنوّعت هذه الأمراض من حيث تاريخ انتشارها وتأثيرها في فلسطين، فمنها ما كان معروفاً سابقاً مثل: الطاعون* والملاريا*، ومنها ما كان حديث الانتشار مثل: الكوليرا* (الهواء الأصفر).

الطاعون

انتشر الطاعون في فلسطين منذ القدم، وكان يفد إليها من الدول المجاورة مثل مصر وسوريا، ففي القرن التاسع عشر تعرضت إلى عدد من موجات الطاعون التي أدت إلى زعزعة الاستقرار، وأثرت في حياة

---

* **الطاعون:** عرف بعدة أسماء: كالموت الأسود أو الوباء الشرقي أو الوباء الغدي عند الإفرنج، وهو داء فتاك شديد الوطأة، وكذلك هو مرض قديم جداً ظهرت أعراضه في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولكنه أصبح ظاهرة مرضية بعد سنة 767 ق.م، فعم سائر أقطار المعمورة ومن بعدها بدأ بالظهور في أرجاء العالم على شكل موجات متقطعة في مناطق مختلفة من العالم، ويطلق عليه العرب الحمى الوبائية، وذلك أنّ الحمى يصاحبها غالباً ورم والتهاب في بعض غدد العنق. (مجهول، الطاعون، مجلة الهلال، عدد 11، (29 شعبان 1314هـ/1 شباط 1897م)، ص408–409. ورتبات، يوحنا، مقالة في الطاعون، مجلة المقتطف، عدد 8، (24 ربيع أول 1317هـ/1 آب 1899م)، ص 606).

* **الملاريا:** مرض وبائيّ لم يتمكن العلماء من تشخيصه حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ينشأ نتيجة وجود جراثيم خاصة تقضي وقتاً من حياتها في دم الإنسان وتنتقل بوساطة البعوض المعروف بالناموس، حيث يمتص الناموس دم المصاب ثم يقذفها مع ما يقذفه من المواد السامة في دم السليم بغية تحويله إلى سائل يتمكن من امتصاصه. (جريدة فلسطين، عدد 69، 23 رمضان، 1329هـ/ 3 أيلول1911م، ص2. شهاب، سعد، قصة الملاريا وعلاجها، مجلة الثقافة، عدد 101، 22 حزيران 1965م، ص52–53).

* **الكوليرا (الهواء الأصفر):** مرض وبائي عرف عام (1233هـ/1817م)، بدأ ظهوره في الهند وانتشر في الشرق الأوسط لأول مرة عام (1238هـ/1821م) ثم تعمم عام (1246هـ/1831م)، ومنشئه نهر الكنج بالهند الشهير بالقذارة إذ تتجمع فيه بقايا النباتات وأجسام الحيوانات والأفاعي السامة إضافة ألى جثث البشر، وفد هذا المرض الى الوظن العربي عن طريق الحجاج الذين حملوه معهم من موسم الحج إلى بلاد الشام ومصر، والكلمة المرادفة للكوليرا بالعربية الهواء الأصفر وجاءت التسمية بسبب لون الرايات التي ترفع فوق السفن الموبوءة بالكوليرا. (شميل، شبلي، الكوليرا أو الهواء الأصفر، مجلة الهلال، عدد 5، 28 ذي الحجة، 1325هـ/1 شباط 1908م، ص 301. الكرملي، أنستاس، الهواء الأصفر، مجلة المشرق، عدد 23، 8 كانون أول 1902م، ص 1086. داوود، جورج، السلط وجوارها خلال الفترة 1864–1921م، بنك الأعمال، (عمان/الأردن)، ط1، (1414هـ/ 1994م)، ص 396. عيساوي، شارل، التاريخ الإقتصادي للهلال الخصيب 1800–1914، ترجمة: رؤوف عباس حامد، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/لبنان)، ط1، (1410هـ/1990م)، ص105).

السكان، وقد واجهت فلسطين أولّ موجة طاعون في القرن التاسع عشر للميلاد في عكا، حيث تم تناقل خبر وجود الطاعون في العاصمة العثمانيّة الآستانة... فخاف النصارى في عكا وصاروا يتحضّرون للاختباء في مراكز الحجر الصحي، ثم امتدّ ذلك إلى اليهود ومنهم إلى المسلمين بكل سرعةٍ وسرى في كل أنحاء عكا[1].

وقد ازداد عدد الموتى لدرجة أن المغسلين والمكفنين لم يستطيعوا غسل كل الموتى وتكفينهم، وكان تأثير الطاعون أشد فتكاً بالمسلمين، لأنّهم كانوا يرفضون الانعزال في بيوتهم أو الخروج إلى المناطق المجاورة تجنباً للإصابة بالمرض، فأصيب نصف أو ثلاثة أرباع أسر المسلمين، في حين بقي النصارى محافظين على عددهم[2].

ثم ظهر الطاعون مرةً أخرى، فكان بداية انتشاره بين أبناء الجالية اليهودية بشكل مخيف، ثم انتقل إلى معظم بيوت عكا[3]، فوصل عدد الموتى نتيجة تلك الجائحة إلى (120) نفراً يومياً، وكان المخبرون يخبرون بالقليل قصداً؛ للتخفيف من وقعه على المجتمع وعلى المغسلين والمكفنين، ولعدم إثارة الرعب في نفوس عامة الناس، وقد كان يتم اخراج الموتى قبل شروق الشمس بساعةٍ لغاية الساعة الرابعة أو الخامسة على ضوء المشاعل، وكانت أصوات البكاء والعويل تسمع في الليل في سائر بيوت البلدة، الأمر الذي كان يجمد الدم في جسم الناس، فعم الحزن والغم والنواح والخوف والفزع في قلوب الناس في تلك الأيام[4]، كما تعرضت مدينة الناصرة إلى وباء الطاعون فأصيب به عدد كبير من سكانها وسكان مدينة يافا[5].

وتعرضت فلسطين أيضا لموجات متعددة من وباء الطاعون بشكل متكرر بين الأعوام (1242هـ-1247هـ/1827-1832م) و(1253-1254هـ/1838-1839م) و(1256هـ/1841م) وذلك أكثر مما تعرضت له خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكانت موجة الوباء عام (1256هـ/1841م) آخر

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص129-130.

[2] (م.ن)، ص 130. عيساوي، شارل، التاريخ، ص105-106.

[3] العورة، إبراهيم، تاريخ، ص196. غنايم، زهير، لواء، ص130.

[4] العورة، إبراهيم، تاريخ، ص196.

[5] منصور، أسعد، تاريخ، ص82.

موجاته القوية التي ضربت فلسطين واختفى لاحقاً من منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، فخسرت حلب خلال موجة الوباء الذي ضربها عام (1242هـ/1827م) ما بين (20–25%) من سكانها، وكذلك خسرت الإسكندرية حوالي (25%) من سكانّها جراء موجة الطاعون الذي ضربها عام (1250هـ/1835م)، ويمكن القياسُ على حجم الخسائر التي لحقت بسكان فلسطين جراء موجات الطاعون[1].

وانتشر مرض الطاعون كذلك في مناطق مختلفة من القدس وبيت لحم وجوراها، فأرسل متسلَّم مدينة القدس إلى طبيب الجيش المصري (الجهة الإدارية الحاكمة في البلاد) رسالةً في شهر (رجب من عام 1248هـ/كانون أول عام 1833م) للبحث في سبب انتشار الطاعون وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة[2]، واستمر المرض في الانتشار حتى شهر رمضان من العام نفسه في عكا ما أدى إلى تأخر أعمال الترميم في قلعتها التي باشرت بها الإدارة المصرية، ومن الناحية البشرية قضى المرض على حوالي (2000) شخصٍ من سكانها[3].

وفي عام (1257هـ/1842م) ضربت موجة وبائيّة من مرض الطاعون مدينة الناصرة فكانت آخر موجة للطاعون باستثناء بعض الحالات الوبائية المحدوده في بعض جهات فلسطين خاصة في الموانئ[4]، إذ توثَّق كتب التاريخ تسجيلاً لبعض حالات الطاعون التي تعرضت لها فلسطين عام(1294هـ/1877م) وما بعده حيث أوقع خسائر مختلفة[5].

ومن هذه الحالات ما حصل عام (1332هـ/1914م) في الرملة، إذ انتشر ميكروب الطاعون واشتبه بأحد العبيد بأنّه يحمل الميكروب، وبعد الفحص تم التأكد من المرض وتمّ عزله وعزل العبيد الآخرين، ووضعت الرملة تحت الحجر الصحي؛ لاتخاذ الاحتياطات اللازمة للقادمين عبر مرفأ يافا حتى يتم حصر المرض،

---

[1] أوين، روجر، تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر (1800–1918)، الموسوعة الفلسطينية القسم الثاني، المجلد الأول، هيئة الموسوعة الفلسطينية، (بيروت/ لبنان)، (1410هـ/1990م)، ص562.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص180.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص255. صافي، خالد، الحكم، ص337.

[4] منصور، أسعد، تاريخ، ص82.

[5] عبد الرحيم، محمد، طولكرم وجرارها من عام (1281هـ –1337هـ/1864م–1918م)، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، فلسطين)، (1432هـ/2011م)، ص216. أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق، ص405.

قد تبيّن أنّ المرض انتقل إليها من السودان أو مصر[1]، وترتب على انتشار الطاعون في المدن الفلسطينية خاصة في يافا والقدس أن توقفت معظم الأعمال تماماً وانقطعت المواصلات وتعطلت حركة البضائع وواجه التجار صعوبةً في عملهم[2].

الملاريا

انتشرت الملاريا في فلسطين منذ فترةٍ زمنيةٍ، حيث يتميّز هذا المرض بانتشاره في الأماكن ذات المياه الضحلة وكذلك في أماكن الأنهار، وهذا يعني أنّ عدداً من مناطق فلسطين معرضة للتأثير بهذا المرض. ويُلحظ أنّ المناطق الساحلية لفلسطين كانت أكثر عرضة للإصابة بمرض الملاريا وغيرها من الأمراض؛ لأن بعض مياه الأمطار المتدفقة من الجبال لم تجد لها منفذاً إلى البحر وإنما كانت تحتبس على الأراضي الساحلية مشكلة المستنقعات، على عكس المناطق الجبلية التي كانت في منأى من هذا الخطر[3]، فتخلل السهول البصاص (مستنقع الماء) منها في سهل سارونة وسهل مرج ابن عامر وسهل صانور[4]، لكنّ أكثر المرضى الذين أصيبوا بها كانوا في منطقة سهل مرج بن عامر وجوارها[5].

ومن الحقائق المقرّرة أنّ الأمراض الحاصلة بسبب المياه المحمولة كانت نادرة؛ لأنه كان لكل بيت بئر يعتمد سكانه عليه في حاجتهم غالباً، والذين يستقون من العيون يستقون بجرارهم الخاصة ولا يمكن تلويث مصدر الماء الذي يستقون منه. ودخلت الملاريا إلى الناصرة من طبرية ومن الساحل، ويلحظ أنّ ما ساعد في مقاومة الأوبئة القادمة إلى الناصرة عدم التجمهر وبعد المساكن عن بعضها في الضواحي[6] على عكس الحميات المتنقلة في الهواء التي تنتشر بسهولة.

---

[1] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص193.

[2] صافي، خالد، الحكم، ص175.

[3] دوماني، بشارة، إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس 1700–1900، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (د. ط)، (1418هـ/1998م)، ص44. أوين، روجر، تاريخ، ص551.

[4] النمر، إحسان، جبل، ج1، ص36.

[5] منصور، أسعد، تاريخ، ص282.

[6] منصور، أسعد، تاريخ، ص281.

وفي عكا تكاد الملاريا لا تفارق سكانها بسبب المستنقعات الواقعة على مسافة ربع ساعة تقريباً من شرقيّ المدينة، إذ يوجد مستنقع مساحته السطحية من (2–3 كم^2) وعمقه نحو متر يسمى مستنقع شحوطة، الذي يتكوّن من فيضان نهر النعامين* أيام الشتاء، وكذلك يوجد بها مستنقع آخر داخل المدينة في الجهة الغربية منها يسمى بركة الحمام تبلغ سعته (200) مترٍ مكعبٍ، يتكون جراء تراكم مياه الأمطار، وكذلك يوجد مستنقع آخر بالقرب من بركة الحمام مساحته (500) مترٍ، هذه المستنقعات الثلاثة أسهمت في إفساد النظام الصحي لعكا[1].

ومما ساهم في انتشار هذه الأمراض في عكا أنّ المياه الذي تزوّد المدينة التي منبعها قرية الكابري* في الجهة الشمالية منها مكشوفة، ويصحب جريانها وجود الأمراض نتيجة اختلاطها بالشوائب والميكروبات، بالإضافة إلى الموروث الاجتماعي الذي أثر سلباً على صحة الناس في مدينة عكا باعتقاد سكانها أنّ ماء مستنقع (عين البقر) الذي يقع في الجهة الشرقية من عكا يشفي من كل داءٍ رغم أنه مليء بالأقذار والعفن[2].

وخلال فترة الحكم المصري ونتيجة القلاقل السياسية التى انتابت الدولة، اتبع (محمد علي باشا) في أثناء حكمه لبلاد الشام خطة تقضى بتوطين بعض القبائل المصرية لتثبيت حكمه، فانتشر الاستيطان المصري في عدة مناطق بفلسطين، فاستقرّت بعض القبائل في الحولة شمال فلسطين ومنها قبيلة الحوارنة، إلا أنهم عانوا كثيراً بسبب انتشار الملاريا في تلك المنطقة فكان معدل الوفيات بين أطفالهم كبيراً ما ساهم في تناقص أعدادهم بشكلٍ ملحوظ[3].

---

* **نهر النعامين:** نهر دائم الجريان على مدار السنة ولا يتجاوز طوله تسعه كم، ولا يتعدى هذا النهر منطقة سهل عكا. أما روافده الجارية تأتي من جبال الخليل، وأما النبع الدائم فيأتي من عين الكردانة أو الكرداني وعرفه الكنعانيون باسم نهر بعل. ويذكر بأسم نهر عكا حيث يصب في جنوبها الشرقي على بعد (2) كم منها. (الدباغ، بلادنا، ق1، ج1، ص32. شراب، معجم، ص712).

[1] التميمي، محمد، ولاية، ص132.

* **الكابري:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا على (13) كم منها. وبلغت مساحة أراضيها (47428) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 553 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص349–350. شراب، معجم، ص614).

[2] التميمي، محمد، ولاية، ص132–133.

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص17.

كذلك لم يختلف حال قصبة سلفيت* عن عكا من الناحية الصحية، فهي تعتمد في مصدر المياه على نبعٍ يخرج من وادٍ في الشمال الغربيّ منها، ويتصف هذا النبع بسوء النظافة نتيجة اتساخه من مخلفات الأبقار واستخدامه للغسيل ما يجمع الذباب حوله، إضافةً إلى أن جريان المياه فيه يكون مكشوفاً[1]، ولم تكن قرى ناحية جماعين* بأحسن حالاً من قرى سلفيت حسب إجابة أحد مخاتير قرية سلفيت، فيذكر (غنايم) نقلاً عن صاحب كتاب (ولاية بيروت) حال قرى نابلس ومنها قرية كفل حارس*، إذ كان المرض قد محقها والجهل فيها مطبق، الأمر الذي ساهم في فنائها، ووصف حال النساء وكأنّهنّ هيكل عظميّ، نتيجة الجوع وسوء الوضع الصحي، فاستولى على الأطفال الدنس والوحل وفسدت عيونهم وسترت وجوههم وأيديهم وأرجلهم فغطتهم طبقة من الذباب، وكذلك الرجال الذين خارت قواهم فأثوابهم متسخة وبيوتهم دنسة وغرفهم مملوءة بالدخان والعفن[2].

وكان أهالي القرية لا يعطون الصحة أدنى اهتمام، فكانوا يأخذون الدلو الملقى في جانب روث الأبقار فيغمسونه في بئر القصبة ثم يخرجونه منها، فلا يرى أحد منهم حرجُ بأن يشرب منه ويدخل فيه أنفه بمخاطه، وفمه ببصاقه ولحيته وشاربه بوسخهما، وأن يدنّس فيه يديه بقذارتهما، حيث كانت تظهر آثار النظافة على العجول أو صغائر الماعز أكثر من أطفال القرية الذين يطوفون عراة وينامون عراة ويتمرغون بالتراب[3].

---

* **سلفيت:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس على بعد (26) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (23117) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 901 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص505-507. شراب، معجم، ص450).

[1] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب تحت عنوان ولاية بيروت، ج1،الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، (بيروت/لبنان)، (د.ط)، (1421هـ/2000م)، ص47.

* **جماعين:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (16) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (19821) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 720 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص 484-485. شراب، معجم، ص268).

* **كفل حارس:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (23) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (9393) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 373 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص529، ص532-533. شراب، معجم، ص631).

[2] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص71.

[3] غنايم، محمد، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص71.

***زيتا-جماعين:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (18) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (12887) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 283 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص523-524. شراب، معجم، ص 436).

ولم تختلف قرية زيتا–جماعين* عن قرية كفل حارس بسوء الوضع الصحي فقد كانت العفونة تنتشر في القرية، وهواؤها فاسد لدرجة أنه كان يلمس بالأيدي، ففي بداية القرن العشرين بلغ عدد سكانها حوالي (300) شخصٍ أخذت العسكرية ثلثهم وقتلت الأمراض نصفهم، أما الباقون فلم يقدروا على تحمل الأوضاع بسبب الجوع، فكان حال القرية عام (1334هـ/1916م) خاوية تبعثرت فيها جثث الحيوانات والكلاب تنهش لحمها فاستولى على محيط القرية الخالية الرائحة النتنة التي تخرج من تحت التراب ومن بين الحجارة ومن وراء الجدران[1].

وعلى عكس ما تقدّم فقد كانت منطقة طولكرم تتميز بطيب هوائها وحسن صحتها، لأن مبانيها مبنيه على طراز يوافق حفظ الصحة تماماً، ما انعكس إيجابياً على قلة وجود الأمراض السارية مثل الهواء الاصفر والتيفوس والملاريا عدا عدد من الإصابات التي حصلت، نتيجة مرور البشر لموقعها المهم ولم يسجل فيها إصابات بالكوليرا[2].

وعلى الرغم من ذلك فقد كان على مقربة من طولكرم ما قد يسبب وقوع كارثة صحية فيها، فعلى بعد ساعتين منها تجاه الغرب والشمال الغربي تواجدت المستنقعات باتساع كليو مترين أحدهما يسمى قطورية والثاني بصه ومستنقع آخر بمساحة كيلو متر يسمى بركة عطا، وهذه المستنقعات الثلاثة تسببت بحدوث حمى

* **زيتا–جماعين:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (18) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (12887) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 283 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص523–524. شراب، معجم، ص 436).

[1] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص73–74.

[2] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص210–211.

الملاريا في القرى المجاورة لها مثل إجليل* وحرم* وقلنسوة* وجت* وقاقون* وزيته* وباقة الغربية* الأمر الذي كان سبباً في تسجيل عددٍ من الإصابات قدرت بالآلاف في العام الواحد، في حين قدر عدد الوفيات فيها بعشرة بالمائة ويُعزى انتشار هذا المرض في هذه الأماكن لكثرة المواد العضوية في منطقة طولكرم[1].

وأما بحيرة الحولة* فكان يقطنها عام (1297هـ/1880م) عدد قليل من البدو الرحل وفلاحون من القرى المتفرقة، بسبب تحول مياهها إلى بؤرة للحمى في بعض فصول السنة فكان محيطها غير صحيّ للغاية، غير أنّ تصريف مياهها والزراعة فيها كان من الممكن أن يجعلها منطقة صحية على الرغم من صعوبة تطبيقه نتيجة الطبيعة الطبوغرافية المستوية لمحيط البحيرة[2]، وكذلك الحال فإنّ أراضي بيسان وسهولها عام (1297هـ/1880م) كانت بحاجة إلى نظام للري والتصريف المائي ذلك أنها بؤرة للحميات وأراضيها غير صحية ولأجل ذلك كانت قليلة السكان[3].

---

* **إجليل:** تقع بين قريتي الشيخ مونس والحرم قضاء مدينة يافا، وتقسم الى قسمان شمالية وجنوبية، بلغت مساحة أراضيها (17657) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 154 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج4، ص346. شراب، معجم، ص60).

* **حرم:** تقع إلى الشمال من مدينة يافا على بعد (18) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (8065) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 172 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج4، ص349. شراب، معجم، ص292).

* **قلنسوة:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طولكرم على بعد (4) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (27496) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 871 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص365. شراب، معجم، ص610).

* **جت:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة طولكرم، بلغت مساحة أراضيها (9631) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 680 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص346-347. شراب، معجم، ص249).

* **قاقون:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة طولكرم على بعد (7) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (41767) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1629 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص335-336. شراب، معجم، ص590-591).

* **زيته:** تقع إلى الشمال من مدينة طولكرم وتبعد (10) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (6410) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1087 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص331-332. شراب، معجم، ص436).

* **باقة الغربية:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة طولكرم وعلى بعد (15) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (22024) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1443 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص348-349. شراب، معجم، ص140-141).

[1] غنايم، زهير, ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص211-212.

* **بحيرة الحولة:** سميت بهذا الأسم نسبة إلى حول احد ابناء آرام وعرفها الكنعانيون باسم مياه ميروم بمعنى المياه المرتفعة. ترتفع (70) متراً عن مستوى سطح البحر المتوسط، وكانت تقع في الشمال الشرقي من فلسطين، جففت البحيرة تماماً سنة 1958م ولم يبق لها ذكر. (الدباغ، بلادنا، ق1، ج1، ص66-68).

[2] أوليفانت، لورنس، أرض جلعاد: رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين (1880)، ترجمة: أحمد، العبادي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، (عمان/الأردن)، ط1، (1425هـ/2004م)، ص52.

[3] أوليفانت، لورنس، أرض، ص362.

وتعرضت أيضاً منطقة قلقيلية لعدد من الأمراض، فمنذ بدء الحرب العالمية الأولى توفي بالملاريا والحمى (300) شخصٍ بسبب قلة مناعة أجسام الشيوخ والنساء للأمراض، أما أراضي قرية ملبس* فقد قام سكانها عام (1297هـ/1880م) بتجفيف المستنقعات التى تحيط بها وحولوها لأراضٍ صالحة للزراعة، مما جعلها في منأى عن موجات الأمراض الوبائية لدرجة أنّ الأمراض السارية من التيفوس والملاريا والهواء الأصفر التي انتشرت بين عامي (1330–1331هـ/1912–1913م) فتكت فتكاً ذريعاً في أنحاء فلسطين لكنها لم تصلها، ويرجع ذلك إلى اعتناء سكانها بالنظافة والاهتمام بالوضع الصحيّ في القرية[1].

ووصُفت جنين بسوء الوضع الصحيّ فقد كانت كغيرها من المدن الفلسطينية تجلب مياهُها التى تجري للبلدة الأوحال والعفونة، فكان السكان يملؤون الدلاء للشُّرب في جهة من هذا المجرى وفي الجهة الأخرى منه يغسلون أقدامهم القذرة، وتأتي الحمير والبغال وسائر ما يدخل إلى القصبة من الحيوانات فتشرب من هذا المجرى أيضاً لذلك يظنُّ الإنسان حين دخوله إلى جنين أنّه في سوق حيوانات، ونتيجةً لسوء النظافة والعفونة التى امتلأت بها جنين أصيب أكثر الأطفال بالجرب بالإضافة إلى تعرض بعض سكانها للإصابة بمرض الملاريا[2]. أما مدينة نابلس فلم تكن بأفضل حال، فتميّزت ينابيعها بالعفونة التي تسببها المياه ما نتج عنها أمراض رئوية، لكن احتواءها على معدن أكسب شاربها نوعاً من المناعة[3]، وعلى الرغم من ذلك فإن علة الملاريا حلت بنابلس بسبب كثرة المياه وترعها في الوادي[4].

وفي سنة (1315هـ/1897م) انتشرت الملاريا في صفد وكانت شديدة الوطأة على الناس، فقيل إنّ المصاب لم يكن يحتمل أكثر من (24) ساعة ويلقى حتفه، ما أدّى إلى وفاة كثير من السكان، كما انتشرت في إحدى قرى قضاء صفد فكان في كلِّ بيتٍ مصاب أو اثنان بها، كما انتشرت سابقاً بصورة واسعة في الناصرة

---

* **ملبس:** تقع إلى الشمال الشرقي من يافا، أقيمت على أراضيها مستعمرة بيتاح تكفا اليهودية عام 1878م، وكانت مساحة أراضيها حينئذ (2000) دونماً. الدباغ، (بلادنا، ق1، ج1، ص279–280).

[1] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص228–230.

[2] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص250، ص256.

[3] النمر، إحسان، جبل، ج1، ص42.

[4] التميمي، محمد، ولاية، ص115.

وقضائها سنة (1309هـ/1891م)[1]. وانتشرت الملاريا في المناطق التي تكثر فيها المستنقعات مثل الحولة وطبرية وقيسارية* وغيرها، فمثلاً كان سكان قرية البعنة* مصابين بالملاريا بصورةٍ شبه دائمةٍ بسبب المستنقعات التي تغطي السهل القريب منها[2]، وشكل وادي الحولة بيئةً مناسبةً لانتشار الملاريا إذ تحاشى السكان الاستقرار فيها خوفاً على أنفسهم من ذلك الوباء، إلا أنه كان فيها بعض البدو الذين كانوا يغادرونها عند شعورهم بالإصابة، وأطلق العرب على المنطقة المصابة بالملاريا بالزبيد[3].

وكان البدو الوحيدون المستعدون للاستقرار في المنطقة في الجزء الجنوبي من منطقة البحر الميت، في حين كان القادمون الجدد قد جذبتهم وفرة المياه إلى وادي الحولة والسهول للزراعة وإمكانية بناء الأكواخ من القصب دون أي عناء وتكاليف، وبالرغم من ذلك فإن عدد السكان لم يكتب له النماء بسبب وباء الملاريا الذي كان يفتك كثيراً بالأطفال وفي بعض الأوقات كان يسبّب عجزاً كلياً للأطفال بنسبة (100%)، وبذلك سببت الملاريا هجرة المستوطنين بشكل متكرر لفترة طويلة. وتسببت مياه نهر الأردن بغمر الأراضي المنخفضة القريبة من بحيرة طبريا مما شكل مستنقعات للحشرات الحاملة للملاريا[4].

وفي عام (1330هـ/1883م) أقيمت قرية زراعية يهودية بداية الاستيطان الصهيوني على ضفة بحيرة الحولة الغربية، إلا أنها لم تستمر بسبب الملاريا المنتشرة على الرغم من استطاعة بعض القبائل الفلسطينية أن تنجح في الاستمرار لبعض الوقت، وفي عام (1319هـ/1901م) قررت الحركة الصهيونية تجفيف بحيرة الحولة للتخلص من الملاريا وحمى المياه السوداء والاستفادة من المناطق المستصلحة للزراعة، فقاموا بوضع خطةٍ لزيادة عرض مجرى نهر الأردن، وحصلوا على امتياز من الدولة العثمانيّة من أجل تنفيذ المشروع،

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص130-131.

* **قيسارية:** مدينة فلسطينية إلى الجنوب من عكا وتبعد عنها حوالي (30)كم، تشتهر بمياهها الغزيرة وحاصلاتها الوفيرة، وهي من المدن الرومانية القديمة فيها العديد من الآثار. (شراب، معجم، ص612-613).

* **البعنة:** تقع بالقرب من الطريق العام بين عكا وصفد على بعد (18 كم) من الأولى، بلغت مساحة أراضيها (1489) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 518 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص391-392. شراب، معجم، ص163).

[2] غنايم، زهير، لواء، ص132.

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص42.

[4] (م.ن)، ص42-44.

وقاموا بحفر قنوات التجفيف بأيديهم وتم تجفيف جزء من المستنقع، وبعد أن حضروا الأرض الزراعية سيطر عليها فلاحو الطليل – سكان قرية قرب الحولة – بالقوة وبدأوا بزراعتها ولكنهم أهملوا قنوات التجفيف، ولم يمض وقت طويل حتى عادت الأرض المجففة إلى مستنقعٍ مرة أخرى[1].

وشكلت المستنقعات في ساحل البحر المتوسط مناطق جذابةٍ للبعوض المحملة بالملاريا، ما سبب مشكلةً في استقرار الناس بمنطقة جنوب جبل الكرمل خاصةً بعد حملة (نابليون) وحملة (إبراهيم باشا)، وكانت المنطقة الساحلية بين الكرمل والطنطورة* عام (1291هـ/1874م) جزءاً موحشاً قليل السكان، وإلى الجنوب من الطنطورة كانت تقع مستنقعات كابارا التى كونها نهر الزرقاء*، وإلى الجنوب من هذه المستنقعات هناك تلال الكثبان الرملية المتحركة في قيسارية، حيث الحشرات الضارة في الشمال والجنوب التي تمنع الناس الذين يحاولون الاستيطان فيها، وخير دليل على ذلك أن الشركس* الذين حاولوا الاستقرار في هذه المنطقة انقرض قسم كبير منهم بسبب الملاريا[2].

وكذلك الحال غادر فرسان الهيكل الألماني* بعد إقامة قصيرة في المنطقة، ثم تبعهم لاجئو البوسنة الذين منحهم السلطان عبد الحميد الثاني (1293هـ/1876م–1327هـ/1909م) الحماية، ولوقتٍ قصيرٍ كانوا

---

[1] أريه، افنيري، دعوى ص 82–84.

* **الطنطورة:** تقع إلى الجنوب من مدينة حيفا على بعد (30) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (14520) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 750 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص609–610. شراب، معجم، ص503).

* **نهر الزرقاء:** أحد انهار فلسطين المنتهية في البحر المتوسط، ويعرف بنهر التماسيح بسبب وجود التماسيح به قديماً، يصرف مياه السفوح الغربية لجبا أم الفحم والنهايات الجنوبية الغربية من جبل الكرمل، يصب شمال موقع قيسارية بنحو (4) كم يبلغ ظوله قرابة (25) كم. (شراب، معجم، ص430).

* **الشركس:** جماعة مسلمة هاجرت من ولاية البوسنة والهرسك الأوروبية، على أثر حرب الدول الأوروبية ضد الدولة اللعثمانية عام(1295هـ/1878م). فنزلوا الأراضي العثمانية ومنها بلاد الشام وفلسطين خاصة قيسارية ولواء عكا. (غنايم، زهير، لواء، ص172).

[2] أريه، افنيري، دعوى، ص 50.

* **فرسان الهيكل الالماني:** تعود أصولهم إلى حركة الأتقياء التي ظهرت في ألمانيا في القرن التاسع عشر الميلادي في مدينة فورتمبرغ بعد أن انفصلت عن الكنيسة الإنجيلية عام 1861م، كحركة دينية إصلاحية أكدت على دراسة الكتاب المقدس، وعلى الخبرة الدينية الشخصية ودعت كل رجل تقي أن يبحث له عن مكان في الشرق لقرب قيام مملكة الرب هناك. (محافظة، علي، العلاقات، ص100. نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص94).

ناجحين وأصبح عددهم يزداد إلا أنهم تناقصوا فيما بعد بسبب الملاريا[1]، وشكلت ينابيع المياه حول أراضي قرية ملبس والوادي مستنقعاً بداخله ملايين البعوض الناقل للملاريا التي ساهمت في تسميم الجوّ[2].

وكان النقب والمناطق الجنوبية من فلسطين أقل المناطق تأثراً بوباء الملاريا؛ نظراً لقلة مصادر المياه وقلة الأمطار فيهما، فكلما انتقلنا من الشمال الفلسطيني إلى الجنوب قل معدل سقوط الأمطار مع تباينه من سنة إلى أخرى. ومع ذلك فقد تعرضت بيت جبرين* عام (1292هـ /1875م) إلى موسم مطريّ وفيرٍ تميز عن غيره من الأعوام السابقة، ما تسبّبت في وفاة (500) شخص بسبب انتشار الملاريا نتيجة الحشرات التي تكونت في البقع المنخفضة التى لم تجف خلال فصل الصيف، ولم يكن لدى السكان أي فكرة لتجفيف تلك المستنقعات[3].

وتفشّت حمّى الملاريا في تشرين الأول من سنة (1330هـ/1912م) في كلٍّ من القدس ويافا والخليل، فأُصيب بها كثيرون نتيجة عدم توفر التدابير الصحية، بسبب تكاسل المجلس البلديّ بالنظر في شؤونه وإنقاذ الناس منه[4]، وظلت القدس ويافا والخليل تعاني من حمى الملاريا حتى منتصف شهر تشرين الثاني من العام ذاته ومن هذه المناطق انتقلت إلى مدينة غزة، فأجرى طبيبان مختصان بعلم الميكروبات أبحاثهما على تحليل دماء مجموعةٍ من السكان عددهم (160) شخصاً فتبين أن خمسة وعشرين منهم مصابون بحمى الملاريا على درجات مختلفة، وخلصوا إلى أنّ الذين أصابتهم حمّى الملاريا في تلك الأيام (16%) من السكان وهي نسبة كبيرة[5].

---

[1] أريه، افنيري، دعوى، ص51.

[2] (م.ن)، ص52.

* **بيت جبرين:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الخليل وتبعد (26) كم عنها، وبلغت مساحة أراضيها (56185) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1420 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج5، ص301. شراب، معجم، ص181).

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص 56.

[4] جريدة المنادي، عدد 37، 11 ذي القعدة1330هـ /22تشرين اول1912م، ص4.

[5] جريدة المنادي، عدد 39، 25 ذي القعدة 1330هـ/ 15 تشرين الثاني1912م، ص3.

الكوليرا

يعُد وباء الكوليرا وباءً جديداً مقارنةً بالأوبئة الأخرى، وكان بداية انتشاره في البلاد العربية وفلسطين عام (1246هـ/1831م) ومصدره الهند، فقد انتقل منها نتيجة مخالطة الحجاج الهنود مع بقية الحجاج في الحجاز الذين نقلوه إلى بلادهم[1]، وتعد الكوليرا من الأمراض ذات التأثير واسع الانتشار خاصة مع ما تركته من نتائج سيئة في المناطق التي حلّت بها، فقد عرفت سوريّة وفلسطين خلال القرن التاسع عشر الميلادي الكوليرا والملاريا اللتين انتشرتا عدة مرات خلال الحكم المصري، وتفشيا بسرعة بين السكان والقوات العسكرية، فقتلا عدداً منهم، حيث أصيب (إبراهيم باشا) نفسه بمرض الملاريا سنة (1250هـ/1835م) وهو في عكا، ما دفعه إلى وضع قواته في مناطق معينة لكنهم تعرضوا فيها لغارات الفلاحين والبدو[2].

وكان انتشارُ وباء **الكوليرا** (الهواء الأصفر) في فلسطين في المناطق المنخفضة ومتوسطة الارتفاع، في حين أنّ المناطق الجبلية العالية كانت في منأى عنه بسبب عدم توفر بيئةٍ مناسبةٍ تسمح له بالتأقلم فيها حيث درجات الحرارة المتدنية التي تحدُّ من قدرة بكتيريا الهواء الأصفر العيش فيها[3]. وذلك لأنّ الكوليرا تترعرع في المناطق التي تزيد درجة حرارتها عن (17) مئويةٍ[4]، وشكلت بيروت نقطة بدايةٍ لانتشار الكوليرا، وعلى طول الساحل شمالاً وجنوباً منتقلة إلى الأراضي المنخفضة بشكلٍ عامٍّ، غير أنها لم تسر على وتيرة واحدة مثلما حدث في القدس ونابلس اللتين فقدتا (10%) من سكانهما عام (1281هـ/1865م)، بينما لم تمسّ مدينة طبرية الواقعة على بحر الجليل[5].

---

[1] شميل، شبلي، الكوليرا او الهواء الاصفر منشأه وسببه والوقاية منه، الهلال، السنة السلدسة عشر، عدد 5، 28 ذي الحجة 1325هـ/1 شباط، 1908م، ص301–302. عيساوي، شارل، التاريخ، 106.

[2] صافي، خالد، الحكم، ص215.

[3] المعلوف، عيسى، دواني، ج1، ص27.

[4] (م.ن)، ص113.

[5] عيساوي، شارل، التاريخ، ص104.

وقد نشرت المحفوظات الملكيّة في (22 من شهر ربيع الأول لسنة 1248هـ/18 آب عام 1832م) أنّ الهواء الأصفر انتشر بين جنود العساكر في عكا ومنهم تفشّى إلى الأهالي، فصدرت الأوامر العسكرية بإرسال باقي الجنود الموجودين في عكا إلى مصر خوفاً من تفشّي المرض بين الجنود[1]، وفي (27) من نفس الشهر أمر (محمد علي) بتطبيق الحجر الصحي على جنود العساكر؛ لظهور الهواء الأصفر في صفوفهم[2].

وبتاريخ (3–5 من شهر ذي القعدة من عام 1248هـ/23–25 أذار من عام 1833م) تفشّى مرضُ الكوليرا في مدينة القدس، فقام (محمد علي باشا) بنقل الجنود إلى يافا، وأمر جيشه بعد يومين بتنظيف المستشفيات في عكا وإعدادها لاستقبال الجنود المصابين، وزوّدها بألف طقمٍ من الأقمشة اللازمة للمستشفيات[3]، وتذكر المصادر أن مدينتي عكا ويافا خسرتا جراء موجة الكوليرا بين عامي (1247–1248هـ/1831–1832م) ما بين (10–12%) من مجموع سكانهما[4].

ويشير تقرير الحكومة المصرية بتاريخ (20– 26 من شهر صفر لعام 1249هـ/8–14 تموز لعام 1833م) إلى انتشار الكوليرا بين بعض موظفي عكا، فقتلت (سليمان آغا ناظر البنائين) هناك، وعلى إثر ذلك تم إرسال شخصٍ آخر ينوب عنه[5]، وفي تاريخ (21 ربيع الأول 1253هـ/24 تموز 1837م) انتشر الهواء الأصفر في حارة اليهود* في القدس وبعدها تفشّى في مدينة القدس وانتقل إلى غزة والرملة [6].

وأخذ وباء الكوليرا عام (1253هـ/1838م) بالانتشار في قرية كفر كنا بين صفد وعكا، فأُرسل طبيب إلى المكان، وعندما اكتشف الوباء فيها تمّ عزلها، وبين أيار وتموز من نفس العام انتشر الوباء وأغلقت مدن

---

[1] رستم، أسد، المحفوظات، مج 2، ص 78. غنايم، زهير، لواء، ص 35، ص131.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص83.

[3] (م.ن)، ص287–288.

[4] أوين، روجر، تاريخ، الموسوع الفلسطينية، ق2، مج1، ص562.

[5] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص339.

* **حارة اليهود:** تقع بالقرب من محلة المغاربة، غربي حارة الشرف وحارة الصلتيين. (العربيات، غالب، تاريخ، ص30).

[6] رستم، أسد، المحفوظات، مج3، ص242–244.

كثيرة أبوابها عدة أسابيع، ومنها يافا والقدس، وكان غرض هذا الإجراء منع انتشار الوباء بين القرى، إضافة إلى تعيين حارسٍ خاصٍّ بالحجر الصحي في المدن الأخرى لمنع اقتراب الأشخاص القادمين من يافا[1].

"وانتشر خبر الإجراءات انتشاراً واسعاً، إلا أنه وبرغم تطبيق حجرٍ صارمٍ بإشراف الموظف الصحي الحكومي، فقد أصيب كثير من الناس بينهم أجانب، ومات البعض، وتم إرسال (حكيم باشا) وهو طبيب حكومي من الاسكندرية لتسلم إدارة دائرة الصحة، واتخذت تلك الإجراءات كلها بإشراف (إبراهيم باشا) من مقرّه الرئيس في حلب، وزوّد الطبيب الحكومي بعض المسافرين شهادات خلوٍّ من الأمراض، كي يتحاشوا إجراءات الحجر الصحي في عدة أماكن"[2]، وفي تاريخ (22 محرم سنة 1255هـ/6 نيسان 1839م) ظهرت الكوليرا في قريتين من قرى غزة وعلى إثر ذلك أرسلت الحكومة المصرية تبحث في أخبار الوباء[3].

وقد انفردت ماري إليزا روجرز(Mary Eliza Rugs) في وصفها موجة الكوليرا التي ضربت حيفا عام (1272هـ/1855م)، فتقول: شهدت حيفا في تشرين الأول من عام (1855م) انتشار الكوليرا، وكان هناك عدد من حالات الوفاة بشكل مفاجئ خلال أسابيع قليلة، وعلى إثر ذلك نزحت بعض العائلات من حيفا إلى الناصرة، خوفاً من الكوليرا التي حلت بالمدينة، فتوفي خلال أسبوع واحد في حيفا من ذلك العام ست أنفارٍ[4].

ومن الملاحظ أنّ حالات الوفاة كانت بين المسلمين والمسيحيين، في حين لم يتأثر أبناء الطائفة اليهودية إلا بحالة وفاةٍ واحدةٍ بالكوليرا، وكانت أعداد الوفيات أكبر في الحيّ المكتظ بالمسلمين، إذ لم يبد المسلمون الخوف من المرض متسلحين بالقضاء والقدر، ما جعلهم يبدون هادئين وأكثر ميلاً للاستسلام على عكس

[1] صافي، خالد، الحكم، ص217.

[2] صافي، حالد، الحكم، ص218.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، مج4، ص12.

[4] روجز، ماري، الحياة، ص160-161.

المسيحيين الذين دبّ الذعر بين صفوفهم، ما جعل المصابين بالعدوى لا فائدة ترجى من شفائهم، لما سببته حالة الاكتئاب والإحباط خاصةً لدى الرجال [1].

وخصص الأوروبيون منطقةً خاصةً بهم للحجر الصحي، وحجروا أنفسهم في الأديرة، أما السكان المحليون فارتحل قسم كبير من حيفا إلى الناصرة وشفا عمرو، وبلغ عدد النازحين أكثر من (1000) نسمةٍ، في حين بدا الحي المسيحي مهجوراً تقريباً، وقام الأطباء العرب بالتنقل بين البيوت لإسداء النصائح للسكان وتوزيع أدويةٍ بسيطةٍ عليهم، وقد تحسنت الحالة الصحية في حيفا إلى حدٍ ما في منتصف تشرين الثاني من عام (1855م) وشفيت حالات عديدة من الكوليرا، واتخذ الناس من الفحم المطحون كالبودرة المحروق مع الدقيق في مباخر مفتوحة علاجاً وقائياً، إذ كان يذاب ملعقة منه أو أقل في فنجان القهوة السادة فكانت بمنزلة الجرعة اليومية منه[2].

وأدّت الخرافة دوراً في تسجيل الرواية التاريخية، فقد روي بتاريخ (7 ربيع الاخر 1272هـ/ 16 كانون أول 1855م) أنّ إحدى السيدات حلمت بأنها رأت أربعة عفاريت شريرةٍ، حمل كل واحد بيده حجراً تعلوه كتابات ونقوش، وقد سألتهم السيدة: "شو بدكو؟ ليش جيتوا تغلبوني؟" فأجابوا جميعاً وكأنهم يتكلمون بصوتٍ واحدٍ "جينا نرمي أربعة حجار" فقالت لهم: "ارموا حجاركم بسرعة وامشوا بخير وسلامة" فرمى أحدهم حجر عليها، بينما قذفت الحجارة الباقية في اتجاهات مختلفة[3].

"وروت هذه السيده منامها في اليوم التالي وبدت عليها علامات القلق الشديد، وكان العفاريت حسب مفسّري الأحلام هي عفاريت الهواء الأصفر، واعتقد الناس أن حيفا ستشهد أربع وفيات أخرى فقط بسبب الكوليرا، وفي الثامن عشر من الشهر أصيب (14) شخصاً بالعدوى مات منهم حالتان فقط كانت صاحبة المنام إحداهما، ووقعت حالتان إضافيتان في اليوم التاسع عشر وقد كانتا آخر الوفيات التي تم الإبلاغ عنها، ولذلك

[1] (م.ن)، ص161-162.

[2] روجز، ماري، الحياة، ص162-164.

[3] روجز، ماري، الحياة، ص165.

اطمأن الناس وبدؤوا بالعودة من عكا والجليل والكرمل"[1]. وتجدر الإشارة إلى أنّ أكثر الفترات إضراراً بالصحة في فلسطين هي تلك التي تعقب الأمطار وخاصة التي تسقط في بداية فصل الخريف، إذ تعد فاتحة موسم الأمطار وتمتد إلى أن يبدأ المطر بالهطول وبكميات وفيرةٍ، وهذه الفترة لا تتجاوز عادة أسبوعين أو ثلاثة فمعها تنتشر الأوبئة، ومثال ذلك: ما حصل عام (1272هـ/1855م) بسبب تشكل مناطق المستنقعات التي تكون ملجأ للأمراض[2].

فيما عُدّت سنة (1281هـ/1865م) سنة الكوارث التي حلت في فلسطين؛ لما عانته من كوارث متعدّدة، فكان أولها تأخر المطر وغزوات أسراب الجراد، ومع حلول فصل الصيف جاء مرض أبو الهذلان الذي قتل المواشي، إضافة إلى انتشار الكوليرا التي فتكت فتكاً ذريعاً بالناس فأصبح الكثير يذكر هذه السنة ويؤرخون كثيراً من الحوادث بها[3]، وأدى وباء الكوليرا (عام1282هـ/1865م) لوفاة أعدادٍ كبيرةٍ من سكان فلسطين فقد انتقل إليهم من صيدا إلى يافا وكان شديد الفتك، ومضى في طريقة إلى القدس ونابلس وغيرها من المناطق[4]، وقدرت أعداد الذين ماتوا في مدينة الرملة حوالي (100) شخصٍ، ومن جهة أخرى قدرت وفيات يافا وقضائها في شهر نوفمبر بحوالي (1059) فرداً في (32) يوماً[5]. فأورد القنصل الأمريكي بتاريخ (5 جمادى الأولى/25 أيلول) من نفس العام أن سكان القدس اضطروا للهرب من الوباء ومنهم الوالي العثماني، وقدر عدد الوفيات منه ما بين (3500–4000) نسمةٍ؛ نتيجة الإهمال وتدني مستوى العناية الطبية، وهرب سكان القدس إلى مدينة الرملة التي لم يصلها الوباء[6].

---

[1] (م.ن)، ص165.

[2] روجز، ماري، الحياة، ص160.

[3] منصور، أسعد، تاريخ، 95.

[4] عيساوي، شارل، التاريخ، ص104.

[5] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص76.

[6] رافق، عبد الكريم، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر هجري/التاسع عشر الميلادي إلى العام 1336هـ/1918م، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، هيئة الموسوعة الفلسطينية، (بيروت/ لبنان)، (1410هـ/1990م).، مج2، ص909. نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 77.

ويبين الجدول الآتي عدد الوفيات بالكوليرا لقضاء عكا قياساً بعدد السكان سنة (1282هـ/1865م)[1]:

جدول (3)

عددُ الوفيات بالكوليرا في عدد من مناطق قضاء عكا قياساً بعدد السكان سنة (1282هـ/1865م)

القضاء	عدد السكان	الوفيات
حيفا	14650	896
عكا	36475	687
طبرية	11675	43
الناصرة	13975	337
المجموع	**76775**	**1963**

في حين يظهر الجدول الآتي عدد وفيات الكوليرا في فلسطين عام (1282هـ/1865م)[2]:

جدول (4)

عدد وفيات الكوليرا في فلسطين عام (1282هـ/1865م)

الموقع	السكان	وفيات الكوليرا
القدس	20000	2000
يافا	–	2000
نابلس	–	2000
حيفا	4000	300
قرى حيفا	10650	596
عكا	95000	530
قرى عكا	26975	157
طبرية	10000	32
قرى طبرية	1675	11
الناصرة	8900	52
قرى الناصرة	5075	285
المجموع	**96775**	**7963**

[1] غنايم، زهير، لواء، ص132.

[2] عيساوي، شارل، التاريخ، ص107. عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص217.

كما دفعت الكوليرا كثيراً من اليهود والمسيحيين إلى الهجرة لمدينة القدس خاصة بعد عام (1287هـ/1872م) بسبب قيام الروس ببناء مجمّعٍ مهمٍ على بعد عشر دقائق من القدس القديمة، فيه تسهيلات سكنية وصحية للحجاج المسيحيين[1]، وفي وقت لاحق ظهرت الكوليرا عام (1320هـ/1902م) في مدينة القدس ثم انتقلت إلى مدينة يافا ومنها إلى الرملة وغيرها من المناطق، فبلغ عدد الوفيات في قضاء يافا ومنها الرملة (93) حالة وفاةٍ واصابةٍ[2]، وبلغ مجموع الإصابات عام (1320هـ/1902م) (116) إصابةً و(13) حالة وفاةٍ[3].

وانتشرت الكوليرا في بداية القرن العشرين في مدينة حيفا، فقامت بلدية حيفا بتعيين أشخاصٍ من أهالي غزة لنقل الأموات ودفنهم بعد تطهيرهم بالمطهرات[4]، وظهر وباء الكوليرا أيضاً في شهري آب وأيلول من عام (1902م) نتيجة قدوم المسافرين من الأراضي المصرية[5].

وتفشّى وباء الكوليرا في لواء عكا سنة (1320هـ/1902م) وعلى وجه الخصوص في فصل الصيف، فكان عدد الوفيات في طبرية خلال خمسة أيام من تاريخ (6–11 رجب 1320هـ/9–13 تشرين الأول 1902م) (64) شخصاً[6]، وفي سنة (1320هـ/1902م) انتشر المرض في معظم مناطق لواء عكا، وكان أشدّها في طبرية[7]، ففي (26 رجب 1320هـ/29 تشرين الأول 1902م) توفي في طبرية (35) مريضاً بسبب الكوليرا[8]، فأقيم الحجر الصحي في البلاد بعد أن شارف الناس على الهلاك[9].

---

[1] رافق، عبد الكريم، فلسطين، ق2، مج2، ص 909.

[2] البشير، عدد 1034، 20 تموز 1892م، ص3. نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص77.

[3] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص192.

[4] غنايم، زهير، لواء، ص99.

[5] غرانت، إليهو، الفلاحون في قرى جبال فلسطين الوسطى في مطلع القرن العشرين، ترجمة: القبج، عامر، دار الفاروق للثقافة والنشر، (نابلس/فلسطين)، ط1، (1442هـ/2021م)، ص83. خلف، تيسير، وصف فلسطين أواخر ايام العثمانيين 1898–1916 رحلات ومذكرات، دار كنعان، (دمشق/سوريا)، ط1، (1431هـ/2010م)، ص55.

[6] غنايم، زهير، لواء، ص131.

[7] منصور، أسعد، تاريخ، ص102.

[8] غنايم، زهير، لواء، ص132.

[9] منصور، أسعد، تاريخ، ص102.

بينما أعلن عن أصابة شخص واحد بالكوليرا بتاريخ (25 شعبان 1329هـ/20 آب 1911م) في يافا وقد توفي نتيجة لذلك، فقامت نظارة الصحة بتطبيق الحجر الصحي في مدينة يافا[1]. ومن حوادث الكوليرا التي ذكرتها جريدة فلسطين أنّ أحد اهالي يافا ذهب إلى حيفا في الأسبوع الثاني من (شهر رمضان 1329هـ/ايلول لسنة 1911م) لتزويج ابنته، فوجد أنّ ثلاثة أشخاصٍ من عائلة العريس توفوا في يوم واحد، وقد عاد العريس حالاً مع عروسته، وفي هذين اليومين ثبت وجود الكوليرا في حيفا، وكان قد قدّم طبيب بلدية يافا الدكتور (سامي) للمتصرف توصيةً يطلب فيها منع الحاضرين من حيفا وجبل نابلس دخول البلدة دون فحص طبيًّ وتبخير، وبناءً على ذلك فقد تمّ وضع العساكر على مدخل مدينة يافا لتطبيق توصيات الطبيب[2]، ومع بداية (شوال 1329هـ/تشرين أول 1911م) تراجع عدد الإصابات إلى (20) حالةّ في حيفا وأصبحت الوفيات قليلة[3].

وفي سنة (1330هـ/1912م) انتشرت الكوليرا في حيفا وأصابت المدينة، ويعزى ذلك إلى كثرة قدوم الركاب المصابين من بعض الأقطار كدمشق والحجاز، بالإضافة إلى بيع بعض أمتعة من مات منهم على الطريق، ووجود المستنقعات والأقذار في بعض الأنحاء وإهمال أمر التنظيفات، فكانت الإصابات والوفيات تتراوح بين الخمس والست حالات يومياً[4]. بالإضافة إلى وقوع عدد كبير من الضحايا من نفس العام في مدينة نابلس، حيث لقي ما بين (60–70) شخصاً حتفهم[5]، وفيما يتعلق بالسامريين الذين كان عددهم سنة (1333هـ/1915م) (176) شخصاً فقد توفي منهم (16) شخصاً بالهواء الأصفر والأمراض الأخرى[6].

---

[1] جريدة فلسطين، عدد 65، 9 رمضان1329هـ/20 آب 1911م، ص3.

[2] جريدة فلسطين، عدد 75، 14 شوال 1329هـ/24 أيلول 1911م، ص3.

[3] (م.ن)، عدد 77، 21 شوال 1329هـ/1 تشرين اول 1911م، ص3.

[4] غنايم، زهير، لواء، ص132.

[5] التميمي، محمد، ولاية، ص115. يوسف، مروان، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة نابلس (1900–1918م)، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، جامعة النجاح، (نابلس/فلسطين)، (1435هـ/2014م)، ص150.

[6] غنايم، زهير، لواء، ص151.

وخلال الحرب العالمية الأولى تعرضت البلاد بتاريخ (31 أذار من عام 1916م) لموجةٍ وبائيةٍ من الكوليرا، فأصيب (32) شخصاً من قرية العفولة*، وبتاريخ (17 حزيران) من نفس العام أحرقت قرية العفولة لمنع انتشار الكوليرا ثم أعيد بناؤها بعد ذلك، ثم ظهرت حوادث الكوليرا في الناصرة خاصةً في الحارة الشرقية منها، وكانت الإصابات من الذين فرّوا من العفولة، ثم ظهرت في بعض الأحياء الأخرى وقد أوقف سير انتشار الكوليرا بحسن العناية الصحية، فلم يتجاوز عدد الوفيات (10) أشخاص[1].

كان من نتائج تلك الأمراض اختلال أعداد سكان الطوائف بشكل جذريّ في طبرية وصفد، ففي طبرية تناقصت أعداد المسلمين بدرجة كبيرة، وأعداد المسيحيين بدرجة أقل بين عامي (1227–1330هـ/1812–1912م) فبلغ عدد المسلمين بطبرية عام (1228هـ/1812م) (3000) ثم تناقصوا عام (1285هـ/1868م) إلى (800) نسمةٍ وذلك بسبب انتشار الكوليرا التي عصفت بهم عام (1282هـ/1865م)، ثم أصبح عددهم مع المسيحيين عام (1330–1331هـ/1912–1913م) (1000) نسمةٍ[2].

الجدري

مرضُ الجدري من الأمراض التي انتشرت في فلسطين، ففي مدينة القدس قتل المرض عام (1271هـ/1854م) نحو (10%) من سكانها[3]؛ لانتشاره بسهولة بين السكان، وعلى الرغم من الاعتقاد بضرورة التطعيم فإنّ الكثير من الأولاد دون سن الرابعة كانوا من غير المطعمين[4]، كما انتشر الجدري بين السكان في لواء عكا وأدى إلى وفاة عددٍ كبيرٍ منهم، ففي سنة (1294هـ/1877م) انتشر الجدري في عكا وحيفا بصورة أكبر من السنوات الماضية، وكذلك تفشى في أنحاء مختلفة من لواء عكا إبضاً سنة (1331هـ/1913م) وفتك فيها فتكاً ذريعاً[5].

---

* **العفولة:** تقع إلى الجنوب من مدينة الناصرة، بلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 563 نسمة، وفي عام (1344هـ/1925م) وقد أقام الامريكيون مستعمرة على أراضيها. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص147).

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص116.

[2] رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص909.

[3] منصور، أسعد، تاريخ، ص85.

[4] (م.ن)، تاريخ، ص281.

5 غنايم، زهير، لواء، ص131.

ونتيجة هذه الأمراض حكم على (80%) من الأطفال في القرن التاسع عشر وخاصةً في نابلس بالموت بصورة قطعية، فقد كان عدد المتوفين من الأطفال والكبار متساوياً، ويرجع ذلك إلى أنّ كثيراً من طبقة العوام في نابلس يقضي جميع أفراد عوائلهم حياتهم في غرفةٍ واحدةٍ، فإذا ظهر السل أو التيفوس أو الجدري في محل أصيب به جميع من تحويهم الغرفة صغيراً كان أم كبيراً وربما أتت عليهم جميعهم [1].

كما انتشرت الأمراض في القدس في نيسان من عام (1333هـ/1915م) فاهتمت بلدية القدس لذلك، فنقلت المرضى إلى المستشفيات وعملت على تطهير البيوت التي كانت فيها إصابات المرض[2]، وبتاريخ (3 رجب 1333هـ/16ايار 1915م) انتشر داء الجدري في البلدة القديمة من القدس، وماتت سيدة من أشهر عائلاتها وهي (ابنة عبد السلام باشا الحسيني) ولم تبلغ في حينها (30) عاماً، فعمّمت البلدية ضرورة أخذ الاحتياطات والتطعيم[3]. وفي تاريخ (11 رجب 1333هـ/24 أيار 1915م) انتشرت الأمراض بالقدس وأخذت تفتك بالناس خصوصاً المسلمين؛ لعدم اعتنائهم بصحتهم فأصيب في هذا اليوم أربعة في حي باب حطه[4].

وخلال الحرب العالمية الأولى ضربت فلسطين مجموعة من الأمراض أثرت بشكل كبير على التعداد السكاني فيها فانتشرت أمراض الجدري والملاريا والتيفوس والتيفوئيد، وتميزت بسرعة انتشارها وقوة فتكها بالسكان، ففتكت هذه الأمراض بالجنود المحاربين بالإضافة إلى عدد من السكان[5]، كما شكل سوء الوضع الصحي في نابلس منذ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حاضنة لانتشار علة الحميراء[6]: وهو مرض وبائيّ يسبب حمى وبقعاً حمراء في الجلد ولا تدخل جراثيمه الجسم إلا من خلال خدشٍ أو جرحٍ[7]، وقتلت علة الحميراء

---

[1] التميمي، محمد، ولاية، ص114-115.

[2] تماري، سليم، عام الجراد: الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين مع أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة: يوميات جندي عثماني 1915-1916، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (القدس/فلسطين، (د.ط)،(1429هـ/2008م)، ص131.

[3] تماري، سليم، عام، ص201.

[4] (م.ن)، عام، ص216.

[5] جوهرية، واصف، القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية: الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية 1904-1917، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/ لبنان)، ط2، (1424هـ/2003)، ج1، ص190-191.

[6] التميمي، محمد، ولاية، ص115.

[7] فريد، جورج، السلط، ص730.

عام (1328هـ/1910م) (500) طفلاً في حين أنّ بقية الأطفال الذين لم يموتوا من هذا المرض قضوا حياتهم مرضى، فإما أن يصابوا بنزلة مزمنة أو أن يصابوا بمرضٍ في العيون[1].

وتعرضت فلسطين في بعض الأحيان إلى وجود أكثر من مرض في وقت واحد، "ففي سنة (1306هـ/1888م) انتشر داء الحصبة في عكا وأصاب الأطفال فيها، ومنها امتد إلى القرى المجاورة. وفي حيفا انتشر داء الخانوق (الدفتيريا)، وهو: مرض يصيب الإنسان، وأعراضه الإصابة بالحمّى والصداع والغثيان ويصيب الأطفال بصورة خاصةٍ، وكذلك انتشر وباء (أبو الركب) في شفا عمرو فأنهك المدينة بشكل كبير، وهو: مرض يصيب الإنسان أيضاً، ومن أعراضه حمى تستمر من ثلاثة إلى ثمانية أيام وتظهر على الجلد حبوب تختلف في حجمها من مريض إلى آخر، وينتقل بالعدوى كما أنه ينتشر بصورةٍ واسعةٍ في مناطق المستنقعات"[2].

وتذكر جريدة البشير الصادرة في الثاني من تموز سنة (1311هـ/1893م) اشتداد وطأة الحصبة على الناس بشكل لم يعهد له مثيل، فلم يخل بيت في الرملة إلا وقد وجد فيه إصابات، وقد ازداد تأثيرها في نفس الأسبوع وانتشرت الحمى الاعتيادية فامتلأت بيوت الرملة بالمصابين، فلا تكاد فرشة في بيت إلا وفيها مصاب، ويذكر أنّ مدرسة الآباء الفرنسيين لم يبق منها إلا ثُلث التلاميذ، إذ أودت بحياة الأطفال، وكانت درجة الحرارة عالية جداً في تلك الأيام وتزامن ذلك مع قلة الرعاية الطبية[3].

ومن الأمراض الأخرى التي أثرت في سكان فلسطين مرض الزحار (الدوسنطاريا) وقد انتشر في عكا عام (1309هـ/1891م)، وهو: مرض يصيب الأمعاء وينتج عنه الإصابة بالإسهال، وكذلك انتشر مرض الحمى المتقطعة في قضاء عكا، فأصيب بالمرضين في عكا وحدها (1000) شخصٍ و(3000) في القضاء دون

[1] التميمي، محمد، ولاية، ص 115. غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص127. يوسف، مروان، الحياة، ص150

[2] غنايم، زهير، لواء، ص133.

[3] البشير، عدد 1082، 19 تموز 1893م، ص3. نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص 193.

تحديد عدد الوفيات بين المرضى[1]. ثم انتشر في الرملة وكان له أكبر الأثر في اختلال التعداد السكاني، ولم يكن شائعاً من قبل، وكانت الحالات الأولى ذات طابع خبيث وأثبتت قدرتها السريعة في القضاء على المصابين، ولكن عندما أخذ شكل الوباء أصبح أكثر قابلية للعلاج وحل محله وباء (أبو الركب) فأصاب الناس وأضعف أجسادهم ولم يترك الرملة إلا بعد أن سقط منها عدد من الضحايا[2].

وخلال الحرب العالمية الأولى كان من المعتاد أن يدوَّن أسبوعياً خبر وفاة صديقٍ أو جارٍ أو قريبٍ بسبب الأوبئة التى انتشرت في فلسطين[3]، ففي بداية العقد الثاني من القرن العشرين توفي في مدينة نابلس ما بين(400–500) شخص نتيجة التيفوس[4]، ورافق وصول الجراد إلى القدس عام (1333هـ/1915م) انتشار وباء التيفوس والكوليرا، فقضى على ما تبقى من الأمل عند الناس نتيجة المجاعة بسبب ظروف الحرب[5]. وفي تاريخ (4 رجب1330هـ/17ايار1915م) انتشر مرض التيفوس بين سكان مدينة القدس، وتوفي في هذا اليوم أحد تلاميذ المدرسة الصلاحية، فأصدر (جمال باشا) أمراً يمنع الأفراد من الجنود المبيت في بيوتهم خوفاً من إصابتهم بالمرض[6].

ويصف (الجوهرية) ما شاهده من آثار مرض التيفوس بالقدس سنة (1333هـ/1915م) فيقول: "إن أخته كانت تسكن بيت جالا، فأصبحت البلاد في حالة حرب وبسبب المجاعة والجراد وعدم وجود أغذية انتشرت الأمراض في طول البلاد وعرضها، وأصيبت أخته بمرض التيفوس وأصبحت حالتها في خطرٍ، فذهب بها إلى مستشفى البلدية بالقدس بوساطة عربة خيلٍ خاصة، وكان خائفاً من انتقال العدوى إليه، ثم بعد أسبوعٍ

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص132–133.

[2] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص77.

[3] تماري، سليم، عام، ص39.

[4] التميمي، محمد، ولاية، ص115. يوسف، مروان، الحياة، ص150.

[5] تماري، سليم، عام، ص54.

[6] تماري، سليم، عام، ص202.

تعافت من مرضها، وعمل بعد ذلك على طمر البيت الذي كانت به أخته المصابه والبيوت المجاورة له بالكلس؛ للتعقيم خوفاً من العدوى، حيث كانت هذه العادة في ذلك الزمن تتبع من قبل الدولة"[1].

دور السلطة الحاكمة في مواجهة الأمراض

إجراءات الإدارة المصرية

أظهرت المحفوظات الملكية اهتمام الدولة المصرية في متابعة حالة المرضى، فهناك بعض التقارير التي أرسلت من الأراضي الفلسطينية إلى مركز الإدارة المصرية عن أعداد المرضى في عكا ونوع مرضهم[2]، فاتخذت فترة حكمها (1246-1256هـ/1831-1840م) إجراءاتها لمواجهة الأوبئة من خلال اتخاذها تدابير احترازيةٍ ووقائيةٍ وعلاجيةٍ، وكذلك اتبعت الإدارة العثمانيّة تدابيرها الخاصة بين عامي (1256-1338هـ/1840-1918م).

ومن هذه الإجراءات التي اتخذتها في بلاد الشام بشكلٍ عامٍّ وفلسطين بشكلٍ خاصٍ لمكافحة مرض الكوليرا، أن قامت بزراعة الأشجار الحرجية خاصة صغيرة الورق، كالصنوبر وغيرها؛ لأنها تساعد على إضعاف نمو الجراثيم والميكروبات[3]. ومن أهم الإجراءات التي تحسب للإدارة المصرية كذلك العمل على بناء مراكز الحجر الصحي (الكرنتينا)*، اذ قام (محمد علي باشا) بإنشاء مركز حجر صحي في منطقة الشيخ زويد*، وكان على اتصالٍ دائمٍ مع الجهات الصحية المختصة حول ضرورة إبقائه أو الاستغناء عنه نظراً للحالة الصحية[4].

---

[1] الجوهرية، واصف، القدس، ج1، ص192.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص87.

[3] المعلوف، أسكندر، دواني، ج1، ص113-115. علي، محمد، الرحلة الشامية 1910 الأمير محمد علي باشا، دار السويدي للنشر والتوزيع، (ابو ظبي/الامارات العربية المتحدة)، ط1، (1423هـ/2002م)، ص43.

* **الكرنتينا:** جمعها كرنتينات "Karantina" وهي مكان الحجر الصحي، وقد دخلت بلادنا من الدولة العثمانية قرانتينة "qarantina" وترجمتها حرفياً الى اللغة العربية أربعين يوماً. ويسميها البعض "تحفظخانة" كما ورد في النقش العثماني على مدخل كرنتينا الخليل.(هلون، معين، المعجم التأثيلي لألفاظ الأعجمية في اللهجة الفلسطينية، (بيت لحم/فلسطين)، (144هـ/2019م)، ص714-715).

* **الشيخ زويد:** قرية صغيرة على طريق غزة العريش تبعد عن الأولى (16) كم.(أبو بكر، أمين، متصرفية، ص108).

[4] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص172. بازيلي، سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية، ترجمة:جابر، يسر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/لبنان)، ط1، (1408هـ/ 1988م)، ص184

وتجدر الإشارة إلى أن العرب كانوا قد عالجوا هذه الأوبئة عن طريق العزل والانتقال إلى الأماكن المرتفعة والابتعاد عن مركز الوباء (الحجر الصحي)، تطبيقاً لحديث الرسول- صلى الله عليه وسلم-:"إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا وقع ولستم بها فلا تقدموا عليه"، في الحديث إشارة واضحة إلى ما يطبق اليوم علمياً وعملياً من الحجر الصحي.

وفي (27 جمادى الآخرة من سنة 1248هـ/20 تشرين الثاني 1832م) أرسل الديوان الخديوي إلى قائد الجيش المصري وقف الحجر الصحي في محجر الشيخ زويد، وطلب منهم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ أمر الخديوي، وإرسال التقارير الصحية التى قدمها طبيب المحجر بعد ورود الإشارة إلى نظافة بلاد الشام من الأمراض[1]، إلا أنّه وبعد يومين من قرار رفع الحجر الصحي أصدر (محمد علي باشا) إلى الديوان الخديوي أمراً بوجوب إبقاء الحجر الصحي في محجر الشيخ زويد؛ لأن آثار المرض لا تزال باقية في نواحي القدس كما أشار متسلم القدس في كتابه إلى متسلم غزة [2].

ومن الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الجهات الحكومية لمكافحة الأمراض، حرص الإدارة المصرية على نظافة المدن والقرى، فقد أصدر معاون الجيش في الإدارة المصريّة القائمة في بلاد الشام بتاريخ (6 ربيع الآخر من سنة 1249هـ/22 آب 1833م) بضرورة التزام ضباط ومتسلمي* النواحي والمدن بوجوب الاعتناء بالبلاد[3]، وكذلك عملت الإدارة المصرية بالتنسيق مع القنصلية الروسية بتاريخ (29 جمادى الآخر من سنة 1249هـ/12 تشرين ثاني من سنة 1833م) على إنشاء محجر صحي في يافا للحجاج الروس نظراً؛ لوقوع موسم الحج في فصل الشتاء[4].

---

[1] رستم، أسد، المحفوظات، مج 2، ص 178.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، مج 2، ص178.

* **المتسلم:** موظف حكومي يأتي على رأس سلم الجهاز العسكري في القضاء وكان يتم تعينه من قبل الوالي لمدة سنة واحدة. يقع على عاتقه مجموعة من التوجيهات المتعلقة بكيفية سلوكه، وتحديد واجباته، كضبط الأمن وتوفير المواد الغذائية ومراقبة الأسعار. (نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص60).

[3] رستم، أسد، المحفوظات، مج 2، ص 351.

[4] رستم، أسد، المحفوظات، مج 2، ص 475.

وأقامت الإدارة المصرية خلال فترة حكمها لبلاد الشام محجراً صحياً رئيساً في بيروت سنة (1250هـ/1834م)، وكان يُشترط على كل ركاب السفن القادمين إلى بلاد الشام ومن ضمنها فلسطين البقاء بين (10–12) يوماً، وقد طلب (إبراهيم باشا) من القناصل الأوروبيين خاصة القنصل الفرنسي (هنري) الإقامة فيه؛ لحمايته من الأمراض كالطاعون الذي انتشر عدة مرات في المناطق المجاورة، وكان يقوم على إدارة المحجر الصحي جمعية طبية تتألف من مجموعة قناصل الدول الأوروبية[1].

وقد واجهت قناصل الدول الأجنبية عقباتٍ خلفتها قضية المحاجر الصحية تمثلت في إثارة الرأي العام، ومع ذلك أثمرت جهود القناصل في حماية البلاد من الأوبئة رغم تسرب المصابين إليها بلا انقطاع، فكان يتوجب على القناصل القيام بدفع نفقات الحجر من جيبهم الخاص؛ لأن كثرة الإصابات لم تمكنهم من انتظار وصول المال الذي طلبوه من السلطة لمعالجتهم[2].

كما جرت محاولات رسمية لتجفيف المستنقعات والسبخات حول عكا ويافا في نهاية القرن الثامن عشر للميلاد، وفي القرن التاسع عشر للميلاد اصبح ليافا مسؤول صحي استطاع أن يقنع العثمانيين عام (1250هـ/1834م) بتزويده ببعض العمال لتجفيف المستنقعات المحلية، كما نجح في منع إقامة المقابر داخل المدن ونقلها خارج الأسوار بما لا يقل عن (600) متر، وأقام نوعاً من الرقابة الطبية على الداخلين إلى يافا براً وبحراً، واضعاً أولئك القادمين من أماكن موبوءة في محجر صحي لمدة 10–15 يوماً مثلما كانت تفعل الموانئ الأخرى الواقعة على البحر الأبيض المتوسط [3].

وفي (5 صفر من عام 1251هـ/1 حزيران 1835م) أرسل (محمد علي باشا) إلى (محمد شريف باشا) والي القدس بوجوب السماح لرهبان الروم والأرمن في القدس بإنشاء محجر صحي للزوار في يافا وبوجوب درس

---

[1] غيز، هنري، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، ترجمة: مارون، عبود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة/مصر)، (د.ط)، (1432هـ/2012م)، ص45. صافي، خالد، الحكم، ص219.

[2] غيز، هنري، بيروت، ص45.

[3] أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة الفلسطينية، ق 2، مج1، ص562.

هذه المسألة من جميع وجوهها ورفع تقرير بذلك[1]، كما بعث (محمد علي باشا) إلى (محمد شريف باشا) يأمره بالسماح بإقامة محجر صحي لليهود في يافا، وكذلك أذن للروم والأرمن بإنشاء محجرٍ صحيٍ خاصٍ بهم[2]، وفي (22 جمادى الآخره من سنة 1251هـ/14 تشرين أول 1835م) أرسل (محمد علي باشا) إلى (محمد شريف باشا) كذلك موافقته على إنشاء محجر صحي للحجاج الأرمن في يافا، وأن يتم نزول هؤلاء الحجاج في يافا بدلاً من بيروت[3]، ويكمن السبب وراء بناء محجر صحي في يافا أن محجر بيروت أثّر على قلّة توجه الحجاج إلى فلسطين، ما جعل المسيحيين يناشدون الحكومة المصرية بإنشاء محجر لهم في يافا لجذبهم إلى فلسطين؛ للمساهمة في وصول حجاج الأرمن واليونانيين عبر البحر من أماكن ينتشر فيها مرض الطاعون[4].

وفي خطاب (إبراهيم باشا) إلى زعماء المسيحيين قال: "سأوافق على طلبكم، وأسمح لكم بإقامة محاجر في يافا بدلاً من حيفا لكنكم ستكونون مسؤولين إذا ما انتقل الوباء إلى القدس، ويضيف أنا غير معنيٍّ بالناس الآخرين، لكن يجب أن أفكر بجنودي الذين أفضل أن أراهم يموتون في المعارك على أن يموتوا بالطاعون الرهيب"[5]. وقد ساهم هذا المحجر بحماية الجنود المصريين، إضافة إلى تحسن الأوضاع الصحية العامة في سوريّة وفلسطين، لذلك يمكن اعتبار إنشاء مراكز الحجر الصحي واحد من الإنجازات المصرية في مواجهة المرض. كما استعملت الدولة المصرية مادة الكلس كمادة معقَّمة في تنظيف المستشفيات؛ للتخيف من وطأة الأمراض فكانت تجلب من المناطق المجاورة، ويتم نقل الكلس عبر الزوارق البحرية من صيدا اللبنانية إلى عكا[6].

---

[1] رستم، أسد،المحفوظات، مج 3، ص13.

[2] (م.ن)، ص38.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، مج 3، ص 56. صافي، خالد، الحكم، ص219.

[4] صافي، خالد، الحكم، ص219.

[5] صافي، خالد، الحكم، ص220.

[6] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص289.

ومن الإجراءات التى قام بها (محمد علي باشا) لمحاربة الأوبئة، أن أوكل في (14 ربيع الأول من عام 1252هـ/ 28 حزيران 1836م) إلى (سليمان باشا) تعيين حرّاس الصحة في المراكب المسافرة إلى بر الشام من أبناء مصر نظراً لثقته بهم[1]. كما قدمت الحكومة المصرية قروضاً مالية للمناطق التى تعرضت للأوبئة، إذ استلف المحجر الصحي في بيروت مبالغ مالية من الحكومة المصرية عام (1252هـ/1836م)[2]، كما تعاملت الدولة المصرية بالإجراءات الصحية اللازمة مع الحجاج القادمين، فطبقت الحجر الصحي عليهم[3]، وفي (19 صفر من عام 1254هـ/ 13ايار 1838م) أرسل متسلم يافا إلى (حسين باشا) الإجراءات التى اتخذها لمكافحة الوباء في المدينة[4]. وخلال الحكم المصري زار الطبيب الفرنسي (كلوت بك) بلاد الشام عدة مرات للعناية بصحة (إبراهيم باشا) نتيجة إصابته بمرض الملاريا الذي كاد أن يفتك به. وكان يقيم احياناً مدة طويلة في دمشق لمعالجة الجنود الجرحى، وقام أيضاً بتوزيع لقاحٍ ضد الجدري تعرّف على فوائده الفلاحون بينما كان البدو في الصحراء لا يعرفون عنه شيئاً ويتمنون الحصول عليه[5].

وبشكلٍ عامٍّ اهتمت **الدولة العثمانيّة** بأمور الصحة العامة منذ عام (1254هـ/1838م)، حيث قامت بتطبيق نظام الحجر الصحي، فأصدرت عام (1256هـ/1840م) نظاماً خاصاً به أسمته بنظام (الكرنتينا)، واستمرت بإصدار ذيول وأنظمة فرعية كثيرة له حتى عام (1288هـ/1871م)، وفي (4 جمادى الأولى/21 تموز) من العام نفسه قامت بنشر أول نظام يتعلق بالصحة العامة وإدارتها في العاصمة وفي الولايات على حد سواء، عرف (بنظام الإدارة العمومية الطبية)، وأوجب هذا النظام على كل بلدية من بلديات المدن تعيين طبيب ومعاون له في المدن الكبرى، ليعاين المرضى مجاناً مرتين في الأسبوع في مكانٍ يتم اختياره ويعلن عنه من طرف إدارة البلدية، التي تتكفل بدفع راتبه مع بقائه مرتبطاً بإدارة الأمور الطبية التي أُنشئت في إسطنبول،

---

[1] (م.ن)، ص133.

[2] (رستم، أسد، المحفوظات، مج2، 174.

[3] (م.ن)، ص273.

[4] (م.ن)، ص386.

[5] صافي، خالد، الحكم، ص218.

ويتلقى تعليماته منها[1] وقد أنشأ العثمانيون كرنتينات في غزة، والخليل، ونابلس، وما يزال الأهالي يسمون الدرج الواقع بجانب المشفى الوطني باسم درج الكرنتينا.

فتروي الرحالة (ماري روجرز) أنها في بداية تموز من عام (1271هـ/1855م) خضعت للحجر الصحي أثناء قدومها من موطنها إلى يافا، فكان يشرف على المحجر الصحي رجال الأمن بالإضافة إلى موظفي الصحة الذين التزموا أقصى درجات الحيطة والحذر في التعامل مع القادمين من خارج فلسطين، ولم يقدم أيّ شخصٍ من موظفي الحجر على ملامسة أمتعة المسافرين كإجراء احترازي؛ لمنع انتشار العدوى، وكانت هناك قوارب على شواطئ يافا مخصصة لنقل الركاب من الموانئ إلى مركز الحجر الصحي[2].

وأُقيم مركز الحجر الصحي في مبنى منعزل يقع على مسافةٍ قريبةٍ من الأسوار الجنوبية ليافا، ويُذكر أنّ المركز كان عام (1271هـ/1855م) مكتظّاً على غير العادة؛ بسبب انتشار وباء الكوليرا في مصر، لذا تم اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر لمنع انتشاره في فلسطين عبر المسافرين، وتميّز مركز الحجر الصحي بسعته وبتوفيره الخدمات اللازمة للقادمين من خارج البلاد، ومن الدلائل على اتخاذ درجات الحيطة والحذر أنه جاء صديق من القدس إلى السيدة (ماري روجرز) لزيارتها فوقف هذا الزائر خارج نافذة الحجر الصحي تحت رقابة موظفي الصحة حتى لا يتم التلامس بينهما، وكان يتم توفير احتياجات المحجورين من خلال وضع نقودهم في كوب ملئ بالماء لتعقيمها؛ لمنع انتشار العدوى، وللترويح عنهم أيضاً فقد كان يسمح لهم بالخروج من مركز الحجر الصحي للمشي تحت حرارة الشمس برفقة حراس المركز منعاً من الاحتكاك بالناس[3].

وكان يتّم وضع القادمين تحت إشراف مركز الحجر الصحي لمدة ثلاثة أيام بإشراف طبيب المركز؛ لإعطائهم شهادة خلو من الأمراض المعدية، ويذكر أنّ مركز الحجر الصحي في يافا عام (1271هـ/1855م) كان

[1] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص190-191.

[2] روجز، ماري، الحياة، ص11.

[3] روجز، ماري، الحياة، ص12-14.

يديره طبيب فرنسي[1]. وكان موظفو الصحة يحملون في أعناقهم لوحةً نحاسيةً كبيرةً مكتوب عليها بالتركية والفرنسية (حارس صحي) وكل منهم مسلح بمسدسٍ وسيفٍ كبيرٍ[2]، وفي منتصف القرن التاسع عشر أقيم في مدينة الخليل عند مدخلها محجر صحي (كارنتينا) للتأكد من سلامة الحجاج العائدين من الحجاز وخلوهم من الأمراض والأوبئة، إضافة إلى احتجاز قوافل مصر والأردن[3].

وعلى الرغم من الإجراءات الحكومية الإيجابية، إلا أنّه كان هناك نوع من المماطلة في تطبيق القوانين الصارمة، وكان المصريون يأتون كل عام بأعدادٍ ضخمةٍ سالكين طريق الصحراء عبر العريش وغزة، فبدل أن يمنعهم (كاظم بك) والي القدس (1316–1320هـ/1898–1904م) من التسوق ويلزمهم القواعد الصحية، فرض ضريبة على الأشخاص والدواب من حمير وأحصنة وبغال وجمال وعلى البضائع ليتركها تمر دون الخضوع للتطهير وللحجر الصحي، وأدرّ هذا الإجراء لحساب الوالي (200) ألف فرنكٍ وبمثلها على شركائه، وبعدها بأسبوع تفشّت الكوليرا في فلسطين وسوريا واستمرت سنة كاملة وفتكت (20) ألف ضحيةٍ[4].

وفي أثناء انتشار الوباء قدم والي القدس إلى يافا؛ لاتخاذ التدابير اللازمة، فنظم لجنة لحث أفاضل الناس على التبرع (60) فرنكاً أو بخيمة لنجدة أهالي غزة الذين قاسوا الأمرّين من الكوليرا، فجمعت هذه اللجنة (2000) فرنكٍ من الذهب (100) خيمةٍ احتفظ (كاظم بك) بالألفي فرنك، وأرسل المائة خيمة إلى حاكم غزة الذي باع الواحدة بمائتي فرنك؛ لأنها كانت مطلوبة جداً من سكان المنطقة الذين هربوا من المدينة وذهبوا للإقامة على شاطئ البحر، وهكذا يكون الوالي قبض (22) ألف فرنكٍ دفعة واحدة، بالإضافة إلى أخذ موظفي الصحة الرشوة مقابل عدم تطبيق قوانين الحجر الصحي المتمثل بالفحص والحجر عدة أيام[5].

---

[1] روجز، ماري، الحياة، ص16. خلف، تيسير، وصف، ص56.

[2] خلف، تيسير، وصف، ص56.

[3] رافق، عبدالكريم، فلسطين، ج 2، ص885.

[4] خلف، تيسير، وصف، ص55.

[5] خلف، تيسير، وصف، ص56–57.

وبالمقابل أبدى أهل الناصرة عام (1320هـ/1902م) سخاءً عندما ضربت موجة الكوليرا المنطقة، فكانوا يرسلون المؤن إلى طبرية، ويذكر أن الناصرة سجلت حالة كوليرا واحدة دخلت بواسطة مدير المستعمرات الصهيونية الذي فرّ من طبرية إليها، وأصيب بها في النزل الألماني فوضع تحت الحجر الصحي إلى أن تعافى[1].

وقد كانت الأوضاع الصحيّة في منطقة طولكرم متردية خلال الحكم العثماني، ولم تهتم الدولة بالأوضاع الصحية إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتعود الأسباب التي أدّت إلى تردي الأوضاع الصحية في المنطقة إلى: الجهل، قلة الوعي الصحي، نقص الخدمات الطبية، ندرة الأطباء، وعدم وجود المراكز الصحية والتقليل من دور الطب وفاعلية الأطباء[2]؛ لاعتقادهم بأنّ المرض بلاء من الله سبحانه تعإلى يبتلي به من يشاء من عباده ليمتحن به مدى إيمانهم ورسوخ عقيدتهم، وكانوا يقولون "المؤمن أشد بلوى"[3].

وخلال الحرب العالمية الأولى قامت الدولة العثمانيّة بافتتاح المستشفيات والعيادات والصيدليات العامة؛ بهدف مكافحة أوبئة الملاريا والكوليرا والتيفوس التى انتشرت خلال الحرب وراح ضحيتها أكثر من أعداد ضحايا المعارك[4]، وهذا ما حصل في مدينة القدس، إذ خسرت عدداً كبيراً من الضحايا أكثر مما خسرته خلال الحرب العالمية الأولى بعدة مرات[5].

ومن الإجراءات الأخرى الذي اتبعها السكان المحليون عام (1334هـ/1916م) لمواجهة الكوليرا إحراقهم قرية العفولة؛ لمنع انتشار الكوليرا التي أعيد بناؤها بعد ذلك[6]، ووقع على عاتق سكان حيفا غسل مرضى الكوليرا في مجرى مائيّ قريبٍ، فأخذوا يسحبونهم في الماء من أيديهم وأرجلهم وهم عراة تماماً، وكانت هذه طريقة

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص102.

[2] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص216-217.

[3] غرانت، إليهو، الفلاحون، ص81. عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص216-217.

[4] تماري، سليم، عام، ص10.

[5] (م.ن)، ص318.

[6] منصور، أسعد، تاريخ، ص116.

علاجية ناجعة في معظم الأحوال، في حين أنّ القرى التى تقع على ارتفاع كبير نجت نسبياً من العدوى أو لم تكن تستمر فيها العدوى طويلاً، ويذكر أنّ المحاجر الصحية كانت تقام على بعد بضعة أميال من المراكز السكانية حتى تكون أكثر فعالية[1].

وأدى انتشار الأوبئة في القدس بشكل خاص إلى إصدار الحاكم العسكري البريطاني أمراً عسكرياً عام (1335هـ/1917م) بتجريم بيع الملابس والمفروشات القديمة قبل القيام بتطهيرها؛ خوفاً من انتشار الأوبئة[2]. فانعكست الإجراءات الحكومية بشكل إيجابي على الحالة المرضية، ما أدى إلى تراجع أعداد الوفيات خاصةً مع إدخال نظام الحجر الصحيّ والأخذ بالطب الحديث، ورافق الحجر الصحي نظام التطعيم ضد الأمراض[3]. ومن مآثر الحكومة المصرية تجفيفها للمستنقعات وتصريف الأقذار في مجارٍ خاصة[4]، وسار على خطاهم أغنياء بيروت قبل الحرب العالمية الأولى حيث قاموا بتجفيف بحيرة الحولة وتجفيف المستنقعات من أجل إصلاحها وجعلها قابلة للزراعة[5].

وقد ساهمت عملية محاربة الأمراض والأوبئة بارتفاع الزيادة السكانية، ويتضح ذلك من خلال عدد سكان لواء نابلس، إذ بلغ عام (1310هـ/1893م) حوالي (115247) نسمةً، في حين ارتفع عام (1322هـ/1904م) إلى (137518) نسمةً، كما بلغ عدد سكان لواء عكا (75882) نسمةً عام (1310هـ/1893م) وارتفع العدد إلى (82668) نسمةً عام (1330هـ/1911م)[6].

وفي نهاية القرن التاسع عشر حاول أحد المهندسين عمل خططٍ لتجفيف المنطقة الجنوبية من الخضيرة، التى تميزت بوجود المستنقعات، ونهر الحوايطات الذي يعبر الوادي، وبعض الجداول التى تقع في وادي

---

[1] عيساوي، شارل، التاريخ، ص106.

[2] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص392-393.

[3] عيساوي، شارل، التاريخ، ص55.

[4] علي، محمد، خطط الشام،6 أجزاء، دار العلم للملايين، (بيروت/ لبنان)، (د.ط)، (1389هـ/ 1969م)، ج3، ص67.

[5] التميمي، محمد، ولاية، ص41.

[6] غنايم، زهير، لواء، ص91.

الحوارث، ما جعلها موطناً لحشرات البعوض الناقلة للملاريا وغيرها، الأمر الذي أسهم بإعاقة الاستيطان البشري فيها[1]. وكذلك لجأ الفلاحون القاطنون في المناطق السهلية التي استوطنتها الملاريا إلى الهجرة من بيوتهم نحو التلال، حيث الملاجئ، إضافة إلى حصانتها من غارات البدو الذين يغيرون عليهم من الشرق أو الجنوب طمعاً في السيطرة على الأراضي الزراعية، وهذا ما حصل مع بعض سكان طولكرم عام (1332هـ/1913م)[2].

ومن الإجراءات الشعبية في مكافحة الملاريا ما قام به كل من (ميشيل سرسق) و(محمد عمر) في حزيران عام (1330هـ/1911م) بتوقيع اتفاق مع وزير مالية الحكومة العثمانيّة مكنّهما من الحصول على امتياز تجفيف وادي الحوله واستصلاح التربة فيه، ومن بنود الاتفاق تقديم المشروع للمؤسسات الحكومية للتصديق عليه في غضون سنة واحدة، ليبدأ العمل به بعد ستة أشهر من التصديق على الخطة ويجب انهائه خلال ست سنوات، على ان تزاد كمية المياه إلى الفلاحين حسب ما كان معمولاً به سابقاً، وإذا لم يتمّ عمل ذلك فيجب دفع تعويض لهم، وفي عام (1333هـ/1914م) باشرت الشركة السوريّة العثمانيّة للزراعة بتقديم خطةٍ لتجفيف التربة واستصلاحها خلال سنة واحدة، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى توقفت عن العمل كلياً ولم تف بالتزاماتها[3]، وفي سنة (1353هـ/1934م) حصلت الحركة الصهيونية بمساعدة حكومة الانتداب البريطانية على هذا الامتياز[4].

وبعد انتهاء الحكم العثماني لفلسطين واحتلالها من بريطانيا قامت الإدارة العسكرية البريطانية بفتح مراكز للحجر الصحي (الكرنتينا) في حيفا وأريحا، وقررت زراعة المستنقعات بعد تجفيفها بالأشجار للقضاء على مرض الملاريا، بالإضافة إلى افتتاح المستشفيات والمستوصفات ومكاتب الصحة في عدد من المدن الفلسطينية، مثل: بيت لحم، رام الله، الرملة، اللد، يافا، القدس، المجدل، غزة والخليل، لذا وُجد في جميع

---

[1] أريه، افنيري، دعوى، ص51.

[2] أريه، افنيري، دعوى، ص53.

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص153.

[4] (م.ن)، ص174.

الأقضية مكاتب للصحة باستثناء بئر السبع التي خصص لها مستشفىً متنقل تحت إشراف جمعية الصليب الأحمر الأمريكية. وقد زودت هذه المكاتب بالأطباء والمأمورين، وزود العاملون بها بتعليمات أصدرها الجنرال موني (Money) بتاريخ (6 شعبان 1336هـ/16 أيار 1918م) لتطبيقها في المناطق المحتلة[1].

وقد نصت التعليمات على ضرورة تسجيل حالات الولادة من الوالدين أو القابلة أو مختار القرية في مكتب الصحة خلال (15) يوماً، ووجوب الإبلاغ عن كل حالة وفاة خلال (24) ساعة إذا كانت الوفاة في المدينة أو القرية وخلال (48) ساعة إذا حدثت الوفاة في مناطق بعيدة، ويتحمل مسؤولية ذلك رب الأسرة أو المستشفى الذي حدثت فيه الوفاة، وكان المخالفون يتعرضون لعقوبة السجن أو الغرامة، كما فرضت حكومة الاحتلال البريطاني التطعيم، فنصّت اللائحة على ضرورة تطعيم المواليد خلال ثلاثة أشهر، ومسؤولية ذلك تقع على عاتق الأب أو الجد، ويصرف للمولود شهادة مجانية لإثبات ذلك، وجددت التعليمات للأمراض المعدية مثل الجدري والكوليرا والحمى وغيرها[2].

وطلبت الحكومة من الموظف المختصّ أو الشخص المصاب أو ربّ الأسرة مسؤولية الإبلاغ الفوري عند وقوع إصابة بأحد هذه الأمراض المعدية. ونصّت أيضاً التعليمات على ضرورة الحصول على إذنٍ بدفن الميت، فلا يتم الدفن إلا بعد مرور ساعات معينه من الوفاة وقبل مرور مدة لا تزيد عن (48) ساعة إلا في الحالات الاستثنائية[3].

وقد واجهت الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة مشكلة مكافحة الملاريا؛ وذلك لأنها كانت من الأمراض المتوطنة في بعض مناطق فلسطين، فاتخذت لذلك إجراءاتٍ سريعةً كصبّ الزيت على الأماكن التي تنتشر فيها الملاريا خاصة بالقرب من نهر العوجا، أو بصب الزيت في الآبار والأحواض في المدن والحواضر،

---

[1] صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها 1914–1920، مؤسسة الدراسات العربية، (القدس/فلسطين)، (1402هـ/1982م)، ص224.

[2] صبري، بهجت، فلسطين، ص224.

[3] (م.ن)، ص224.

وخطت الإدارة العسكرية خطوةً أخرى في مكافحة الملاريا وذلك بالكشف الدوريً على البيوت والمحلات، والعمل على إغلاق الأحواض غير المستعملة؛ حتى لا تكون مكاناً مناسباً لتكاثر، البعوض وقد شمل الكشف هذا على حوالي (19) مدينةً من مدن فلسطين تم فيها إغلاق حوالي (7755) بئراً وحوضاً ومجرىً للمياه، كما تمّ تزييت حوالي (648) بئراً و(151) حوضاً حتى تكون صالحة للاستعمال، ومن ناحيةٍ أخرى استخدمت السلطات العسكرية وسائل الإعلام لتوعية الأهالي للاهتمام بالشؤون الصحية[1].

دور البلديات

صدر قانون الولايات العثماني عام (1284هـ/1867م)، ونصّ على إنشاء مجالس بلدية في مراكز الولايات والأقضية والمدن الكبرى كالقدس وحيفا ونابلس وغيرها، وحدّد القانون مهمّة المجالس البلدية بما يأتي: القيام بالأعمال المتعلقة بالمياه، واتخاذ التدابير اللازمة؛ لتسهيل المرور والنقليات والمحافظة على نظافة البلدة وغيرها[2]، وسبق هذا القانون بسنوات تشكيل أوّل مجلسٍ بلديً في مدينة القدس وذلك عام (1280هـ/1863م)، الذي جاء بعد مجلس العاصمة إسطنبول مباشرة[3].

وقد نصت المادة رقم (111) من نظام إدارة الولايات العمومية سنة (1288هـ/1871م) على تشكيل مجلس بلدي؛ للنظر في أمور البلدية في المدينة أو القصبة، ويتألف هذا المجلس من رئيس ومعاون وستة أعضاء، يساعدهم هيئة مؤلفة من مهندسٍ وطبيبٍ[4]، وقررت الدولة العثمانيّة استخدام الأطباء في مراكز الأقضية والبلديات التابعة للولايات عام (1306هـ/1889م)، فقد عين طبيب ومفتش للصحة في منطقة طولكرم مركز قضاء بني صعب، ومن الأطباء الذين عملوا في منطقة طولكرم الدكتور (أديب الخرطيل) (وحنا حبيب)

[1] صبري، بهجت، فلسطين، ص225.

[2] أغبارية، حسين، حيفا التاريخ والذاكرة، مطبعة الطلائع، (يافا/ فلسطين)، (د.ط)، (1421هـ/2001م). ص197-198.

[3] أبو بكر، أمين، نهضة القدس السياسية 1831-1967، ص12.

[4] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص44. غنايم، زهير، لواء، 68. يزبك، محمود، النظم الادارية والبنى الاجتماعية في حيفا في أواخر العهد العثماني (1870-1914)، مطبعة النهضة، (الناصرة/فلسطين)، ص125. عبيد، يوسف، قصة، ص68. يوسف، مروان، الحياة، ص56.

وغيرهم[1]. وفي سنة (1310هـ/ 1893م) ضم المجلس البلدي في عكا الطبيب (إلياس مدور)، وضم مجلس حيفا الطبيب (إبراهيم الخوري)، في حين خلا المجلس البلدي في الناصرة من وجود طبيب، وكذلك الحال بالنسبة لمجالس بلدية كل من صفد وطبرية، ويرجع تعيين الأطباء في المجالس البلدية إلى اهتمام الدولة بالأمور الصحية، أما فيما يتعلق بخلوّ بعض المجالس من الأطباء في ذلك الوقت يعود إلى قلة عددهم[2].

ومما يوضح اهتمام الدولة بالأمور الصحية في البلديات وتوابعها أنّ راتب الطبيب كان الأعلى من بين رواتب الموظفين في البلديات، ثم يليه راتب رئيس البلدية[3]، ووقع على عاتق البلديات مسؤولية نظافة المدن وتنظيمها، حيث عملت على حراسة الأسواق والإشراف على الوضع الصحي في المدن وإضاءة الشوارع[4].

وقد رافق العقد السابع من القرن التاسع عشر تطور المرافق الصحية والبيئية في حيفا، التي قدمتها كل من الدولة العثمانيّة وفرسان الهيكل ومؤسسات الوقف، من خدماتٍ لتعزيز الصحة ومنع تفشّي الأمراض، فقد بلغ عدد المستشفيات في كل من القدس وحيفا ويافا عشيّة الحرب العالمية الأولى (19) مستشفىً، إضافة إلى المجالس المحلية التي قامت بتقديم الخدمات الصحية ونشر الوعي الصحي في نهاية العهد العثماني، ما ساهم في تحسين أوضاع السكان في فلسطين بشكلٍ عامٍّ وفي المدن الساحلية بشكلٍ خاصٍّ، وقد أدى تطور الخدمات الصحية وازدياد عوامل الجذب لمدينتي حيفا ويافا إلى زيادة عدد السكان، ففاقت هذه الزيادة نسبة الزيادة الطبيعية للسكان، فزاد سكان حيفا إلى عشرين ضعفاً خلال القرن التاسع عشر[5].

وفي تاريخ (2 ذي القعدة 1269هـ/6 آب 1853م) اشتكى القنصل البريطانيّ من سوء نظافة الشوارع في مدينة حيفا؛ بسبب مرور البهائم فيها مما يزيد في اتساخ شوارعها، وبدوره رفع حاكم لواء عكا إلى حاكم حيفا

---

[1] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص219.

[2] غنايم، زهير، لواء، ص68-69.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص70.

[4] يزبك، محمود، النظم، ص6.

[5] (م.ن)، ص27-28.

ومجلسها ضرورة الاهتمام بتنظيف الشوارع يومياً[1]، وفي بداية القرن العشرين طلب نواب القناصل الأجنبية من رئيس بلدية حيفا (مصطفى باشا الخليل) رفع مستوى النظافة بالمدينة لمنع انتشار الأوبئة، مثل: وباء الكوليرا الذي كان سريع الأنتشار، فاهتم مجلس إدارة قضاء حيفا عام (1903م) بوضع خططٍ للقضاء على الأوبئة خاصةً وباء الكوليرا الذي ضرب حيفا، فاتخذ عدة قرارات لمعالجة هذا الوباء، وكان مجموع ما صرفته بلدية حيفا عام (1327-1328هـ/1909-1910م) على النظافة العامة والخدمات الأخرى حوالي (35%) من موازنتها أمّا بلدية الناصرة فصرفت حوالي (36%)[2].

ويرجع سبب تدني الخدمات في المرافق الصحية للبلديات وخاصة بلديّة حيفا إلى عدم مقدرتها على مواجهة الأزمات بالقدر الكافي، فعلى الرغم من وجود الأطباء في حيفا إلا أنها كانت عاجزةً على مواجهة موجات وباء الكوليرا الذي ضرب المدينة في الأعوام (1320-1329هـ/1902-1911م)، فلم تستطع البلدية تقديم أيّ مساعدةٍ طبيةٍ على الرغم من أن أطباءها كانوا يستطيعون تقديم ذلك مجاناً للفقراء[3].

ويورد المؤرخ (محمود يزبك) تقريراً من صحيفة المقتبس سنة (1329هـ/1911م) جاء نصه "أنّ المدينة أصبحت في حال الفوضى، فقد فرّ أكثر سكانها ولم يكن للحكومة فيها هيبة ولا للبلدية أثر، فالذين يموتون بالوباء يغسلون في الماء الجاري في الأزقة والشوارع والأسواق"، ويرجع عجز البلدية عن تقديم الخدمات إلى النقص في ميزانيتها، وتمثل ذلك في قلة تنظيف الأزقة والشوارع العامة ورشها بالكلس، لذا لجأت البلدية إلى الاستعانة بخدمات الأطباء الأجانب الذين تم تجنيدهم بمساعدة القنصليات الأجنبية للمساعدة في الحد من انتشار وباء الكوليرا في المدينة[4].

---

[1] يزبك، محمود، النظم، ص83-84.

[2] يزبك، محمود، النظم، ص126-128.

[3] يزبك، محمود، النظم، ص129. أغبارية، حسين، حيفا، ص198.

[4] يزبك، محمود، النظم، ص129.

وواجهت بلدية حيفا انتقاداتٍ من السكان والقناصل الأجانب بسبب ميزانيتها المتضعضعة، فقد قامت البلدية عام (1331هـ/1913م) باتخاذ خطوةٍ غير عاديةٍ للتقليل من انتقادهم لها، فاستدعت أهالي المدينة لاجتماعٍ عامٍ شرحت لهم أوضاعها المادية، وقد وافق المجلس البلدي على انتخاب لجنة مراقبة من السكان؛ لدراسة القدرة التنفيذية للبلدية وتقديم توصياتهم لتحسين الخدمات البلدية وإدارتها، لكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تطبيق ذلك مما فاقم العجز في ميزانيتها[1].

أما بخصوص جنين فلم تكن بأفضل حال فقد كان ماؤها يجري مكشوفاً؛ ما جعله عرضةً للأوساخ والأقذار التي تسبب الملاريا، ففي عام (1332هـ/1914م) تمّ تغطية منابع المياه وقنوات جرها بقساطل حديديةٍ حتى إن البلدية صرفت في سبيل ذلك (70) ليرةً تقريباً، واشترت بـ(30) ليرةً آلةً لسحب المياه، وقدّمت القروض بمبالغ جزئية للأعمال الإنشائية، إلا أن هذا العمل لم ير النور، فقد كانت جنين وغيرها من المدن والقرى بحاجة لمثل هذه المشاريع، ووصلت نسبة تفشي المرض في جنين إلى (90%) من السكان، وكان السبب الرئيسى لانتشار الملاريا في جنين الجريان غير المنتظم لعين جنين القريبة من البلدة، فكان إصلاح الماء للعين وتوزيعه على الدور بصورةٍ فنيّةٍ وصحيّةٍ هو من أهم أعمال البلدية[2].

في حين أثرّت إجراءات البلديات وخاصة بلدية حيفا في زيادة أعداد السكان فيها بداية من عام (1287-1330هـ/1870-1912م) بنسبة (4.58%)، ويرجع ذلك إلى سببين أساسيين، أولهما الزيادة الطبيعية بسبب محافظة البلدية على جودة الخدمات الصحية في المدينة من خلال توفر المستشفيات التى أقامتها الحكومة، بالإضافة إلى دور المؤسسات التبشيرية الإنجليزية والألمانية والروسية ما أدى إلى انخفاض نسبة الوفيات، بينما كان العامل الثاني هو الهجرة[3].

---

[1] يزبك، محمود، النظم، ص130.

[2] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص256.

[3] يزبك، محمود، النظم، ص176-177.

وشهدت مدينة القدس أيضاً نمواً متسارعاً في عدد السكان في الفترة الممتدة ما بين الأعوام (1266–1331هـ/1850–1913م) نتيجة النمو الطبيعي الذي رافق تحسَّن مستوى المعيشة وتطور الخدمات الصحية والهجرة الوافدة إليها، في حين شهدت انخفاضاً في الفترة الواقعة بين الأعوام (1332–1340هـ/1914–1922م) بسبب الظروف الصعبة التي خيمت على المدينة خلال الحرب العالمية الأولى بفعل انتشار الأمراض وموجة الجفاف[1].

كما اهتمت بلدية نابلس منذ تأسيسها عام (1286هـ/1869م) بالأمور الصحية، وأخذت على عاتقها تطبيق القانون بما يتعلق بالجانب الصحي، فقامت بتعيين طبيبٍ ومعاونٍ له من أجل معاينة المرضى مجاناً أسبوعياً في مكان يُعيَّن من طرف البلدية، وهو مسؤول عن الصحة العامة (الكرنتينا) في المدينة، وتقوم البلدية بدفع راتبه، ويكون مرتبطاً بإدارة الأمور الطبية في إسطنبول ويتلقى التعليمات منها. كما أوجب القانون على البلديات بأن تفتح صيدلية عامة لتزويد الفقراء بالأدوية مجاناً، كما طال الاهتمام الصحي العسكريين، إذ كان يشرف عليهم أطباء عسكريون ولهم مستشفىً عسكري خاص بهم موجود خارج مدينة نابلس في الجهة الغربية منها[2].

وإضافة إلى ذلك فقد أصدرت بلدية نابلس قانوناً للصحة العامة يحتوي على (18) مادةً راعى فيه الأوضاع الصحية العامة، فقامت بمنع السكان من إلقاء النفايات في الشوارع والأزقة وخارج المحلات، وفرضت غرامات على المخالفين، وعينت البلدية مفتشاً يقوم بالتفتيش والمراقبة على المخالفين[3]، وفي عام (1321هـ/1903م) قامت بلدية نابلس ببناء مسلخ جديد خارج المنطقة السكنية، وفرض غرامات مالية باهظة على كل من يخالف التعليمات، وصدرت التعليمات للجزارين بتغطية اللحوم المعروضة للبيع بشاشات نظيفة[4].

---

[1] أبو بكر، أمين، نهضة، ص14.

[2] يوسف، مروان، الحياة، ص56.

[3] بوسف، مروان، الحياة، ص56.

[4] بلدية نابلس، إحتفالية مرور 150 عاماً على تاسيس بلدية نابلس، 4 أجزاء، (نابلس/فلسطين)، (1441هـ/2019م)، ج 3، ص32.

وكانت أول مهمةٍ أنيطت لمجلس بلدي نابلس كغيرها من البلديات في مرسوم التأسيس الذي وجهه متصرف اللواء إلى (محمد تفاحة الحسيني) أول رئيس لبلدية نابلس، هي استكمال وسائل طهارة البلدة ونظافتها، وقد جاء تكليف رئيس البلدية بهذه المهمة انعكاساً لواقع صحيّ سيئٍ كان سائداً آنذاك[1]، وكذلك اتخذت البلدية خطواتٍ احترازيةً من خلال الاهتمام بالنظافة في أثناء انتشار الأمراض والأوبئة، فعندما تفشت الكوليرا في يافا عام(1329هـ/1911م) عملت البلدية على زيادة عدد عمال النظافة خوفاً من تفشّي المرض بالمدينة [2].

واستثمر المجلس البلدي لمدينة نابلس في ثمانينيات القرن التاسع عشر كثيراً في سبيل منع مياه الصرف الصحي من الجريان في قنوات مفتوحة، فقام المجلس بحفر قنوات صرف صحي في معظم أحياء المدينة، وتم توجيه المياه العادمة إلى وادي التفاح غربي المدينة، وأما تكاليف مشروع المجاري وصيانته فقد جُبيت من المقتدرين من سكان المدينة[3].

ووضعت بلدية نابلس مرافق المدينة تحت المراقبة من خلال التفتيش والرقابة على نظافة الأفران والمصابن والحمامات والمعاصر ومحلات الحلاقة والمقاهي والمسلخ والمجاري العامة، ونبهت على ضرورة عدم ربط الحيوانات أمام المحلات والبيوت، وعدم إلقاء قشور البطيخ بالطرقات وأمام المحلات؛ تجنباً للذباب والحشرات، وهو ما يشير إلى أنها ظاهرة بارزة أكثر منها تصرف فردي، وأوعزت لأصحاب الحمامات بتنظيف حماماتهم جيداً ومنع دخول أيّ شخصٍ لخزانات الماء فيها، وضرورة تنظيفها جيداً، وحرصا منها على النظافة العامة وتطبيقاً لما سبق وردت شكوى عام(131هـ/1892م) عن أحد اليهود الساكنين في المدينة وهو (إسرائيل الخياط) أنّه قام بفتح مصرف على الطريق العام فقامت البلدية بالتحري عن الشكوى وقد ثبت الادعاء فتم تغريمه بدفع مبلغ (25) قرشا[4].

---

[1] بلدية، احتفالية، ج3، ص121.

[2] يوسف، مروان، الحياة، ص63-64. بلدية نابلس، احتفالية، ج3، ص122.

[3] بلدية ، احتفالية، ج3، ص32-33.

[4] بلدية، احتفالية، ج3، ص132-133.

ومن الإجراءات التي اتبعتها بلدية نابلس للحد من انتشار الأمراض العمل على تطعيم الأطفال ضد الجدري، فاشترت الطعم من بيروت وقامت بتعيين (محمد صائب) مأموراً لتلقيح الجدري وشراء الأدوات التي يحتاجها التطعيم، وإلزام الأطفال بالتلقيح، وفرض غرامة على الممتنعين، كما قامت البلدية بإجراء التطعيم في القرى التابعة للقضاء إضافةً إلى جنين وطولكرم[1].

وكذلك أنشأت البلدية عام (1331هـ/1913م) – وعلى نفقتها وبناءً على تقرير مأمور التطعيم– عيادةً بالقرب من عين الست؛ لتطعيم الأولاد ضد الجدري طوال ثلاثة أشهر في السنة، كما استأجرت دكان (فؤاد التميمي) بملغ (88) قرشاً في الخان الجديد للغاية نفسها[2]، وفي عام (1332هـ/1914م) استأجرت دكان (أمين عرفات) الواقعة في الخان الجديد لمدة ثلاثة أشهر مقابل أجرة بلغت قيمتها (88) قرشاً و(30) بارة* للقيام بعملية تطعيم الأطفال، وفي فترةٍ لاحقةٍ قررت البلدية البحث عن دكانٍ دائمٍ للتطعيم، فأوكلت المهمة لأحد أعضاء المجلس وهو الشيخ (مطيع أفندي) وذلك بناءً على تعليمات مأمور التطعيم حينها (محمد صابر)، وقد تعدّى دور البلدية حدود المدينة ليصل القرى المحيطة والبلديات الأخرى، فقام مأمور التلقيح التابع للبلدية بتطعيم الأولاد وقائياً من مرض الجدري في (25) قرية من القرى التابعة لنابلس خلال السنوات بين (1327–1331هـ/1909–1913م)[3].

وقد جوبهت عمليات تطعيم الأطفال التي نظمتها بلدية نابلس في بداياتها بالمعارضة من الأهالي ومخاتير القرى، ما تسبب في تفشي الأمراض، فقد أفاد تقرير مأمور التطعيم بنابلس أنّه قام بتطعيم الأطفال ضد الجدري لـ(20) ولداً في قرية نصف جبيل* بالتعاون مع معلم المدرسة (داوود)، فيما امتنع مختار القرية وإمام

---

[1] يوسف، مروان، الحياة، ص63–64.

[2] بلدية، احتفالية، ج3، ص122.

* **البارة:** هي أصغر وحدات النقد العثمانية وأصل الكلمة فارسية تعني قطعة أو جزء. (دويكات، غسان، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة مشاريق نابلس (1224هـ–1336هـ/1799م–1918م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس/فلسطين)، (1434هـ/2014م)، ص138).

[3] بلدية، احتفالية، ج3، ص122–123.

* **نصف جبيل:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس على بعد (17) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (5054) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 162 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص408–409. شراب، معجم، ص711).

المسجد عن إحضار بقية الأولاد والأهالي الذين يجب تطعيمهم، الأمر الذي تسبب في انتشار الجدري في القرية، وبناءً على توصية الطبيب أمر بمعاقبتهم، ووفقاً للقانون فقد تمّ اتخاذ قرارٍ بتغريمهم مبلغ (25) قرشاً لكل منهم لصالح صندوق البلدية وذلك بمقتضى أحكام المادة (20) من قانون تلقيح الجدري[1]. وتكرر الأمر ذاته في قرىً كثيرةٍ كقرية بديا* والزاوية* وكفر ثلث*، إذ امتنع المخاتير عن تطعيم الأولاد بالجدري، فتم تغريم كل واحد منهم مبلغ (25) قرشاً، كما امتنع مخاتير قرى طوباس وعقّابا* عن التطعيم لنفس السبب، فتم تغريمهم بنفس المبلغ، وفي قرى روجيب* وبلاطة* امتنع مخاتيرها عن إجراء التطعيم، فغُرّم كل واحد منهم مبلغ (25) قرشاً، وفي قرية بيتا* رفض (20) من الآباء تطعيم أولادهم، فتم تغريم كل واحدٍ منهم بنفس المبلغ وحوّل القرار لمسؤول الشرطة للتنفيذ[2].

وفي سنة (1912/1330م) تشكلت لجنة الصحة في فلسطين، وكان نصيب القدس منها عضوين، في حين كان نصيب كل من يافا وغزة عضواً واحداً. وكان يقع على عاتق هذه اللجنة إنشاء تقرير شامل يتم إرساله للجهات الحكومية؛ بهدف المحافظة على الصحة العامة ومقاومة الأمراض السارية والمطالبة بإنشاء عدد

---

[1] بلدية، احتفالية، ج3، ص123.

* **بديا:** تقع إلى الجنوبي الغربي من مدينة نابلس على بعد (32) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (13466) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 792 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص543-545. شراب، معجم، ص152).

* **الزاوية:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (35) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (11516) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 398 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص557-558. شراب، معجم، ص427).

* **كفر ثلث:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة قلقيلية وبين قريتي عزون وسنيريه، بلغت مساحة أراضيها (24938) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 643 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص393-394. شراب، معجم، ص620).

* **عقابا:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس على بعد (4) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (7038) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 330 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص458. شراب، معجم، ص537).

* **روجيب:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس على بعد (4) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (7038) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 250 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص294-295. شراب، معجم، ص424-425).

* **بلاطة:** تقع إلى الشرق من مدينة نابلس على بعد واحد كم فقط. بلغت مساحة أراضيها (3000) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 461 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص275-276. شراب، معجم، ص166).

* **بيتا:** كلمة سريانية بمعنى البيت أو الأهل, تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة نابلس على بعد (13) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (17542) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 883 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص309-310. شراب، معجم، ص179).

[2] بلدية، احتفالية، ج3، 123.

من المستشفيات للعجزة، ومطالبة الدولة بتخصيص ما يلزم لذلك، كما اقترحت اللجنة الصحية لتنفيذ قراراتها الرامية إلى تنظيم الأمور الصحية في اللواء ضرورة تنظيم جداول إحصائيةٍ وإجراء مسحٍ شاملٍ بقصد الوقوف على حقيقة الوضع الصحي في اللواء، ومعرفة عدد الأطباء الموجودين وما يلزم منهم لتغطية احتياجات اللواء نفسه[1].

وتنفيذاً لأنظمة الدولة العثمانيّة وقوانينها التي أصدرتها بقصد تنظيم المجالس البلدية وجد في فلسطين أواخر الحكم العثماني (22) مجلساً بلدياً موزعة على النحو الآتي: (10) مجالسٍ في القسم الشمالي، و(8) مجالسٍ في الجنوب، و(4) مجالسٍ في منطقة القدس، وهذه المجالس البلدية وجدت في مدن: عكا، بئر السبع، بيسان، غزة، بيت جالا، بيت لحم، حيفا، الخليل، يافا، جنين، القدس، خان يونس، اللد، مجدل، نابلس، الناصرة، رام الله، الرملة، صفد، شفاعمرو، طبرية وطولكرم. وكانت مهامها مراقبة الشؤون الصحية في البيوت والمحلات، وتوجيه الأهالي إلى استخدام أفضل السبل في ذلك وتشجيعهم على عمليات التطعيم والتلقيح[2].

وخلال المدة (1326–1329هـ/1908–1911م) فرضت بلدية نابلس إجراءاتٍ صحيةً مشددةً، وكان لطبيب البلدية دور كبير في الرقابة على الأمور الصحية، ومنعت البلدية إلقاء القاذورات في الطرقات ومنعت ذبح الحيوانات داخل المدينة، وألزمت دفن الحيوانات خارج المدينة، وكذلك تعاونت البلدية مع مأمور تلقيح الجدري في المدينة والقرى والأقضية التابعة لنابلس، فكانت البلدية تشتري الطّعم من تجار مدينة بيروت وتفرض غرامة على الآباء الذين يمتنعون عن تلقيح أبنائهم[3].

وتعاونت بلدية نابلس مع البلديات الأخرى في سبيل الوقاية من الأمراض والأوبئة، ففي عام (1308هـ/1890م) حصل نقص في حقن التطعيم في بلدية جنين، فتم شراء (84) حقنة تطعيمٍ بمبلغ (42)

[1] صبري، بهجت، فلسطين، ص26.

[2] صبري، بهجت، فلسطين، ص30–32.

[3] يوسف، مروان، الحياة، ص151.

ريالاً مجيدياً من بلدية نابلس، ولم يتوقف دور بلدية نابلس عند بيع حقن التطعيم، بل تعدى ذلك لشراء الحقن للبلديات الأخرى مجاناً وعلى نفقة صندوقها، ففي عام (1326هـ/1908م) ورد في مراسلات موجهة لبلدية نابلس أنّ مأمور التطعيم قد أفاد بانتشار داء الجدري في جنين، وتحديداً في قرية قفيّن*، ولا يتوفر العلاج لدى بلدية جنين، فقامت بلدية نابلس بشراء حقن التطعيم من صندوقها من (حبيب سالم) وهو أحد أطباء جنين بمبلغ (152) قرشاً وإرسالها إلى قفين[1].

وتكفّلت بلدية نابلس بتقديم العلاج المجاني وعلى نفقتها للفقراء وللمستشفى الوطني، وكذلك التزمت البلدية بما تقتضيه الضرورة الطبية لكلّ مريض، فقد تكفلت بعلاج فقراء نابلس في المستشفى الألماني بالقدس والإنجليزي في نابلس ومشافي العاصمة اسطنبول آنذاك، وفي عام(1327هـ/ 1909م) صرفت البلدية مبلغ (116) قرشاً ثمن (58) تذكرة علاجٍ للفقراء خلال أربعة شهور[2].

وكذلك فقد قاومت البلدية انتشار الأمراض بشتى الوسائل المتاحة، فعندما انتشر مرض الدسنطاريا في نابلس عام (1310هـ/1892م) بحثت في أسباب المرض، فتبين أنّ السبب وفقاً لتقرير طبيب البلدية هو تناول اللحوم وخاصة لحوم الأغنام من السمار والبياض، وبناءً على ذلك أوعزت البلدية للقصابين بضرورة عدم ذبح هذه الأنواع حفاظاً على الصحة العامة، ومراقبة ذلك وتغريم أيّ مخالفٍ بجزاءٍ نقديً وإتلاف الأغنام المذبوحة[3]، وفي سنة (1332هـ/1914م) صرفت بلدية نابلس على الصحة والنظافة ما مجموعه (62200) قرشٍ[4].

---

* **قفين:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة طولكرم على بعد (22) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (23755) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 721 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص354-355. شراب، معجم، ص608).

[1] بلدية، احتفالية، ج3، ص124-125.

[2] بلدية، احتفالية، ج3، ص127.

[3] بلدية، احتفالية، ص127.

[4] التميمي، محمد، ولاية، ص94.

ومن الإجراءات التي اتبعتها بلدية نابلس للحفاظ على البيئة والصحة العامة وعلى نقاء الهواء من الأتربة والغبار، إلزامها عام (1326هـ/1908م) أصحاب المصالح التي تقتضي تشغيل الأفران والمواقد على وضع مداخن عاليةٍ لتكون أعلى من مستوى البيوت والمحلات، كما حافظت على رطوبة مداخل البلدة وخاصة الشرقية، فقامت عام (1326هـ/1908م) بإسناد مقاولة رشها بالماء إلى (أسعد عمر خرمة)، بالإضافة إلى تعهده برش الماء صباحاً ومساءً على الطرقات والأشجار خصوصا في شارع الشويتره، كما عينت عام (1327هـ/1909م) كلّاً من (حسن كلبونة) و(سليم طبيلة) لسقاية ورش الطرقات (40) قربة ماءٍ بشكلٍ يوميًّ مقابل أجرٍ شهريً بلغ ليرةً عثمانيةً[1].

وفيما يتعلق ببلدية طولكرم فقد خصصت عام (1331هـ/1913م) ربع وارداتها للتنظيف والتنوير وافتتاح الطرق وتعميرها، وشراء العقاقير الطبية، ورش الطرق بالماء، من أجل الحفاظ على الوضع الصحي، ونجحت أيضا بفكرة استخراج مياه النبع وتوزيعه على البلدة صافياً نظيفاً خاليا من الشوائب والأوساخ، بعد أن كان سكانها يعانون من مشكلة المياه التي تسبب الأمراض، فعملت على استحضار محركاً بخارياً بقوة عشرة أحصنة، وأخرجت ماء النبع إلى حوض كبير مصنوع من الحديد سعته (40) متراً مكعّباً يستوعب (2600) تنكةٍ، ويتم توزيع المياه المتجمعة في الحوض إلى الدور بقساطل حديدية، وكان يجبى من الدار التي تصرف يومياً (4) تنكاتٍ نصف مجيدي، ومن الدار التى تصرف (8) تنكاتٍ ثلاثة أرباع المجيدي، وقد صرفت البلدية على إنجاح هذا المشروع (800) ليرةٍ، وبهذا العمل أنقذت صحة الناس[2].

بناء المستشفيات

كان الاهتمام بالطب في بلاد الشام وفلسطين في القرن التاسع عشر متدنياً بشكلٍ كبيرٍ، فاعتمد السكان في علاجهم على من لديه الخبرة في الطب الشعبيّ دون الذهاب إلى طبيب، وقبل فترة الحكم المصري لفلسطين

[1] بلدية، احتفاية، ج3، ص132.

[2] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص194-196.

وخلاله كان هناك أطباء محليون يعطون المريض دواء وفقاً لموافقة القاضي أو نائبه، ففي نابلس مثلاً كان هناك أخوان مسلمان من عائلة (أبو غزالة)، وكذلك أطباء مسيحيون في يافا والقدس، وبهدف السيطرة على الأطباء المحليين طلبت الإدارة المصرية منهم الحصول على شهاداتٍ تخولهم مزاولة عملهم[1].

وشهدت فلسطين بشكلٍ عامٍّ سلسلة من التغيرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة خلال الحكم المصري، "إذ أنشأ المصريون المستشفيات في عدد من المدن الفلسطينية، مثل: عكا وشفا عمرو وقرية ترشيحا* وغزة، فبلغت سعة مستشفى عكا نحو (400) سريرٍ وتولى إدارة المستشفيات رجال من الجيش، وعيّن (إسماعيل أفندي) مديراً ناظراً لمستشفى عكا الذي افتتح فور سيطرة الإدارة المصرية على المدينة، ويذكر أنّ إنشاء هذه المستشفيات كان لهدف رئيس، هو علاج جنود الجيش"[2]، ولكن العمل في هذه المستشفيات توقف مع انتهاء الوجود المصري في بلاد الشام، وبقي مستشفيان فقط، هما: المستشفى العسكري في عكا، والمستشفى العسكري في حيفا الخاص بالجنود العاملين في سكة حديد الحجاز[3].

ومن إجراءات الحكومة المصرية في فلسطين أنّها عينت في كل متسلميه بفلسطين مديراً للصحة يدعى ناظر الصحة، مهمّته الإشراف على النظام الصحي فيها وفي القرى المجاورة، فعلى سبيل المثال حين علم ناظر صحة يافا عام (1254هـ/1838م) بوجود وباءٍ آخذٍ بالانتشار في قرية كفر كنا بين صفد وعكا، أرسل طبيباً إلى المكان، وحين اكتشف الوباء هناك تم عزل القرية، وكذلك الحال بين أيار وتموز من نفس العام، حيث انتشر الوباء وأغلقت مدن كثيرة أبوابها عدة أسابيع، منها يافا والقدس، وكان غرض هذا الإجراء منع انتشار الوباء بين القرى من خلال قطع المواصلات كافة، وكان هناك حارس خاص بالحجر الصحي في المدن

---

[1] صافي، خالد، الحكم، ص218.

* **ترشيحا:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا على بعد (27) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (47428) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1880 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص422. شراب، معجم، ص223).

[2] صافي، خالد، الحكم، ص216. غنايم، زهير، لواء، ص34.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص262-263.

الأخرى؛ لمنع اقتراب الأشخاص القادمين من يافا[1]، وخضعت هذه المستشفيات زمن الحكم المصري للرقابة، وكان يجرى عليها حملات تفتيشٍ، ويتم إرسال التقارير إلى (إبراهيم باشا)، حيث أبدى (محمد علي باشا) اهتماماً كبيراً بها بفعل اهتمامه الدائم بصحة جنوده وحياتهم[2].

وساهمت الإرساليات التبشيرية الغربية في تطوير الحالة الصحية من خلال إنشاء المستشفيات في فلسطين فقد قامت هذه الإرساليات بإنشاء مستشفيات في لواء عكا استغلت للتغطية على أهدافهم الدينية، فأنشأت البعثة الطبية الاسكتلندية مستشفى في الناصرة أقامه الدكتور فارتن(Farten)، وكذلك امتلكت جمعية يهود لندن مستشفىً يعمل فيه طبيبان، وأقامت لجنة المبعوثين اليهودية التابعة لكنيسة اسكتلندا الحرة مستوصفاً في صفد، وأنشأت البعثة الطبية الاسكتلندية المعروفة بجمعية إدنبرة الطبية المستشفى الإنكليزي في طبرية بموافقة الحكومة العثمانيّة سنة (1309هـ/ 1892م)، وعملت هذه البعثة على إقامة المستشفى الإنكليزي في حيفا، وكان فيه ثلاثة من الأطباء الإنكليز[3]. وظهر أيضاً الاهتمام الأوروبي بفلسطين من خلال بناء المستشفيات فيها خلال القرن التاسع عشر، ومنها بناء المستشفى الإنجليزي بالقدس عام (1258هـ/1842م)، والمستشفى الألماني عام (1262هـ/1846م)[4]، كما تميزت مدينة القدس عن غيرها من جميع المدن المهمة بتوفر مرافق صحية متطورة نتيجة وجود مستوصفات ومستشفيات حكومية وإرساليات وفرت للفلسطينيين خياراتٍ صحيةً متعددة[5].

كما أنشأت الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الروسية مستشفى في الناصرة، وآخر في حيفا، وفي سنة (1326هـ/1908م) حصلت الجمعية على رخصةٍ لإنشاء مستشفىً ثانٍ في الناصرة، كما أقامت راهبات

---

[1] صافي، خالد، الحكم، ص217.

[2] صافي، خالد، الحكم، ص217.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص263.

[4] أوين، روجر، تاريخ، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج 1، ص563.

[5] تماري، سليم، عام، ص62.

المحبة المستشفى النمساوي الألماني سنة (1299هـ/1881م) الذي عُرف بمستشفى راهبات المحبة بالناصرة، كما أقامت راهبات مار يوسف مستشفى لهن في الناصرة[1].

وإلى جانب المستشفيات فقد أقامت الإرساليات المستوصفات أيضاً؛ لتقديم الأدوية ومعالجة المرضى، فمثلاً كان لرهبان الناصرة مستوصفاً في كلّ من عكا والناصرة وحيفا وشفاعمرو، وكذلك أنشأ اليهود والجمعيات التابعة لهم مستشفياتٍ خاصةً بهم، فأقام البارون إدموند روتشيلد(Edmund Rothschild) مستشفىً لليهود في صفد، ومن الجدير ذكره أنّ بعض المستشفيات أقيمت في أبنيةٍ خاصةٍ، وتدخلت الحكومة في تحديد مساحة هذه المستشفيات، فعندما سمحت الدولة العثمانيّة ببناء المستشفى الإنجليزي في الناصرة اشترطت أن يكون طول البناء (47) ذراعاً وعرضه (23) ذراعاً وارتفاعه (16) ذراعاً، بالإضافة إلى ذلك كانت معظم المستشفيات ملحقةً بالأديرة والكنائس، كما ضمّت بعض هذه المستشفيات صيدليات لصرف الأدوية وبيعها للمرضى، فكان في الناصرة ثلاثُ صيدلياتٍ واحدة للروس وأخرى لليسوعيين وثالثة للإنجيليين[2].

وفي مدينة نابلس بدأ الاهتمام بإنشاء المشافي أواخر القرن التاسع عشر، فتم إنشاء مشفيين بالإضافة إلى مشفىً عسكريًّ للجيش العثماني، كالمستشفى الوطني الذي يقع في سفح الجبل الشمالي بجانب خط السكة الحديدية، والذي كان في البداية مكونا من طابقين يتألّف كلّ طابقٍ من ثلاث غرفٍ، وتم تأسيسه بتبرع من الحاج (صالح خريم) عام (1306هـ/1888م)، وسمي باسم مشفى خريم، ولاحقاً تم توسيع المشفى نظراً للحاجة، فجمعت تبرعات من الأهالي والحكومة لتجهيز المستشفى، وتم افتتاح المشفى في احتفالٍ رسميً عام (1326هـ/1908م)[3] ويذكر أنّ البناء استغرق أربع سنوات[4].

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص264.

[2] غنايم، زهير، لواء، ص164-265.

[3] يوسف، مروان، الحياة، ص106.

[4] التميمي، محمد، ولاية، ص 94.

ويذكر أنّ إنشاء المستشفى الوطني في نابلس تم استجابةً لمتطلّبات ثلاثة أمور، أوّلاً: الزيادة الطبيعية الحاصلة في أعداد السكان وحاجتهم الماسة في المدينة والقرى لمشفى، ثانياً: افتتاح أحد المبشرين الإنجليز مستشفىً في نابلس عرف بالمسشفى الإنجيلي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وتقديمه العلاج مترافقاً مع التبشير للمذهب البروتستانتي، ثالثاً: الأمراض والأوبئة التي كانت تفتك بالكثيرين خاصة النساء والأطفال[1].

أما المستشفى الإنجليزي الذي أسسته الإرسالية البريطانية عام (1319هـ/1901م) فتم إنشاؤه في محلة الشويتره على يد الدكتور فلشر(Flasher) في الجهة الغربية، في حين تم إنشاء المشفى العسكري أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ أقامت الدولة العثمانيّة مستشفىً ميدانياً في الجبل الشمالي وتحديداً في منطقة السرايا الشرقية، وقد عرف باسم الشوادر أو العسكري، ومهمته علاج الوحدات العسكرية المقيمة في المدينة[2].

وساهمت مستشفيات الوطني والإنجيلي والعسكري في مدينة نابلس بتحسين الحالة الصحية، وتوفير العلاج المناسب لكثيرٍ من الأمراض، فتشير الإحصاءات إلى علاج أكثر من (800) حالة في مدينة نابلس دخلوا إلى المستشفى الوطني خلال الأعوام (1326–1330/1908–1911م) وتم شفاء معظمها[3].

وأقيم في مدينة القدس بداية القرن العشرين معملاً للأبحاث والفحص الميكروسكوبي يندر مثله في الشرق الأوسط، أسسه الأجانب واليهود، واشترك في إنشائه ثلاث جمعيات طبية:

1. الجمعية الألمانية لمحاربة الملاريا.
2. المكتب الصحي اليهودي.
3. جمعية الأطباء والعلماء اليهود لتحسين الصحة في فلسطين.

---

[1] بلدية، احتفالية، ج3، ص129.

[2] يوسف، مروان، الحياة، ص108.

[3] (م.ن)، ص151.

وقد أطلق عليه المكتب الصحي المختلط، وأدارته لجنة مؤلفة من بعض أعضاء الجمعيات الثلاثة المتقدم ذكرها وهو مؤلف من:

1. معمل الملاريا للبحث في مقاومة هذا الوباء يرأسه مولنس (Mullens).
2. معمل الهيجيني بإدارة الدكتور (برين).
3. معمل داء الكلب والمصل بإدارة الدكتور (بيهان)، والغرض منه استحضار الأمصال اللازمة والبحث في حوادث الكلب التي تقع، وهو نادر لا وجود لمثله في سورية لذلك كان من يصاب بداء الكلب يؤتى به إلى القدس للعلاج.
4. المعمل البكتريولوجي للبحث في الميكروبات بإدارة الدكتور كولدبرج (Coldberg).

وهناك فروع طبية للأبحاث المختلفة، أهمها: فرع الملاريا بإدارة الدكتور (كنعان) وهذا الداء–الملاريا– كثير الانتشار في القدس؛ لأن ماءها أكثره مجموع في الصهاريج[1]، وساهمت الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة في إنشاء الجمعيات الطبية وافتتاح المستشفيات والمستوصفات في البلاد، كجمعية إعانة سوريّة وفلسطين التي تشكلت برئاسة المطران ماكنس(Maknes) من الإرساليات التبشيرية الإنجليزية والأمريكية، وجمعية الصليب الأحمر الأمريكية التي وصلت البلاد في (6 ربيع أول 1336هـ/ 19كانون أول 1917م)[2].

[1] خلف، تيسير، وصف، ص176.

[2] صبري، بهجت، فلسطين، 225.

الفصل الثالث

الكوارث المناخية

مناخ فلسطين وعناصره

تمتاز المنطقة المعروفة تاريخياً باسم فلسطين بأنها من أكثر مناطق العالم تنوعاً بالتضاريس، ففيها الجبال والسهول والصحراء والأغوار[1]، وهي تقع ضمن إقليم مناخ البحر المتوسط الذي يتصف بشتائه البارد والماطر وصيفه الجاف والحار، ولكن هناك عوامل محليةً كثيرةً تتدخل لتؤثر على مناطق معينةٍ ضمن الإقليم المناخيّ الواحد، إلا أنّ هذا التأثير لا يكون في الخصائص الرئيسة العامة للإقليم كفصليَة الأمطار مثلاً، بل في تعديل السّمات لبعض العناصر المناخية، مثل: كمية الأمطار في الشتاء، وقلة حدة الحرارة صيفاً، فنجد منطقةً تتلقى أمطاراً أكثر من منطقة أخرى ضمن الأقليم المناخي الواحد، ومن الممكن أيضاً أن تصل الحرارة في منطقة ما إلى درجة لا تصلها الحرارة في مكان آخر ضمن الإقليم الواحد[2].

ونتيجة لذلك تعد التقلبّات المناخية من أبرز العوامل التي تؤثر في الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في فلسطين وعلى وجه التحديد عند خروجها عن الحد المألوف، فهطول الأمطار الغزيرة وسوء توزيعها لا يقل تأثيره عن الجدب والجفاف؛ نظراً لتشكل الأوحال والمستنقعات في الأراضي الزراعية التي تحول دون ممارسة الأعمال الزراعية المختلفة المعتمدة على طاقة الحيوانات المتواضعة، وذلك قبل دخول الآلة إلى ميادين العمل، ما يؤدي إلى غمر المحاصيل وإتلافها[3].

---

[1] سميث، باميلا آن، فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق/سوريا، (د.ط)، (1411هـ/1991م)، ص15.

[2] عبيد، يوسف، قصة، ص32-33. أبو بكر، أمين، تطور ملكية الأراضي في ساحل عكا 1869-1948م، مجلد 8، عدد2، المجلة الاردنية للتاريخ والاثار، (عمان/الاردن)، (1435هـ/2014م)، ص57.

[3] أبو بكر، أمين، ملكية آل سرسق، ص402.

ومن أهم عناصر المناخ التي لها دور فعّال في عدم استقرار الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة في فلسطين:

الأمطار

تشكل الأراضي البعلية غالبية الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين؛ وذلك لقلة الأنهار دائمة الجريان ولغياب الآبار الارتوازية، وبسبب ذلك فإنّ معظم الزراعة في تلك الفترة كانت تعتمد على الأمطار التي تختلف كميات سقوطها من عام لآخر، لذا فان إنتاجها الزراعي بقي متذبذباً تبعاً لسقوط الأمطار، وكثيرا ما عانت فلسطين من الجفاف بسبب قلة الأمطار[1].

ويعدّ فصل الشتاء موسم سقوط الأمطار في فلسطين، ويبدأ في بعض السنوات في شهر أيلول وفي سنواتٍ أخرى يتأخر عن ذلك، ففي عام (1281هـ/1865م) تأخر سقوط المطر كثيراً، فجاء الموسم الشتوي رديئا جداً، وتأخر سقوطه أيضا عام (1294هـ/1877م) إلى شهر شباط، وكانت تلك السنوات من السنوات العجاف التي مرت بها فلسطين، لذا تتفاوت كميات الأمطار الساقطة على فلسطين من سنةٍ إلى أخرى، فهناك سنوات ذات أمطارٍ غزيرةٍ ووفيرةٍ، وسنوات قحطٍ تسقط فيها الأمطار بكمياتٍ قليلة[2].

[1] المبيض، سليم، غزة، ص129.

[2] عبيد، يوسف، قصة، ص33-34.

والجدول الآتي يشير إلى متوسط معدل الأمطار في المدن الفلسطينية في بداية القرن العشرين[1]:

جدول (5)

توسط معدل سقوط الأمطار في بعض المدن الفلسطينيّة في بداية القرن العشرين

المدينة	كمية الأمطار /ملم
عكا	611
حيفا	635
يافا	547
غزة	333
الناصرة	628
نابلس	632
القدس	583
الخليل	501
غزة	366
بئر السبع	220

ويعد عنصر الأمطار من أهم عناصر المناخ الذي يؤثر بشكل كبير في حياة الشعوب، خاصةً في فلسطين التي يعتمد عدد كبير من سكانها على النشاط الزراعي والبستنة وتربية الحيوانات، فهذا يتوقف على طبيعة التربة وعلى كميات الأمطار وتوفر مصادر المياه، وفي معظم أماكن فلسطين كان هناك مطر كاف لزراعة محصولين في العام الواحد، وكانت معظم المحاصيل الشتوية تتألف من القمح والشعير، وأما المحاصيل الصيفية فغالباً من الذرة البيضاء والسمسم[2].

وكان هذا النمط سائداً فقط عندما تتوفر الأمطار بكمياتٍ كافيةٍ، خاصة في فصل الربيع، إذ تكفل للمحاصيل الصيفية النمو والازدهار، وتزرع المحاصيل الشتوية في شهر تشرين الأول والثاني من كل عام، وتحصد في نيسان حتى أيار حسب المنطقة وكمية الأمطار، وفي بعض الأحيان تزرع مرتين في العام إذا كانت

[1] المبيض، سليم، غزة، ص41.

[2] أوين، روجر، تاريخ، ص553.

الأمطار المتساقطة في بداية الموسم غير كافيةٍ، وكان الإنتاج يتذبذب بين عام وآخر تبعاً لكمية الأمطار ولوجود الآفات المتمثلة بالجراد والحشرات والفئران في الحقول[1].

وارتبط معيار سنوات الخير من غيرها في فلسطين بناءً على غلة القمح والشعير كونهما الغلة الرئيسة والحيوية للسكان، لذا كان المقياس الذي ينتج عنه سنة الخصب أو المحل هو سقوط الأمطار المبكرة في المقام الأول، حتى يتسنّى للحبوب النمو في مرحلة الإنبات الأولى مع عدم وجود الصقيع، يليها انتظام سقوط الأمطار على أشهر السنة الشتوية ابتداءً من تشرين ثاني حتى كانون ثاني وشباط ليدفع النبات للنماء ولو بكمياتٍ قليلةٍ[2].

وعلى النقيض، يحدث المحل إذا تأخر موعد سقوط الأمطار خاصةً في تشرين ثاني وكانون أول، وقلة كمياته عن المعدل في كانون ثاني، حتى لو أعقبها أمطار غزيرة في شباط وآذار فتكون الفرصة قد فاتت لمرحلة إنبات القمح والشعير ومن ثم يتضاءل نمو الساق فيصيبها المحل، ولن تفيد الأمطار عندها إلا المحاصيل الصيفية والخزان الجوفي للمياه، لذا فموعد سقوط الأمطار المبكر وانتظام هطول كمياته على مدار الشهور الشتوية الأولى هما الفيصل في تحديد الخصب والمحل منذ آلاف السنين[3].

"وقد تأثرت الزراعة بعوامل متعددة أدت إلى ارتفاع الإنتاج الزراعي في بعض السنوات وانخفاضه في سنواتٍ أخرى، فتأثرت الزراعة بالظروف المناخية المختلفة كالحرارة والأمطار والرياح، واختلفت كميّة الأمطار من سنة إلى أخرى، كما أنّها غير منتظمة السقوط في الموسم الواحد، فقد تسقط بغزارةٍ في أول الموسم وتقل في آخره أو العكس"[4]، وهنا وثّق الموروث الشعبي أمثاله لمثل هذه الحاله (تمحل على نهر وتغل على جمر)[5]، الأمر الذي يؤثر في الإنتاج الزراعيّ، كما أنّ معدل ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها عن المعدل السنوي

---

[1] أوين، روجر، تاريخ، ص554.

[2] المبيض، سليم، غزة، 42.

[3] (م.ن)، ص42.

[4] غنايم، زهير، لواء، ص399.

[5] منصور، أسعد، تاريخ، 291.

يؤثر بصورة كبيرة في المحاصيل، فيؤدي إلى تلفها أو نضوجها في وقت مبكر، ممّا يؤدي إلى زيادة العرض وانخفاض أسعاره[1].

وتتميّز أكثر الفترات إضراراً بالصحة في فلسطين فيما يتعلق بالأمطار فترة سقوطها في بداية فصل الخريف التي تعد فاتحة موسم الأمطار، وتمتد إلى أن يبدأ المطر بالهطول بانتظامٍ وبكمياتٍ وفيرةٍ، وهذه الفترة لا تتجاوز عادة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع، ولكن في السنوات التي تمتد فيها لفترة أطول كما حدث عام (1271هـ/1855م) فإن الأوبئة تنتشر بكثرة بسبب تشكل المستنقعات التي تكون ملجأً للأمراض، ما يعطل الزراعة نتيجة انتشار الأمراض من جهة ونتيجة غمر مساحات كبيرة من الأراضي بالمياه وافتقار الفلاحين إلى الإمكانيات لتصريف هذه المياه[2].

كما عانت فلسطين خلال الحكم المصري (1246-1255هـ/1831-1840م) نقصاً في المواد الغذائية بسبب قلة الأمطار[3]، ففي شهر كانون الأول من سنة (1255هـ/1840م) تعرضت بلاد الشام لكارثة طبيعية تمثلت بسقوط الأمطار الغزيرة والثلوج والبرد وتشكل الصقيع، ورافق ذلك انسحاب الجيش المصري من بلاد الشام ما أثر عليهم سلباً نتيجة قلة التموين وافتقارهم للألبسة والثياب، فراح عددُ كبيرُ منهم في عداد الموتى قدرت بالآلاف[4].

وفي سنة (1311هـ/1893م) تأخّر المطر عن موعده لفترةٍ طويلةٍ، فساعد ذلك في انتشار مرض الكوليرا[5]، وفي تاريخ (9 محرم1333هـ/26 تشرين الثاني 1914م) وفي (17 محرم/ 4 كانون الأول) من نفس العام

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص399.

[2] روجز، ماري، الحياة، ص160.

[3] صافي، خالد، الحكم، ص73.

[4] بازيلي، سوريا، ص302.

[5] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص252-253.

تساقطت الأمطار بشكلٍ غزيرٍ وجارفٍ ونادر الحدوث فتشكّلت سيول دخلت البيوت والدكاكين خاصةً في مدينة الناصرة، محدثة خسائر فادحة، بالإضافة إلى إنقاذ بعض الأولاد الذين جرتهم مياه الأمطار[1].

الثلوج

يُعدّ سقوط الثلوج في فلسطين من الحالات النادرة بشكلٍ عامٍّ، أو ليس معتاداً، وذلك لأن ظروف تساقطه وثباته تحتاج إلى عوامل مساعدة، ومع ذلك فقد سجَل في بعض السنوات تساقط الثلوج وثباتها، فشهدت مدينة القدس وبيت لحم عام (1249هـ/1833م) تساقطاً غزيراً للثلوج، ما تسبب بأضرارٍ في كنيسة الروم في مدينة بيت لحم[2]، وفي عام (1297هـ/1880م) شهدت الناصرة تساقطاً للثلوج وإعاقةً للحركة، ما يدلل على غزارته نظراً لندرة تساقط الثلوج فيها، وتكرر ذلك فيها سنة (1323هـ/1906م) لكن بكمياتٍ أقلّ[3]، وفي شتاء سنة (1337هـ/1919م) تساقطت ثلوج كثيرة زاد ارتفاعها عن المتر في بعض الأماكن، وقد تعطلت حركة السير فلزم الناس بيوتهم مدة أربعة أيام بشكل لم يسبق له مثيل، وقد أصيب الناس على إثر ذلك بالأمراض الصدرية –الإنفلونزا– التي أودت بحياة كثيرين[4].

الرياح

كان للرياح الشديدة والقوية أثرٌ سلبيّ في حياة السكان، سواءً على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي، ففي شهر تشرين الثاني من عام (1271هـ/1855م) هبّت رياح شرقية أثرت في بعض أثاث البيوت المصنوع من خشب الزيتون في حيفا، وكذلك اشتكى ربانية السفن الشراعية المحلية والسفن الإنجليزية التي كانت راسية في ميناء حيفا من إحداث أضرار بالهياكل الخشبية لسفنهم[5].

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص104–105.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، م2، ص325–326.

[3] منصور، أسعد، تاريخ، ص283.

[4] النمر، إحسان، جبل، ج3، ص156.

[5] روجز، ماري، الحياة، ص161.

الحرارة

تظهر الفوارق الحرارية في منطقة فلسطين بين الليل والنهار وبين الشتاء والصيف، وتصل إلى أكثر من (15) درجةً بين أشد الأشهر حرارةً وهو شهر آب وأشد الأشهر برودةً وهما شهر كانون الثاني وشباط، حيث يصل معدل درجة الحرارة في شهر آب (30) درجةً مئوية، في حين تنخفض الحرارة شتاءً في شهر كانون الثاني وشباط لتصل إلى معدل (15) درجة مئوية وأقل من ذلك، وتختلف الحرارة في بعض المناطق عن بعضها البعض في الفصل الواحد؛ بسبب الارتفاع عن سطح البحر، حيث إن المناطق المرتفعة تكون فيها درجات الحرارة أقل بمعدل درجتين إلى ثلاث وربّما أكثر عن المناطق الساحلية[1].

القحط والجفاف

لا يرتبط مدلول ظاهرتي القحط والجفاف في فلسطين كما يتبادر إلى الذهن بالأمطار وظاهرتي الخصب والمحل، فقد تصل كمية الأمطار إلى أعلى معدل سنويّ ويلازمها القحط والمحل، وبالمقابل فقد تصل كمية الأمطار في بعض السنين إلى حدها الأدنى ويصيب البلاد الخصب[2].

وتعرضت الأراضي الفلسطينية إلى موجات من القحط والجفاف، الأمر الذي هدد الحياة فيها، فأخذ السكان بالبحث عن السّبل لتخطي الأزمة، ففي بداية القرن التاسع عشر وعلى وجه الخصوص (1220هـ/1805م) عمّ الجفاف والقحط فلسطين، فلم يجد السكان ما يكفي من الحنطة والمواد التموينية، الأمر الذي (أجبر سليمان باشا) والي عكا إلى إخراج ما تبقى من الخبز اليابس الذي احتفظ به من العام الماضي لإطعام الناس، فوضعه أهالي عكا بالمعاجن وعملوا على تنظيفه من السوس والعفن الموجود فيه، رغم أنّه لم يكن صالحاً للأكل إلا أنّ الحاجة أجبرتهم على تناوله، وهكذا احتمل الناس تلك السنة حتى نضجت المواسم الجديدة وانفرجت الحال للمخلوقات[3]. وفي عام (1242هـ/1827م) واجهت مدينة القدس قحطاً شديداً، فأرسل

[1] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص23.

[2] المبيض، سليم، غزة، ص42.

[3] العورة، إبراهيم، تاريخ، ص71.

رهبان الروم إلى (محمد علي باشا) يسترحمونه أن يأذن لهم بشراء (500) إردب حنطة و(50) إردب أرز بالسعر الرائج والثمن المعروف[1].

وتعرّضت فلسطين عام (1248هـ/1832م) إلى قحطٍ شديدٍ، فأرسل قاضي القدس إلى حاكم مصر (محمد علي باشا) يرجوه المساعدة بإرسال (1000) إردبٍ من الحنطة، لشدّة الضيق في بيت المقدس واحتياج الأهالي للمواد الغذائية، فوصل كتاب المساعدة إلى حاكم مصر ليرسله إلى المتسلم يخبره بعلمه بالقحط الذي حصل بالقدس، ولكنّه يأسف لأن الحنطة بمصر قليلة أيضاً، ولكنه أمر بإرسال (1000) إردبٍ من الأرز لتباع بسعر السوق ويدفع ثمنها إلى خزينة الجيش[2]، وفي نفس العام من شهر ربيع الآخر تعرضت مطاحن عكا إلى نقص الغلال في المطاحن[3].

وقد عانت فلسطين مدة خمس سنوات متواصلة من الجفاف امتدت من عام (1285-1289هـ/1869-1873م)[4]، وشهد أيضاً عام (1295هـ/1878م) موجة جفافٍ أضرّت بإنتاج الحبوب ما استدعى استيرادها أحياناً، بالإضافة إلى تأثرها بالجراد الذي قضى على نصف محصول حيفا[5]، وشهدت فلسطين سنة (1297هـ/1880م) قحطاً وجفافاً شديدين نتيجة قلة المطر ما أثر سلباً في الأوضاع الاقتصاديّة فبلغ سعر العلف والحنطة ضعف المتعارف عليه[6].

---

[1] رستم، أسد، المحفوظات، مج1، ص88-89.

[2] (م.ن)، ص162. صافي، خالد، الحكم، ص73-74.

[3] رستم، أسد، المحفوظات، مج2، ص88.

[4] قسطالي، نعمان، الروض، ص93. أوين، روجر، تاريخ، ق2، ص550.

[5] رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص950.عيساوي، شارل، التاريخ، ص46.

[6] أوليفانت، لورنس، ارض، ص340. عيساوي، شارل، التاريخ، ص46.

الآثار الاقتصاديّة

كان للتقلبات المناخية بشكلٍ عامٍّ آثارُ إيجابيةٍ على النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وأثر سلبي في الوقت ذاته على بعض فئات المجتمع، ففي سنوات الخير والوفر المطري الزائد عن الحد المألوف، كان يحمل في طياته الخراب والدمار للسكان نظراً لما تحدثه شدة الأمطار من خراب في بيوت بعض السكان، خاصةً أصحاب المساكن المتواضعة من الفلاحين، تمّ بناؤها من موادّ بسيطةٍ كالطين والحجارة، كما أدى تساقط الأمطار بغزارةٍ شديدةٍ إلى تعطّل النشاط الزراعي نتيجة تجمع المياه في الأراضي السهلية وتشكل المستنقعات[1].

ويمكن الاشارة أيضاً إلى أنّ تعرية الجبال من الغطاء النباتي وفقدان أراضي السطوح المائلة للأشجار يسبب شدة التأثرات الهوائية، ويكون ذلك في فصل الشتاء حيث تسقط الأمطار بشدة وتحصل سيول جارفة وشلالات متعددة، فتقذف إلى الأراضي القابلة للزراعة الأتربة التي تحصل خلال سنة من تفتت الصخور، ولهذا السبب تفقد الأراضي القابلة للزراعة تدريجياً[2]، كما أنّ وفرة الأمطار أدت إلى زيادة إنتاج المحاصيل الزراعية وانخفاض الأسعار ممّا يلحق الضرر بالفلاحين، مثلما حصل مع مزارعي عكا عام (1291هـ/1875م) إذ توفرت الحنطة بكثرة فصعب تخزينها وقل طالبوها، وطال الكساد كامل الأصناف بسبب كثرة الوارد وانعكس ذلك على انخفاض الأسعار[3].

وعُدّت سنة (1281هـ/1865م) سنة بلايا ومحنٍ شديدة؛ لما شهدتها من كوارث متنوعة على مختلف المجالات الصحيّة والزراعيّة والمناخيّة، ما أثّر في سوء الأوضاع الاقتصاديّة، فكانت أول المحن هي تأخّر الموسم المطري سنة (1280-1281هـ/1864-1865م) بالإضافة إلى سوئه، وفي أواخر فصل الربيع وأوائل

---

[1] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص22-23.

[2] التميمي، رفيق، ومحافظة، محمد، ولاية، ج1، ص48.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص403.

الصيف هاجم الجراد وأفنى الموسم الصيفي[1]، فقد أعقب تأخر المطر مهاجمة أفواج كبيرة من الجراد لفلسطين في أشهر أيار وحزيران وتموز، لدرجة أنه غطى مساحاتٍ واسعةً من الأرض، إلّا أنّ الأمر الذي بقي يبعث على الأمل في حينها، أنّ الحنطة والشعير قد قست على أنياب الجراد، غير أنه التهم كل نباتٍ أخضر والموسم الصيفي وأوراق الأشجار وأغصانها، وقد ساهمت قلة الأمطار وما نتج عنها من محلٍ حلّت بفلسطين إضافة إلى موجات الجراد إلى الغلاء الفاحش وانتشار البطالة[2].

وفي عام (1290هـ/1874م) جاء في تقرير صحيفة البشير أنّ أسعار الغلال غير ثابتة في بعض الجهات إذ كانت تعاني من نقص بعض المحاصيل في تلك السنة، منها: الذرة، وتفاوت إنتاج بعض المحاصيل، فمنها ما كان جيداً ومنها شحيحاً مثل السمسم[3]، غير أنّ الأمطار المتأخرة التي سقطت أنقذت حياة الناس، فأعطت بارقة أمل للسكان بعد أن كانوا يعانون من ارتفاع الأسعار[4]، وكذلك في عكا، حيث عاش مزارعوها عام (1296هـ/1878م) في خوف؛ جراء الغلاء والضيق نتيجة قلة الأمطار وعدم نجاح موسم الحبوب في هذه السنة، لكنّ الرياح هبت وأدت إلى هطول الأمطار فجأة، واستمر هطول الأمطار أياماً وليالٍ، وعلى إثر ذلك انخفضت أسعار الحبوب، فعقد السكان آمالهم على هذا الموسم[5].

وقد عانى سكان فلسطين عامةً والقدس خاصة من الفقر والجفاف الذي لحق بهم نتيجة انقطاع الأمطار عليهم في الفترة الواقعة بين عامي (1293-1294هـ/1876-1877م)، فمنذ أواسط شهر تشرين الثاني حتى بداية شباط لم تتساقط الأمطار إلا قليلا جداً، فشحّت العيون ونزحت الآبار، ممّا أثر سلباً في ارتفاع أسعار الماء المبيع، فبيعت الجرة الصغيرة بقرشين وارتفع سعر الحنظة من (12) قرشاً إلى (22) قرشاً، وقلّت الأشغال وساءت الأحوال، مما دفع رجال الدين إلى إقامة صلوات الاستغاثة مدة ثلاثة أيام؛ طلباً للمطر[6]،

---

[1] منصور، أسعد، تاريخ، ص95.

[2] منصور، اسعد، تاريخ، 96. قسطالي، نعمان، الروض، ص94.

[3] البشير، عدد 195، 2 أيار 1874م. ص4. (م.ن)، عدد 200، 30 حزيران 1874م، ص4.

[4] (م.ن)، عدد 199، 19 حزيران 1874م، ص4.

[5] غنايم، زهير، لواء، ص401.

[6] البشير، عدد 335، 9 شباط 1877م، ص4.

وفي منتصف شهر شباط من عام (1294هـ/1877م) شهدت مدينة عكا سقوط أمطارٍ غزيرةٍ تسبّبت في إغلاق المحالّ والطواحين التي تعمل بالطاقة المائية؛ نتيجة الفيضانات فأدى إلى قطع الطحين عن المدينة لعدة أيام، بالإضافة إلى غرق ثلاثة مراكب كانت راسيةً في ميناء يافا[1]، ونتيجة لذلك تراجعت أسعار الحبوب والحنطة من (35) قرشاً إلى (19) قرشاً[2].

وكذلك واجهت الزراعة في فلسطين عدة معوّقات أعاقت استمرار التطور الذي بدأ بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ومنها: تخلّف الأساليب والوسائل الزراعية واعتماد المزارعين على الأساليب البدائية، بالإضافة إلى معاناة الفلاحين من الأوبئة التي أصابتهم ومواشيهم ممّا أثر على عملهم الزراعي، كما حدث في شتاء عام (1296هـ/1879م)، وتأثرت كذلك الزراعة بالجفاف الذي أضرّ بإنتاج الحبوب ما استدعى استيرادها من الخارج، إضافة إلى أنّ الجراد قضى على محصول صيف عام (1295هـ/1878م)[3].

في حين أدى هطول الأمطار الغزيرة سنة (1306هـ/1888م) بشكل مفاجئ على غير العادة إلى إلحاق الضرر ببعض المزارعين في عكا الذين لم يجمعوا السمسم من البيادر فجرفته السيول[4]، وأدى انحباس المطر سنة (1311هـ/1893م) إلى انتشار الكوليرا في الرملة، وترافق ذلك مع ارتفاع الأسعار، وقلة واردات المؤن من الخارج[5]، وفي سنوات (1275هـ/1859م) و(1276هـ/1860م) لم يكن هناك في جنوب فلسطين حبوباً تحصد تقريبا بسبب انقطاع المطر[6]، واستمر انقطاع الأمطار من سنة (1283هـ/1867م) حتى سنة (1289هـ/1873م) وصاحب ذلك ارتفاع فاحش في أسعار المواد الغذائية والمزروعات، واستمر هذا الحال

---

[1] البشير، عدد 337، 23 شباط 1877م، ص4.

[2] (م.ن)، عدد 338، 2 آذار 1877م، ص4.

[3] شولش، الكزاندر، تحولات، ص107.عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص128.

[4] البشير، عدد 21،945 تشرين الثاني 1888م، ص3.غنايم، زهير، لواء، ص399.أبو بكر، أمين، تطور، ص57-58.

[5] نعمة الله، إبراهيم، الرملة، ص252-253.

[6] شولش، الكزاندر، تحولات، ص108.

حتى شهر آذار من عام (1289هـ/1873م)، وشهدت بلاد الشام سقوط الأمطار والثلوج التي قطعت طرق المواصلات بين المدن الرئيسة، فعمّ الغلاء الفاحش فلجأ الفقراء إلى البحث عن بقول الأرض لسد جوعهم[1].

وساهمت قلة الأمطار سنة (1322هـ/1904م) في سوء الأحوال الزراعية؛ فازداد الأمر سوءاً بظهور فأر الحقل وموت أعداد من الأبقار التي كانت عماد حراثة الأرض[2]، وشهد عام (1322هـ/1904م) ارتفاعاً كبيراً في درجة الحرارة فأحدثت ضرراً في موسم القطاني بعد أن كان يبشّر بمحصولٍ جيّدٍ، إضافة إلى محصول الخيار الذي أصابه تلف كبير، حتى إن البعض لم يحصل منه على بارة واحدة[3]، وأسهم تأخر المطر عام (1271هـ/1855م) في نقص المؤن بشكلٍ كبيرٍ ما أثر سلباً على كمية الإنتاج الزراعي للحيوانات بسبب نقص المراعي[4]، وتعرضت حيفا في كانون الأول من عام (1274هـ/1858م) لأمطارٍ غزيرةٍ أعقب ذلك تشكل السيول مما تسبب باقتلاع أشجار عديدة من جذورها في حيفا[5].

وقد أسهمت أيضاً قلة الأمطار بانخفاض إنتاج المحاصيل الزراعية ما ساهم في ارتفاع الأسعار، وعانى سكان شفا عمرو إيضاً عام(1323هـ/1905م) من قلة الحركة التجارية والأشغال، وشكا الفقراء من الارتفاع الكبير في أسعار المحاصيل الأساسية كالقمح والذرة والسكر، أما اللحوم فامتنع عامة الناس عن شرائها باعتبارها ليست من ضروراتهم الحياتيه، ويستدل على ارتفاع الأسعار أنه كان يباع كيل الحنطة ما بين (70–74) قرشاً فارتفع إلى (80) قرشاً في فترةٍ وجيزةٍ، وكان سعر كيل الذرة (54) قرشاً فارتفع إلى (58) قرشاً ويرجع ذلك إلى وفرة الطلب وقلة العرض[6].

---

[1] قساطلي، نعمان، الروض الغناء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربي، (بيروت/لبنان)، ط2، (1402هـ/1982م)، ص93.

[2] غنايم، زهير، لواء، ص399.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص400. ابو بكر، أمين، تطور، ص58

[4] روجز، ماري، الحياة، ص165.

[5] (م.ن)، ص212.

[6] غنايم، زهير، لواء، ص400.

وفي عام (1323هـ/1905م) علّق الفلاحون آمالهم على موسم البطيخ والشمام علّه يعوضهم عما لحق بهم من خسائر؛ بسبب نفوق أبقارهم، إلا أنّ الأمور جاءت عكس ما تمنوا، فكانت أسعار البطيخ والشمام قد تدنت بشكل كبير، ففي العام السابق له (1322هـ/1904م) وما قبل ذلك كانت وزنة البطيخ التي تزن ستة أرطال تباع بين ثلاثة وثلاثة قروش ونصف و(30) بارة، ورطل الشمام كان يباع في السنوات السابقة بقيمة قرشين ونصف، بينما في عام (1323هـ/1905م) بيع الرطل منه بقيمة قرشٍ واحدٍ ثم نزل إلى (30) بارةً ثم إلى (25) بارةً؛ ويرجع ذلك إلى زيادة عرض المنتج في الأسواق[1].

وفي شهر آذار من سنة (1327هـ/1909م) احتبست الأمطار عن البلاد إلّا في بعض المناطق وكان ينزل رذاذاً، فجف الزرع واصفرّ العشب، فارتفع سعر رطل الحنطة (20) بارة والسمن قرشين إلى ثلاثة وبناءً على هذه النسبة فقد ارتفعت أسعار الحبوب وغيرها من الحاجات[2]، ما دفع السكان إلى الاستغاثة واللجوء إلى الله –عز وجلّ– في المساجد والكنائس؛ طلباً للغيث، فلم تمض بضعة أيام من شهر نيسان حتى جادت السماء بما يروي ظمأ الإنسان والنبات فعادت آمالهم ألى الحياة وتحسّنت أحوال مزروعاتهم[3].

وفي نهار اليوم (الأول من ربيع الآخر سنة 1327هـ/اليوم الرابع من شهر نيسان 1909م) أحدث صوت الرعد القوي خوفاً في نفوس الناس؛ لأنه ليس من المعتاد أن يحدث ذلك في شهر نيسان، وأعقب ذلك أمطار غزيرة وبردّ أثرّ بشكلٍ كبيرٍ على ثلاث قرىً في منطقة رام الله وهي: جفنا وصردة ودورا القرع، فقد وصل وزن حبة البرد كما نقلت الصحافة ما يزيد عن الأوقية أو تقل عنها قليلاً، وكل من أصابته حبةٍ جرح جرحاً بليغاً، وأتلفت كلّ المزروعات والأشجار وانكسرت الكروم[4].

---

[1] البشير، عدد 1717، 4 ايلول 1905م، ص3. غنايم، زهير، لواء، ص404.

[2] القدس، عد47، 2 ربيع الآخر1327هـ/10 نيسان 1909م، ص3.غنايم، زهير، لواء، ص400.

[3] القدس، عد47، 2 ربيع الآخر 1327هـ/10 نيسان 1909م، ص3.

[4] القدس، عدد47، 2 ربيع الآخر 1327هـ/10 نيسان 1909م، ص3.

وأسهمت قلة الأمطار في تراجع محصول شعير غزة الذي يعد من الجودة العالية، حيث كان يصدَر إلى الخارج لصناعة المشروبات الروحية قبل الحرب العالمية الأولى خاصة إلى إنجلترا، وصدّرت منه غزة سنة (1326هـ/1908م) (38000) طن وفي سنة (1331هـ/1913م) انخفضت الكمية المصدرة إلى (18400) طن ومع تقدم الزمن تضاءلت كميات الشعير لعدة أسباب، أهمها: زيادة مساحة الأراضي التي غرست بأشجار الحمضيات، بالإضافة إلى قلة الأمطار[1].

وفي منتصف عام (1328هـ/1910م) عانى معظم سكان القدس وغيرها من العوز والفقر، وأصبحوا يئنون ويتذمرون من شدة وطأة الغلاء، فأصبح الفقير لا يستطيع القيام بتوفير حاجاته المعيشية وليس في وسعه أن يقوت عياله من الخبز، ويرجع ذلك إلى احتكار التجار للحنطة والحبوب وغيرها من المستهلكات ليتربصوا الفرص لبيعها بأثمانٍ باهظةٍ، في حين كانت الحكومة عاجزة عن ردع مثل هؤلاء وإرغامهم على فتح مخازنهم المليئة بالحنطة التي تكفى مدينة القدس لسنوات[2].

وأحدثت الأمطار التي هطلت مع بداية عام (1330هـ/1912م) في مدينة يافا كثيراً من الأضرار، فتسبّبت بخسائر في بضائع الجمارك والمواد المحفوظة في المخازن، بالإضافة إلى إحداثها هدماً في سور المدينة في حين ما بقى منه أصبح تحت خطر السقوط، لأجل ذلك اقترح بعض الأهالي على بلدية يافا الحصول على قرض بوساطة بعض البنوك بيافا أو القدس، لعمل سور جديد لأجل راحة السياح والركاب والأهالي ولتسهيل عملية شحن البرتقال وتخفيف وطأة الأمطار وخطرها[3].

وشكّلت الأمطار الغزيرة عائقاً أمام سكان اللد، حيث كانت تتسبب في عزلها عن غيرها من البلاد لكثرة ما يحيطها من الوديان من جهاتها الأربعة وما تخلفه من الأوحال، ففي الأسبوع الثاني من شهر تشرين الأول لعام (1330هـ/1912م) هطلت أمطار غزيرة فانقطعت اللد عن المواصلات وفقدت تواصلها مع المدن

---

[1] العارف، عارف، تاريخ، ص288–289.

[2] القدس، عدد 167، 29 رجب 1328هـ/23 تموز 1910م، ص1–2.

[3] فلسطين، عدد 103، 27 محرم 1330هـ/4 كانون الثاني 1912م، ص3.

الأخرى، لدرجة أنّ الطبيب الإنجليزي الذي يأتي إلى المدينة نهار كل يوم ثلاثاء لعيادة المرضى لم يتمكن من العبور من نصف الطريق فاضطر أن يعود أدراجه[1].

وفي بداية سنة (1331هـ/1913م) عانى سكان فلسطين بشكلٍ عامٍّ والقدس بشكلٍ خاصٍ من ارتفاع الأثمان في الحاجات الاساسية؛ بسبب الجفاف والقحط في بداية الموسم المطري المفترض، وعلى الرغم من سقوط الأمطار فيما بعد فقد بقيت آثار القحط الاقتصاديّة ملازمةً لحال السوق، فبقي رطل الطحين يباع بربع ريال ورغيف الخبز الذي لا يزيد وزنه على الأوقية بمتليكين* ورطل اللحم المتوسط في الجودة (30) قرشاً ورطل الفحم بقرشين ونصف، بالإضافة إلى احتكار التجار السلع الرئيسة من الأرز والسكر، ومع ذلك لم تقدم الجهات المختصة أي اجراء لمنع الاحتكار أو القيام بإجراءاتٍ لتخفيض الأسعار[2].

وفي (13 محرم عام 1330هـ اليوم الثاني من شهر كانون الثاني لسنة 1913م) نزلت صاعقة كبيرة في القدس على ساريةٍ فولاذيةٍ قائمةٍ عى سطح مدرسة البنات المعروفة بدار عودة عزام الواقعة شمالي سور المستعمرة الروسية، فشطرت السارية شطرين واقتلعت القضبان الحديدية القائمة عليها السارية، وهدمت البناء المرفوع فوقه العلم، واقتلعت عدداً من الحجارة الكبيرة، وأحدثت أضراراً في المنطقة المجاورة للمدرسة، وتسببت برجّة اشبه بزلزالٍ خفيف أوقع الرعب في نفوس السكان كباراً وصغاراً، فأصيب بعضهم بالحمى جراء هذا الحادث[3].

وأدت كذلك الأمطار دوراً كبيراً في تشكيل المستنقعات نتيجة عدم وجود منفذٍ لجريان هذه المياه إلى المسطحات المائية، خاصةً في المناطق الشمالية من فلسطين ومنها وادي الحولة، وشكلّ وجودها انتشار الأمراض التي تم ذكرها في هذه الدراسة سابقاً، بالإضافة إلى أنّها وقفت عقبة أمام الاستقرار السكاني وتسييت في تعطيل

---

[1] فلسطين، عدد 185، 23 ذي القعدة 1330هـ/20 تشرين اول 1912م، ص3.

* **المتليك:** يطلق عليه العشراوية، وهي عملة محمودية مغشوشة ضربت من النحاس يطلى (10%) فضة قيمته عشرة بارات. (دويكات، غسان، الحياة، ص125).

[2] المنادي، عدد 46، 29 محرم 1331هـ/7 يناير 1913م، ص1-3.

[3] القدس، عدد 331، 2صفر 1331هـ/10 كانون الثاني1913م، ص2-3.

النشاط الزراعي فيها[1]. وشهد النصف الثاني من (القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلاديين) كثيراً من الاضطرابات في بلاد الشام، مما أدى إلى نقصٍ واضحٍ في مساحة الأراضي الزراعية، فقد هجر السكان عدد كبير من القرى بسبب الملاريا الناجمة عن تجمعّ المياه وعدم تصريفها[2]، وفي عام (1300هـ/1883م) أجبر تجمع المياه في قرية ملبس سكانها على الرحيل عنها مؤقتاً بسبب انتشار الملاريا[3].

وفي عام (1308هـ/1891م) كانت الأراضي التي تتبع منطقة الخضيرة* تصل إلى أكثر من (30000) دونمٍ وكانت الحقول الكثيفة تنتشر حول المستنقعات في ثلاثة جوانب: مستنقع الفقراء إلى الجنوب والشمال، ومستنقع الركاس إلى الشرق منها والذي اتصفت أراضيه بالخصوبة لكنّها كلها مهدورة، وكانت النباتات الشوكية ترتفع فيها بما يغطي الحصان وفارسه، وتترك دون حراثةٍ وزراعةٍ، وإلى الجنوب من الخضيرة يقع السهل الساحلي الذي يربط سهل السامرة بسهل شارون، وفيه المستنقعات والرمال المتحركة لكنه قليل الوجود السكاني[4].

ويقع وادي الحوارث على جانبي نهر اسكندر الذي يستمد مياهه من الشرق ويفرغها في البحر المتوسط، فكان هذا النهر يتسم بالرمال المتحركة التي تسبب ارتفاعاً في مستواه فيكوّن منطقة المستنقعات والسبخات في المنطقة المغمورة بالمياه، حيث حاول أحد المهندسين عمل خططٍ لتجفيف المنطقة فكان جدول اسكندر الذي يعبر الوادي وكذلك الجداول الأخرى التي تصب فيه مناطق مستنقعات تغطيها النباتات البرية، وكانت هذه المناطق موطناً لحشرات البعوض الناقلة للأمراض وغيرها، وكانت ضفاف النهر تغطى كلياً في بعض الأحيان بالشجيرات البرية وغيرها ولا تجد القدم البشرية لها موطئ قدم. ويمتد سهل شارون أو سارونة إلى الجنوب من وادي الحوارث على طول يافا، فشكل وجود التربة الرملية والمستنقعات عائقاً أمام زراعة هذه

---

[1] أريه، افنيري، دعوى، ص42.

[2] عيساوي، شارل، التاريخ، ص403.

[3] عيساوي، شارل، التاريخ، ص502.

* **الخضيرة:** تأسست في كانون الأول من عام 1890م، تقع إلى الجنوب من مدينة حيفا على بعد (12) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (2000) دونماً. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج7، ص685).

[4] أريه، افنيري، دعوى، ص51.

الأراضي باستثناء القليل منها، وكان مستنقع رمضان الكبير يسبب الملاريا في منطقة واسعة منه، وما زاد الأمر سوءاً أنّ مياه المستنقع لم يكن لها منفذ إلى البحر[1].

وقد دفعت الأوضاع المادية السيئة الفلاحين إلى الاستدانة من المرابين برهن أراضيهم، وعندما يعجزون عن سداد الدين يضطرون إلى بيعها لهؤلاء المرابين والعمل فيها بالأجرة، وهذا ما حل بسكان أمّ الفحم فقد كانوا يجمعون محاصيلهم بينما الإبل تنقل هذه المحاصيل إلى البيادر في القرى الأخرى ويجلس المرابي تحت مظلته يراقب الفلاحين كيلا يسلبونه حصته، وعملت الطبقة الأرستقراطية على ابتزاز الفلاحين وتقديم الأموال لهم كديونٍ بنسبٍ فادحةٍ ما أدى إلى فقدانهم لأراضيهم في سهل حيفا، وأصبحوا غير قادرين على الوقوف أمام ابتزاز جامعي الضرائب الحكوميين من ناحيةٍ وربا المرابي وطمعهٍ من ناحيةٍ أخرى[2].

ومن الأمثلة على ابتزاز المرابين والملتزمين بجبي الأعشار يورد بيرجهايم (Bergheim) نقلاً عن شولش(schulch) "أستطيع أن أقول باطمئانٍ من المشاهدات الدقيقة التي قمت بها خلال عشر سنوات تقريبا من العمل بالزراعة في سهول شارون –سارونا– قرب الرملة أنّ المبالغ التي يجمعها العشّار لا تعادل العشر القانوني بل تبلغ (33%) بدلاً من (10%)"[3].

أما القسم الجنوبي من فلسطين فقد تميّز بقلة أمطاره الأمر الذي ساعد في حمايتها من انتشار الأمراض وخاصة الملاريا، وعلى الرغم من ذلك إلّا أن خطر الرمال المتحركة كان بترصّد بهذه البقعة الجغرافية، فتتقدم هذه الرمال بمعدل ياردة واحدة سنوياً، وتعد سمات منطقة النقب التابعة إدارياً لبئر السبع والتي تشغل مساحة (12.5) مليون دونماً تحت خط الجفاف – وبمعدل سقوط أمطار أقل من (200) ملم سنوياً– من أهم العوامل التي ساهمت في تناقص أعداد السكان فيها وحرمانهم من استغلال مساحاتٍ واسعةٍ منها في النشاط الزراعي[4].

---

[1] أريه، افنيريه، دعوى، ص51.

[2] غنايم، زهير، لواء، ص404.

[3] شولش، الكزاندر، تحولات، ص294.

[4] أريه، افنيريه، دعوى، ص57.

وقد سببت الرياح القوية التي عصفت بمدينة يافا عام (1330هـ/1912م) إلى عزلها، فأصبحت البواخر لا ترسو إلا خلسةً وتصلها متأخرةً عن أوقاتها، ولا ينزل إليها أحد من المسافرين أو السياح إلا إذا سمح البحر ببضع ساعات، ما أثر على التاجر والمزارع وأصحاب البنوك والفنادق وأصحاب العربات والشيالين وغيرهم من جميع الطبقات[1]. ومما يذكر أنّ أحد تلامذة كلية بيروت من أبناء يافا كان قد ركب من بيروت الباخرة النمساوية لقضاء فرصة العيد في يافا بين عائلته فأقلته الباخرة إلى بورسعيد؛ لعدم تمكنها من الرسوّ بسبب الرياح، وركب من هناك باخرة أخرى فلم تتمكن هي أيضاً من مقابلة البلدة بل حملته إلى بيروت، وكان قد قضى عطلة العيد على ظهر الباخرة[2].

وفي سنة (1330هـ/1912م) أثّر هيجان البحر في خسارةٍ كبيرةٍ لتجارة البرتقال التي كانت أهمّ محاصيل يافا، وممّا زاد الوضع سوءاً عدم وجود مرفأٍ للبلدة، فكانت الخسائر تعادل فرنك ونصف في كل صندوق، بالإضافة إلى خسارة تسعة أعشار المحصول بشكلٍ عامٍ[3]، ويذكر أنّ محاصيل يافا لسنة (1331هـ/1913م) فاقت عن (300) ألف صندوقٍ[4]، وبتاريخ (18 شباط من عام 1913م) هاج البحر حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر عندما كانت البواخر تشحن حمولتها؛ ما أدى إلى إتلاف صناديق البرتقال والنبيذ في حين أجبرت البواخر على الإقلاع قبل استيفاء شحنها[5]، مع العلم أنّ الاهتمام بمحصول البرتقال بدأ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ففي سنة (1289هـ/1873م) أنشئت في الضواحي المحيطة بيافا (420) بيارةً بلغ محصولها السنوي (3,33) مليون حبةٍ، وكان سدس هذا المحصول يغطي حاجة فلسطين، أما الباقي فصدّر إلى مصر وآسيا الصغرى وأوروبا[6].

---

[1] فلسطين، عدد 104، 1 صفر1330هـ/7 كانون الثاني1912م، ص3.

[2] فلسطين، عدد 104، 1صفر1330هـ/7 كانون الثاني 1912م، ص3.

[3] (م.ن)، عدد 146، 5 جمادى الثاني1330هـ/6 حزيران 1912م، ص3.

[4] (م.ن)، عدد 230، 1 جمادى الاول 1331هـ/3 نيسان 1913م، ص1.

[5] (م.ن)، عدد 218، 26 ربيع الاول 1331هـ/20 شباط 1913م، ص3.

[6] شولش، الكزاندر، تحولات، ص112.

كما شكّلت موجات الرمل أثراً في تراجع الأراضي المعمورة بالزرع والغرس، محدثةً أضراراً جمة خاصة في أراضي القرى المحاذية لشاطئ البحر، ولأجل ذلك سمح قانون أراضي الموات بغرسها بالأشجار الحرجية خاصة الكينا بشرط أن تكون محتطباً مشاعاً بالقرى الساحلية، فقدم أهالي مستعمرة عيون قارة طلباً لغرس الأراضي الرملية التي تحد أراضيهم من جهة الغرب بأشجار الكينا حتى البحر؛ ليمنعوا ضرر سير الرمل إلى أراضيهم الزراعية، وقد أرادوا أن يشتروها من الحكومة أثناء إدارة (كاظم بك) متصرف القدس بمبلغ (6000) ليرةٍ فلم يفلحوا في ذلك[1].

الآثار الاجتماعيّة

تأثّر النمو السكاني في فلسطين خلال العهد العثماني بالتقلبات السياسية والاضطرابات، فجعلته يتميز بخطوطٍ متذبذبة صعوداً وهبوطاً، ويتضّح ذلك من خلال التفاوت في أعداد السّكان[2]، فقد أثرت الأوضاع المناخية الصعبة حول طبرية في قلة عدد القرى في قضائها، وعدم إقبال السكان على الإقامة فيها؛ بسبب ارتفاع درجة الحرارة صيفاً وقلة الأمطار شتاءً، بالإضافة إلى انتشار القبائل البدوية بصورةٍ كبيرةٍ في اللواء والتي كانت تهاجم الفلاحين وقراهم[3]، وتميزت منطقة السهل الساحلي الفلسطيني بقلّة الكثافة السكانية مقارنةً بغيرها من المناطق؛ نظراً للعوامل الطبيعية المتمثلة بوجود المستنقعات، وغزارة الأمطار فيها وقلتها في بعض السنوات، بالإضافة إلى وجود الغابات والهوام[4].

[1] فلسطين، عدد 163، 4 رمضان1330هـ/4 آب 1912م، ص3.

[2] المبيض، سليم، غزة، ص413.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص93.

[4] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص34.

ويتّضح من خلال التقسيمات الإدارية التي كانت تنشرها الدولة العثمانيّة للواء عكا وجود فجوة كبيرة في عدد قرى قضاء طبرية ما بين عامي (1269هـ/1852م)، والذي يتضح من خلال الجدول (6) في حين يعطينا الجدول (7) للتقسيمات الإدارية لسنة (1303هـ/1885م) كما هو مبين في الجدول (6)[1].

جدول (6)

التقسيمات الإدارية التي كانت تنشرها الدولة العثمانيّة للواء عكا

القضاء	عدد القرى[2]
عكا	38
شفا عمرو	18
الناصرة	25
طبرية	42
حيفا	42
صفد	11
المجموع	**176**

جدول (7)

التقسيمات الإدارية لسنة (1303هـ/1885م)

القضاء	عدد القرى[3]
عكا	109
صفد	44
حيفا	45
الناصرة	26
طبرية	23
المجموع	247

[1] غنايم، زهير، لواء، ص46-47.

[2] غنايم، زهير، لواء، ص46-47.

[3] (م.ن).

وقد أدّت التقلّبات المناخية دوراً كبيراً في تنّقلات البدو من منطقة إلى أخرى، فمثلاً كانت الأغوار ومرج ابن عامر والسهل الساحلي منطقة استقطاب لإقامة العشائر البدوية شتاءً بحثاً عن الدفء وهرباً من البرد في المناطق الجبلية المجاورة، ثم تنتقل القبائل إلى المناطق المرتفعة في أواخر الشتاء وخلال الصيف لاعتدال الحرارة ولتوفر المراعي أكثر من توفرها في المناطق السهلية، وقد أدى ذلك إلى تذمّر الفلاحين خوفاً من نهب البدو لمحاصيلهم الزراعية وسلبها[1].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً أنّ عشيرة الهيب* كانت تخيم صيفاً شمالي صفد وشرقيها وبمحيط بحيرة الحولة شتاءً، وكان عرب الحمدون* يخيمّون غربي الحولة شتاءً وينتقلون إلى شمالي صفد وحيفا. بالإضافة إلى أنّ قبيلة صخر الأردنية التي كانت تقيم شرقي الأردن كانت تتحرك شتاءً نحو الغور فتخيّم بمحيط طبرية وتمتد سيطرتها فتصل إلى سهل مرج ابن عامر، وانتقلت كذلك عشائر التلاوية من بيسان واستقرت بسهل البطيحة على الشاطئ الشرقي من طبرية، وانتقلت قبيلة الهوارة من مصر إلى لواء عكا خلال فتراتٍ متعددةٍ من القرن التاسع عشر[2].

وعشية عيد ميلاد السيد المسيح (1272هـ/24 كانون الأول لسنة 1855م) هطلت الأمطار بغزارةٍ في فلسطين خاصة في حيفا، ولم ير لها مثيل على الإطلاق، فتسبّبت بتدفق سيولٍ سريعةٍ من الماء والوحل، وقطعت حيفا من جميع الاتجاهات وتسرّبت الأمطار من النوافذ رديئة الصنع، واقتلعت الرياح القوية مصاريع النوافذ والأبواب من مفصلاتها، واستمرت الأمطار بالهطول لمدة ثلاثة أيام بشكلٍ متواصلٍ، ما جعل السكان يسيرون حفاةً والمياه تغمرهم حتى رسغ القدم[3].

---

[1] غنايم، زهير، لواء، ص157–158.أوين، روجر، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ص551.

* **قبيلة اللهيب:** بطن من بطون القحطانية أشتهروا بفروسيتهم وكثرة غاراتهم، يقضون الشتاء في قضاء عكا وجنوب لبنان، وفي الصيف ينزلون شمالي صفد وشرقها. (الدباغ، بلادنا، ق1، ج1، ص152–153).

* **قبيلة الحمدون:** ينسبون إلى بطون اللهيب التي تعود الى القحطانية. (الدباغ، بلادنا، ق1، ج1، ص164).

[2] غنايم، زهير، لواء، ص157–158.

[3] روجز، ماري، الحياة، ص165–166.

وتسبّبت غزارة الأمطار التي هطلت في (15 محرم 1327هـ/5 شباط من عام 1909م) بسقوط بعض عقود مزرعة تل العدس على بعد خمسة أميالٍ جنوب الناصرة –التي يمتلكها آل سرسق– على كثير من فلاحي الناصرة، وكان يعزَّب فيها فلاحو الناصرة في أثناء الفلاحة في المرج، وهي مؤلفة من أربعين عقداً، عشرين من كل جهة، وسقطت نتيجة اشتداد الأمطار والزوابع، ومنعت خروج الفلاحين من بيوتهم، وكان في الجهة الغربية نحو (90) شخصاً لم ينج منهم إلا رجل وبنت، ونفق أيضاً (130) رأس بقرٍ و(20) حماراً و(10) خيولٍ وقدرت الخسائر ب (6000) ليرةٍ فرنساويّة عدا الأنفس[1].

ومع أن تساقط الأمطار كان وقت الظهر إلّا أن الخبر لم يصل إلا في صباح اليوم التالي لانقطاع المواصلات نتيجة شدة تساقط الأمطار، وعند وصول الخبر أسرع قائمقام المنطقة (فوزي بك الملكي)، وأطباء المستشفى الإنجليزي والمستشفى الروسي ومستشفى راهبات المحبة، ومعهم الممرضات وما يلزم لمساعدة الجرحى وغيرهم، بالإضافة إلى ذهاب نحو (200) شابٍ من الناصرة معهم المعاول والفؤوس لإنقاذ الأهالي جّراء ما حلّ بهم نتيجة الأمطار[2].

كما كان وجود المستنقعات عقبة ومشكلة أمام استقرار الناس في منطقة جنوب الكرمل خاصةً بعد حملة (نابليون) عام (1212هـ/1798م) وحملة (إبراهيم باشا) عام (1247هـ/1832م)، وكانت المنطقة الساحلية بين الكرمل والطنطورة عام (1290هـ/1874م) جزءاً موحشاً والأقلّ سكاناً في البلاد كلها، فإلى الجنوب من الطنطورة كانت المستنقعات الناشئة من نهر الزرقاء، وإلى الجنوب كان هناك الكثبان الرملية المتحركة في قيسارية، ونتيجةً لذلك فقد استوطنت الحشرات الضارة التي حالت دون الاستقرار في قيسارية، ويذكر أنّ عدداً من الشركس انقرض بسبب الملاريا[3].

---

[1] البشير، عدد 1898، 15شباط 1909، ص3. منصور، أسعد، تاريخ، ص103. غنايم، زهير، لواء، ص401. أبو بكر، أمين، ملكية، ص403.

[2] منصور، أسعد، تاريخ، ص103–104.غنايم، زهير، لواء، ص401.

[3] أريه، افنيري، دعوى، 50–51.

ثم جاء فرسان الهيكل الألماني الذين ما لبثوا أن غادروا المنطقة بعد إقامةٍ قصيرةٍ فيها، وقد تبعهم لاجئو البوسنة الذين منحهم السلطان (عبد الحميد الثاني) حمايته، ولوقت قصير كانوا ناجحين وأصبح تعدادهم حوالي (300) نسمةٍ، لكنّ عددهم تراجع بعد ذلك[1]، ونتج عن إهمال بلدية اللد في تلافي الأضرار الناجمة عن تراكم الأوحال وتكوّن برك الماء والمستنقعات في الشوارع ظهور الروائح الكريهة والغازات إصابة جميع الأهالي بمرض النزلة الصدرية[2].

وقد حوّلت ينابيع مياه أراضي قرية ملبس مستنقعاً حوى بداخله ملايين البعوض الناقل للملاريا، ما حال دون الاستقرار البشري هناك، فأرسل المستوطنون الصهاينة الأوائل طبيباً من يافا يوناني الأصل يدعى (ميزر أكيس) من أجل مسح المنطقة وإبداء رأيه حول ملاءمتها للسكن، وخلال تلك الزيارة وقف الطبيب على سطح أحد المنازل لفترةٍ طويلةٍ مستكشفاً ما حوله بكل انتباه، وفي النهاية أخبر مرافقيه: "لقد وقفت أنظر إلى السماء لمدة طويلةٍ من أجل رؤية بعض الطيور، ولكنّني لم أشاهد أيّ طيرٍ مع أن البذور والديدان والحشرات من كل الأنواع متوفرة تماماً، وأستطيع أن أستنتج فقط أنّ الطيور تتبع غريزتها الصحيّة وتقرر الابتعاد عن هذا المكان، إنها أرض تأكل ساكنيها"[3].

وتعد التقلبات المناخية من أبرز العوامل التي أسهمت في تشكيل ملكية العائلات المتنفّذه –ومنها السراسقة في فلسطين– وعلى وجه التحديد عند خروجها عن الحد المألوف، فهطول الأمطار الغزيرة وسوء توزيعها لا يقل تأثيره عن الجدب والجفاف؛ نظراً لتشكل الأوحال والمستنقعات في أراضي سهل مرج ابن عامر التي كانت تحول دون ممارسة الأعمال الزراعية المختلفة القائمة على طاقة الحيوانات المتواضعة، وذلك قبل دخول الآلة إلى ميادين العمل، وغمر المحاصيل وإتلافها[4].

---

[1] أريه، افنيري، دعوى، ص51.

[2] فلسطين، عدد 209، 24 صفر1331هـ/19 كانون الثاني 1913م، ص3.

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص52–53.

[4] أبو بكر، أمين، ملكية، ص403.

ولقد كانت أراضي السهل الممتدة بين مدينتي الناصرة وجنين تتعرض للأمطار الغزيرة فتسبب المستنقعات التي لم تجف إلا في أواخر فصل الربيع، وبذلك فإنّ إمكانية زراعتها قد فات أوانها؛ بسبب عدم صلاحيتها للحراثة، وعدم قدرة الحيوانات العاملة على الجر، وارتفاع الأعشاب البرية التي طغت عليها، ودرجة تماسك جذورها، ودرجة احتفاظها بالرطوبة، وفي مثل هذه الحالة كان المزارعون يضطرون لاستلاف القروض الربوية من شيوخ القرى والبنوك وتجار المدن وأفنديّتها؛ لتغطية نفقات شراء البذور والأعلاف لحيواناتهم العاملة في الموسم القادم[1].

وقد افتقرت المناطق الجنوبية من فلسطين إلى مصادر المياه، وترافق ذلك مع شُحّ الأمطار، فكلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب قل معدل سقوط الأمطار مع تباين كمياته من سنةٍ إلى أخرى، فكان للسنوات الجافة والماطرة أثر حاسم في المنطقة وممّا أثر في أسلوب حياة السكان البدو ومكان تواجدهم[2]، ففي عام (1295هـ /1878م) كانت قرية الظاهرية* مهجورة تماماً بسبب القحط، فلم يكن السكان قادرين على دفع الضرائب المترتبة عليهم، وكان شُحّ المياه قاسياً جداً فيها[3]، وبالمقابل فإنّ الأمطار الوفيرة كانت تسهم في وجود الملاريا حتى في المنطقة الجنوبية، ففي عام (1291هـ/1875م) عانت بيت جبرين كثيراً من الملاريا في أعقاب موسم المطر الوفير السابق، ونتيجة ذلك توفي (500) شخصٍ بسبب الملاريا التي نتجت عن الحشرات التي تكوّنت في البقع المنخفضة والتي لم تجفّ خلال الصيف، ولم يبد السكان أيّ فكرة لتجفيف تلك المستنقعات[4].

كما كان لقلة الأمطار أثرها في الغطاء النباتي ذي القيمة الخشبية، فأثر على نمط السكن خاصةً في الجهة الجنوبية من فلسطين وبالتحديد غزة، فأقام المواطن الغزي المساكن الطينية منها أو الحجرية ذات الطراز

---

[1] أبو بكر، أمين، ملكية، ص403.

[2] أريه، افنيري، دعوى، ص56.

* **الظاهرية:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الخليل على بعد (23) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (120854) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 2266 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج5، ص237-238. شراب، معجم، 494).

[3] أريه، افنيري، دعوى، ص56. رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص891.

[4] أريه، افنيري، دعوى، ص56.

القبابي المحشوة بالرمال والفخار الخالية من جذور الأشجار[1]. وشهد موسم عام (1290هـ/1874م) انتشار الأمراض في جبل الخليل ممّا تسبب بالفتك بأعدادٍ كبيرةٍ من سكانها، وفي عام (1296هـ/1879م) قاسى فلاحو منطقة نابلس جراء نفوق أعدادٍ كبيرةٍ من مواشيهم نتيجة الأمراض والأوبئة التي أصابتها[2]، وفي بداية القرن العشرين دمرت الأمطار عدداً من المدارس التعليمية في غزة[3].

وقد تركت الرياح القوية التي ضربت فلسطين في بعض السنوات أثراً في الحياة الاجتماعيّة من خلال إثارة الفزع والخوف في نفوس السكان، ففي تشرين الثاني من عام (1271هـ/1855م) اتجهت عدة سفنٍ من عكا إلى ميناء حيفا فكانت الرياح شديدةً وغير مواتيةٍ لرسو السفن لدرجة أنّ السفينتين تحطمتا خارج ميناء عكا، وفقد زورقان داخل الخليج، واستمرت الرياح الغربية بالهبوب بقوة ليومين، امتلأ مصب نهر المقطع بالرمال، وصار بالإمكان قطعه مشياً على الأقدام، ثم هبّت الرياح الشرقية فجأةً وسحبت الحاجز الرملي بعيداً حتى بلغ عمق النهر اثني عشر قدماً ليعود كما كان سابقاً[4].

وفي عام (1275هـ/1858م) تعرض مركب صغير للغرق بفعل عواصف الهواء القويّة، وكان على متن القارب كميات من الأرز والبرتقال، بالأضافة إلى عائلةٍ يهوديةٍ مكونة من أب وأم وعدة أطفال، فتسببت العواصف في ارتطام المركب بالصخور على شاطئ حيفا، فانشطر المركب إلى نصفين، وقد نجا من الحادث رجل واثنين من ملاحي القارب، بينما مات جميع ركابه إما غرقاً أو بفعل الارتطام بالصخور على الشاطئ باستثناء رضيعٍ يبلغ من العمر سنةً واحدةً حملته موجة عالية قوية إلى بر الأمان، فتجمع بعض الناس لمراقبة ما حل بالمركب المنكوب والتقطوا الطفل الصغير ودهشوا لذلك الحدث[5].

---

[1] المبيض، سليم، غزة، ص40.

[2] رافق، عبد الكريم، فلسطين، ج2، ص 950.

[3] المبيض، سليم، غزة، ص395.

[4] روجز، ماري، الحياة، ص165.

[5] روجز، ماري، الحياة، ص367.

وفي (3 ربيع الأول1275هـ/10 تشرين الأول 1858م) تعرض قارب للغرق بفعل دّوامةٍ هوائيةٍ تشكلت بالقرب من شاطئ حيفا، وفي اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه شهدت حيفا هطولاً مستمرّاً للأمطار، وفي مساء ذلك اليوم شهدت المدينة واحدةً من أقوى العواصف الرعديّة، وتبعها بعد ذلك عاصفة هوجاء مصحوبةً بالمطر الغزير والرياح والتي استمرت طوال الليل ولم تتوقف إلا بعد الشروق بقليل، وساد الهدوء في حيفا لكنّ شوارعها غدت كالقنوات التى تحطمت وانهارت، في حين اقتلعت العاصفة الهوائية عدداً من الأشجار في البيارات من جذورها أو عرّتها من أغصانها باستثناء أشجار النخيل اللينة التي بدا أنها الوحيدة المصممة على الصمود أمام هذه العواصف العاتية[1].

ونتيجةً لموجة الجفاف التي تعرض لها شمال فلسطين عام (1286–1287هـ/1869–1870م) فقد توقف النشاط الزراعيّ في سهل مرج ابن عامر بالكامل، الأمر الذي جعل المزارعين عاجزين عن الوفاء بحاجتهم من الأقوات، وتسديد الضرائب المترتبة على أرضهم للخزينة والقروض الربوية التي استلفوها لتغطية عجزهم، ممّا دفع الخزينة لطرح أراضهم بالمزاد العلني، ورست مزايدتها على السراسقة[2]. ويذكر أنّ الحكومة العثمانيّة في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن التاسع عشر قامت بإجراء مزادات لبيع الأراضي التي لا تزرع باستمرار في فلسطين كلها، وخصوصاً في شمالها، فترتب على ذلك انتقال أراضي الفلاحين إلى التجار والمقرضين[3].

وعاشت مدينة غزة عام (1323هـ/1905م) سنة فقرٍ وبؤسٍ شديدين؛ بسبب المحل والجفاف الذي أصاب الزرع وضرائب الحكومة والفوائد الباهظة التي كان يدفعها الفلاحون للمرابين، ما دفع الفلاحين المثقلين بالديون إلى النزوح من مدينة غزة إلى غيرها طلباً للرزق[4]. وتباينت الآراء حول الإنتاج الزراعي في غزة في الفترة الممتدة من (1296–1327هـ/1879–1909م)، فمنهم من قال إنّ الزراعة لم تتعرض في هذه الفترة

---

[1] (م.ن)، ص380–382.

[2] أبو بكر، أمين، ملكية، ص403.

[3] شولش، الكزاندر، تحولات، ص135–136.

[4] العارف، عارف، تاريخ، ص250.

لانتكاسات الجفاف سوى مرةٍ واحدةٍ، أما باقي السنوات فكانت كافيةً في غلاّتها ويصدّر الزائد عن الحاجة، في حين أنّ الأرض الواقعة شرق وادي الشريعة حتى بئر السبع أصيبت في نفس الفترة عشر مرات بالمحل والجفاف[1].

ويبرر ذلك قربها من حركة هبوب الرياح العكسية الماطرة، وقلة تأثرها كلما اتجهنا شرقاً وجنوباً، ما جعل التذبذب أكثر وضوحاً شمال النقب وجنوب غزة والذي أثر في الإنتاج الزراعي، بالإضافة إلى وجود الأوبئة والظروف الصحية وغيرها، ما دفع بعض السكان إلى هجر مناطقهم واستيطان مناطق أخرى وانكماش بعض التجمعات السكانية وانتعاش مراكز عمرانية جديدة، فكانت الأحوال المناخية عنصراً مهماً في هذا التحول والتغيَر[2].

ونتج عن الرياح وهيجان البحر خسائر اقتصاديّة في المحاصيل الزراعية بالدرجة الأولى وحركة الاستيراد والتصدير، بالإضافة إلى خسائر في الأرواح البشريّة، فكان هيجان البحر يعيق السفن من إفراغ حمولتها أو شحنها ويضطرها في بعض الأحيان إلى السفر دون تحقيق الغرض الذي جاءت من أجله، فكان مرفأ يافا مفعماً بالكوارث، وعلى سبيل المثال فقد غرق في شهر أيار من سنة (1290هـ/ 1873م) ثمانية حجاج عند عبورهم إلى السفينة البخارية، وفي سنة (1292هـ/1875م) غرقت قرب يافا ثماني سفن عند جنوحها في البحر[3].

وقد نتج عن ارتفاع درجات الحرارة عام (1334هـ/1915م) عدم إثمار شجر الزيتون في سلفيت والتي تغطي مساحاتٍ واسعةً من الأراضي التي تمتد من سلفيت حتى حدود القدس من الناحية الجنوبية، في حين كان محصول الزيتون في القسم الشمالي معتدلاً إذ أنتج (10) آلاف جرة زيتٍ[4]، وعانت كذلك منطقة جماعين

---

[1] المبيض، سليم، غزة، ص38.

[2] (م.ن)، ص38.

[3] شولش، الكزاندر، تحولات، ص164.

[4] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص49.

العوز والحاجة؛ نتيجة الجوع والأمراض فترة الحرب العالمية الأولى الناجمين عن الضرر الذي أصاب المحاصيل الزراعية؛ بسبب الحرّ الشديد واعتماد المجهود العسكريّ على إنتاج الفلاح[1].

ورافق عام (1333هـ/1915م) ارتفاع درجات الحرارة بشكلٍ كبيرٍ أثناء الحرب العالمية الأولى، ممّا أدّى إلى حدوث الجفاف الذي جلب معه الجراد، فاجتاح مناطق واسعةً من فلسطين متسبباً في حدوث مجاعةٍ كان لها دور في القضاء على عددٍ كبيرٍ من السكان بعد أن التهم الجراد الشجر والمزروعات[2]، وقد شكل التباين الحادّ في درجات الحرارة وخروجها عن الحد المألوف ووصولها إلى ما دون الصفر في الشتاء وارتفاعها بشكل كبير لـ(45) درجة صيفاً إلى خلخلة الملكيات الصغيرة والمتوسطة لصالح الملكيات الكبيرة؛ نظراً لما حلّ بالمحاصيل من تلفٍ جراء: تشكل الانجماد والصقيع، تراكم الثلوج، انتشار الآفات والأمراض، شيوع الهوام والقوارض، وتقزيم النمو الخضري وشبوب الحرائق[3]، وساهمت كذلك موجة الحر التي عصفت بفلسطين عام (1335هـ/1916م) بانخفاض إنتاج موسم الزيتون بنسبة (30%)، ولم يلتفت لهذه الآفة عند تخمين الإنتاج في كثيرٍ من القرى بل صنع المأمورون ما يرونه مناسباً دون اهتمامٍ أو اكتراثٍ[4].

كما أسهم قيام الحرب العالمية الأولى سنة (1332-1336هـ/1914-1918م) في انتشار الفوضى وانعدام الأمن، فعمّ الفقر والجوع بين عامة سكان البلاد؛ بسبب تسخير جميع إمكانيات البلاد للمجهود الحربيّ، فأُجبر الشباب على المشاركة في الحرب العظمى، بالإضافة إلى مصادرة الحيوانات الزراعية للأغراض العسكرية[5]، الأمر الذي أسهم في ارتفاع الأسعار بشكلٍ واضحٍ، وتعذّر الحصول على القوت اليومي، ما أدى إلى كثرة الوفيات، بعد أن كانت المجاعة مقتصرةً على المدن الساحلية خاصةً لبنان، إلا أنّ ذلك امتد إلى جميع مدن بلاد الشام[6].

---

[1] (م.ن)، ص75-76.

[2] يوسف، مروان، الحياة، ص35.

[3] أبو بكر، أمين، ملكية، ص403-404.

[4] غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، فلسطين، ج1، ص258.

[5] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص141.

[6] صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها 1914-1920، مؤسسة الدراسات العربية، (القدس/فلسطين)،(د.ط)، (1402هـ/1982م)، ص72.

ونتيجةً لآثار الحرب العالمية الأولى فقد عانت مدينة القدس وغيرها من المدن الفلسطينية من مشكلة عدم توفّر الطعام، وسارت طوال ثلاث سنوات على ترشيد استهلاك الطعام تفادياً للمجاعة[1]، إلّا أنّ المسلمون والمسيحيون وغالبية الفلاحين كانوا قد تعرّضوا للموت جوعاً ومرضاً من الأوبئة التي تضاعفت، فكانت القدس تعيش حالةً من المجاعة في كانون أول من عام (1335هـ/1917م)، وكانت ندرة الطعام تصل إلى حدّ المجاعة، وكان حالهم يُوصف كالكابوس[2]، ومن الجدير ذكره أنّ القدس حرمت من الموارد الغذائية عندما غادرها العثمانيون، وكانت تصلها من الكرك والسلط، وعانت أيضا من غزارة الأمطار والبرد الشديد[3].

ومن مظاهر المجاعة التي عاشها سكان القدس ما وصفه الضابط البريطاني عند حال نساء القدس في شهر كانون الثاني من عام (1336هـ/1918م)، اللواتي تجمعن حول مقر الحاكم العسكري البريطاني رونالد ستورز (Ronald Stores) في حالة يرثى لها من البكاء والصراخ، فكانت ملابس بعضهن ممزقةً تكشف عن عظامٍ يكسوها الجلد، وكان مشهد الأطفال الذين يعانون من الهزال في المستشفى كئيباً حتى بدا الوضع وكأنّ سكان القدس يموتون جوعا[4].

الموقف الرسميّ والشعبي

أسهمت الإجراءات التي اتخذتها الدولة لمواجهة الكوارث الطبيعية بمختلف أنواعها في تحسين الأوضاع الاجتماعيّة للسكان، ففي نهاية القرن التاسع عشر قلت الآفات الزراعية، فأصبحت الأوبئة التي تهاجم البشر والحيوانات لا تفعل فعلها الشديد كما كانت في الأدوار السابقة، بعدما ردمت الحكومة بعض المستنقعات الصغيرة الواقعة بجوار بعض القرى التى كان لها دور في إعاقة العملية الزراعية، واعتنى ديوان الصحة بفتح مستوصفاتٍ في القصبات ومستشفياتٍ في المدن فتحسنت الصحة بعض الشيء، فأصبح الفلاح يدرك فائدة

---

[1] ستورس، رونالد، توجهات بريطانية شرقية مذكرات السير رونالد ستورس، ترجمة: رءوف عباس، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة/مصر)، (د.ط)، (1424هـ/2004م)، ص365.

[2] ستورس، رونالد، توجهات، ص365. صبري، بهجت، فلسطين، ص72. سميث، باميلا، فلسطين، ص47.

[3] ستورس، رونالد، توجهات، ص365.

[4] ستورس، رونالد، توجهات، ص382-383.

الطبيب، وفتحت وزارة المعارف مدارس ابتدائيةٍ في بعض القرى الكبيرة والمدن، ما أثر على زيادة النفوس زيادةً ملموسة[1]، وفي سنوات الخصب عام (1249هـ/1833م) قامت الدولة المصرية بتوزيع الغلال المخزنة لديها على الأهالي، مع العلم ان السنة التي سبقتها عانى سكان فلسطين من النقص في المؤن الغذائية نتيجة القحط[2].

ومن الإجراءات التي اتبعتها الدولة المصرية في الحد من كارثة القحط والتخفيف من الأزمة قيامها بإلغاء الرسوم الجمركية على الغلال الواردة من الخارج مدّة ثلاثة أشهرٍ تأميناً لاستيرادها[3]. وفي عام (1249هـ/1833م) أذن القاضي إلى وكيل رهبان الروم في بيت لحم بإصلاح كنيسة الروم نتيجة ما تعرضت له من الخراب إثر الثلوج وغزارة الأمطار[4].

كما ساهمت بعض مناطق فلسطين في إرسال الإمدادات إلى المناطق الأخرى التي تعرضت للنكسات نتيجة القحط أو قلة المواد الغذائية، ففي عام (1250هـ/1834م) قام أهالي مدينة غزة بإرسال المؤن إلى مدينة اللاذقية السوريّة نتيجة ما تعرضت له من نقصٍ في المواد الغذائية[5].

وعقب خروج الحكم المصري من بلاد الشام عام (1256هـ/1840م) استغلت القبائل البدوية حالة الفوضى وفقدان الأمن؛ لشن غاراتها على القرى المأهولة التي سلمت من العوامل الطبيعية، وأحالت الغالبية العظمى من أراضيها إلى خرابٍ، لذا حاولت الدولة العثمانيّة بعد فرض نظام الحكم المركزي (1865/1864م) الشروع بحملة إعمارٍ واسعةٍ في سهل المرج وسهل غور بيسان عام (286هـ/1870م)، إلا أنّ جهودها تعرضت للانتكاسة على يد قبيلة بني صخر الأردنية، ولم تتمكن من وضع حدٍّ لهجمات القبائل إلا من خلال فرض

---

[1] علي، محمد كرد، خطط، ج4، ص144-145.

[2] رستم، أسد، المحفوظات، م2، ص390.

[3] (م.ن)، م3، ص301.

[4] (م.ن) م2، ص325-326.

[5] رستم، أسد، المحفوظات، م2، ص512.

نظام الحكم المركزي، وتسيير دورياتٍ منتظمةٍ من الجيش معززةً بأسلحةٍ ميدانيةٍ متطورةٍ تفوق أسلحة البدو الشخصية وبناء قلاع عسكرية متقدمة للحراسة[1].

ونتيجة الهجرة الوافدة من الأقاليم المختلفة، وسياسة الإعمار التي انتهجتها الدولة العثمانيّة والمجلس الإسلامي الأعلى، فقد اقتطعت الدولة العثمانيّة عام (1307هـ/1890م) (4000) دونمٍ من أراضي شفا عمرو في خربة هوشه، وأسكنت فيها المهاجرين الجزائريين بهدف إعمار المنطقة المستهدفة من الحركة الصهيونية، كما ذكر سابقاً[2]. واستحدثت الدولة العثمانيّة منصباً إدارياً جديداً عرف باسم مدير الزراعة والتجارة، والذي كانت مهمته العمل على تطوير الزراعة فنياً واتخاذ الإجراءات والتدابير التي من شأنها الارتقاء بمستوى التجارة وتطويرها، وفي نهاية كل سنة يقدم تقريراً عن أحوال الزراعة والتجارة في اللواء إلى المتصرف الذي يرفعه بدوره إلى الوالي[3].

وقامت الدولة العثمانيّة أيضاً بإنشاء البنك الزراعي حلّاً لمشكلة الديون، ولمساعدة الفلاحين وتقديم القروض لهم، وللحدّ من استفراد المرابين واستغلالهم حاجة الفلاحين للمال، إلّا أنّ البنك لم يحلّ المشكلة؛ لأن تقديم القروض إلى الفلاحين كان مرهوناً بضمان أراضيهم، حين لا يتمكنون من الإيفاء بسداد الديون يقوم البنك ببيع أراضيهم بالمزاد العلني، الأمر الذي يؤدي إلى خسارتهم أراضيهم لمصلحة التجار والمرابين الذين يشترونها[4]، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث عام (1331هـ/1913م) حين أعلن عن طرح بيع مزايدة نصف حصة من (6600) دونمٍ بقرية بدرس تخص (عبد الله سالم عبد الله) من أهالي القرية المذكورة[5].

وقد انتهجت الحكومة سياسة جمع الغلال تحت اسم التكاليف الحربية، وبعد فترة عالجت الأزمة من خلال تقنينها، فسنّت نظاماً جديداً في توزيع القمح يقضي بأن يقدم كل مزارعٍ بياناً إلى الحكومة عن كميات القمح

---

[1] أبو بكر، أمين، ملكية، ص406-407.

[2] أبو بكر، أمين، تطور، ص60.

[3] غنايم، زهير، لواء، ص58.

[4] غنايم، زهير، لواء، ص404.

[5] فلسطين، عدد 208، 21 صفر 1331هـ/16كانون الثاني1913م، ص3.

الذي أنتجته أرضه وعن مقدار الحبوب التي يحتاج إليها هو وأفراد أسرته لمدة ستة أشهر، فإذا قبلت الحكومة المحلية هذه التقديرات اشترت بقية المحصول ليكون رصيداً للحكومة وقت الحاجة عند توزيع المواد الغذائية[1]، وفي حال لم توافق الحكومة على تقديرات المزارعينٍ تقوم هي بعملية التقدير التي تجريها حسب ما تريد، غير أن هذه الإجراءات لم توافق رغبات الأهالي الذين كانوا حريصين على توفير القمح أطول وقتٍ ممكنٍ بسبب فقدانهم الثقة بالحكومة؛ نتيجة وعودها المتكررة التي لا تنفذ، بالإضافة إلى أن بعض التقديرات كانت تزيد عن منتوج الأرض بأكمله ما أجبر الفلاح على شراء ما قدّرته الحكومة عليه[2].

واتبعت الدولة العثمانيّة سياسةً جديدةً ترمي إلى شراء الحبوب من الأهالي، وتكليف الأفران بعمل الخبز على حسابها وبيعه إلى الأهالي بموجب تذاكر يحصل عليها المواطن بعد دفع ثمنها للحكومة بوساطة مشايخ الحارات، وفي سبيل تنفيذ هذه الإجراءات الجديدة عملت الحكومة على منع الأهالي من إعداد الخبز اليوميّ وأجبرتهم على شرائه من الأفران المخصصة؛ بهدف الحد من استهلاك الخبز، وحددت لكلّ فردٍ أن يشتري من الفرن بقيمة (120) درهماً من الخبز، ومع هذا فإنّ هذه الإجراءات لم تحد من المجاعة التي هددت أبناء البلاد، لدرجة أنّ الدولة أخذت في نقل بعض الأهالي خاصةً الفقراء إلى مناطق داخليةٍ لعلّها تكون أحسن حالاً[3].

وساهم المواطن في مواجهة الكوارث الطبيعية، فشكّلت ندرة الأمطار وتذبذبها شتاءً دافعاً لدى الإنسان الفلسطيني بالاقتصاد في نفقاته وسد احتياجاته من خلال حفر الآبار الجوفية؛ للاستفادة منها وقت الحاجة[4]. ولمواجهة خطر الجفاف وتأخّر المطر حفر الإنسان الفلسطينيّ في فناء بيته آباراً لسد حاجاته صيفاً، وعلى هذا النمط أيضاً حفر آباراً أخرى لتخزين الغلال في نفس المنزل ليطمئن على غذائه عند الحاجة[5]، وأقام

---

[1] صبري، بهجت، فلسطين، ص72.

[2] صبري، بهجت، فلسطين، ص72.

[3] (م.ن)، ص73.

[4] المبيض، سليم، غزة، ص40.

[5] المبيض، سليم، غزة، ص40.

المواطن الفلسطيني كذلك صوامع الغلال حول قراه ومواطن استقراره؛ لتكون رصيداً له إذا حل القحط أو داهمته الكوارث البشرية لذا وجدت بشكل كبير حول مدينة غزة وشرق دير البلح وقرى خانيونس مثل: عبسان*، وبنى سهيلاً*، وخزاعة*[1].

ودفع ندرة الأمطار واحتباسها عن موعدها الإنسان إلى ممارسة معتقداته، فكان السكان يخرجون لصلاة الاستسقاء طلباً للمطر[2]، ففي سنة (1307هـ/1890م) توقف تساقط الأمطار في فلسطين بشكلٍ عامٍّ وخاصةً مدينة نابلس فخرج سكانها إلى خلّة العامود يتقدمهم شيخ مسن هو إمام الجامع الحنبلي، وقد خرج الناس خلفه جميعاً حفاةً وقد قلبوا ثيابهم بما في ذلك متصرف اللواء وكبار موظفي الحكومة، ولما وصلوا المكان صلوا حسب السنة وقبض الشيخ أسعد على لحيته وقال (لا تفشل هالشيبه)، واستمر الدعاء والاستغفار، فجاءت غيمة وهطلت مطراً سالت منه الأودية فحملوا الشيخ على أكتافهم[3]، ودفع النقص الحاد في المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية في مدينة نابلس عام (1269هـ/1853م) (يعقوب شبلي) أحد أبناء الطائفة السامرية إلى السفر إلى إنجلترا عام (1270هـ/1854م)؛ للحصول على المساعدات فتم له ذلك وحقق نجاحاً كبيراً[4].

كما واجهت بلدية بيت لحم سنة (1329هـ/1911م) غلاء الأسعار من خلال شراء المواد الغذائية وبيعها للسكان دون قيمتها، ولما شاهدت البلدية استغلال اللحامين عمدت إلى شراء الأغنام لحسابها وأخذت ببيع

---

* **عبسان:** تقع إلى الشرق من مدينة خان يونس على بعد (6) كم منها، وهي قسمان: عبسان الصغيرة وعبسان الكبيرة، لا يبعدان عن بعضهما كثيراً، بلغت مساحة أراضيها (1681) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 695 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2،ج1، ص297. شراب، معجم، ص517).

* **بنى سهيلاً:** تقع إلى الشرق من مدينة خان يونس على بعد (3) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (11128) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1043 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج1، ص295-296. شراب، معجم، ص169).

* **خزاعة:** تقع إلى الشرق من مدينة خان يونس على بعد (8) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (8179) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 630 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج1، ص298. شراب، معجم، ص340-341).

[1] المبيض، سليم، غزة، ص40.

[2] المبيض، سليم، غزة، ص40.

[3] النمر، إحسان، جبل، ج3، ص67.

[4] مليز، جون، ثلاثة أشهر في نابلس الطائفة السامرية عن قرب، ترجمة: عامر، القبج، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، ص82.

اللحم بأرخص الأثمان، فكسدت تجارة اللحامين وجاؤوا بدورهم إلى المجلس البلدي مستغيثين، فاخذ المجلس عليهم عهداً أن يبيعوا بنفس الأسعار التي بيعت بها لحوم البلدية مع زيادةٍ قليلةٍ من الربح[1].

وفي سنة (1331هـ/1913م) ارتفعت أسعار القمح في غزة حتى بلغ ثمن الصاع الواحد منه (27) قرشاً ونصف، فقرر التجار أن يرفعوا الثمن يوماً بعد يوم حتى وصل إلى (50) قرشاً، فقام (عادل أفندي الشوا) بعرض كميات القمح الموجودة في مخازنه كلّ صاع بـ(20) قرشاً فقط، فهرع الناس من كل الأنحاء للاستفادة من هذه المكرمة، ثم اجتمع جمهور الفقراء الذين عانوا من طمع تجار الحنطة في غزة وساروا بمظاهرةٍ تحوّلت إلى موكبٍ من السوق العمومي إلى منزل الحاج (سعيد أفندي الشوا) نجل (عادل الشوا) في الشجاعية فقابلوا عبداً لأحد محتكري الغلة حملوه مقلوب الرأس إلى أسفل؛ احتجاجاً على ما يفعله مولاه وبقية التجار أمثاله[2].

وفي اليوم الثاني من الاحتجاجات قرر المجلس البلدي ألّا يزيد ثمن صاع القمح عن (20) قرشاً، وأخطروا التجار بذلك، فأبى هؤلاء الإذعان وتعصبوا وأغلقوا مخازنهم وحبسوا القمح عن الناس، فتجمّع الناس أمام سراي الحكومة ومنزل القائمقام يضجون بشكواهم، فتدخل حضرة الفاضل (عثمان بك) المدعي العمومي في غزة وأرسل خلف التجار وأسمعهم من التأنيب ما يكفي وأفهمهم أنهم خالفوا القانون وحقّروا الإنسانية، وقال لهم إن طمعكم في الربح الفاحش وحبسكم القمح عن المحتاج فيه مخالفة للدين، ولا فرق بينكم ومن يقتل النفس من جهة الإنسانية، أمّا من جهة القانون فأنتم قد خالفتم قرار المجلس البلدي، ثم فتح تحقيقاً بحقهم بعد أن أخذ عليهم كفالة[3].

وفي النهاية أسهمت إجراءات الدولة العثمانيّة في منتصف القرن التاسع عشر المتمثلة بفرض الأمن والنظام الذي أمنته الحاميات العثمانيّة، والتغلب على بعض الأمراض، وإصدار قانون الأراضي وغيرها من العوامل

[1] فلسطين، عدد 68، 20 رمضان 1329هـ/31 آب 1911م، ص3.
[2] فلسطين، عدد 214، 12 ربيع الاول 133هـ/6 شباط 1913م، ص2.
[3] فلسطين، عدد 214، 12 ربيع الاول 1331هـ/6شباط 1913م، ص2.

في تطور النشاط الزراعي في فلسطين، خاصةً في السهل الساحلي الذي يمتد من حيفا إلى يافا على ساحل البحر المتوسط حتى مدينة قلقيلية والطيبة وارتاح وطولكرم، ورافق التطور في النشاط الزراعي زيادةً في عدد السكان[1].

[1] عبد الرحيم، محمد، طولكرم، ص127.

الخاتمة

نخلص من هذه الدراسة إلى أهم النتائج التالية:

1. من خلال استعراض موضوع الأمراض والأوبئة يلحظ أنه كان بالإمكان تفاديها وتقليل خطرها من خلال اتبّاع الإجراءات الصحية، وزيادة الوعي لدى السكان.

2. نتج عن الأمراض والأوبئة خسائر فادحة في الأرواح البشرية، وكذلك أضرار اقتصادية نتيجة تعطل قطاع التجارة خاصة في المدن الساحلية.

3. أسهمت الإجراءات التي اتبعتها الإدارة المصرية أو العثمانيّة في تقليل حجم الخسائر الناجمة عن الأمراض والأوبئة خاصة بالدرجة الأولى ابتكار _الكرنتينا_ الحجر الصحي.

4. كان لاهتمام الدولة بقطاع الصحة بشكل دوري من قبل جهات الاختصاص أن قلل ذلك من حجم الكارثة الوبائية.

5. شكلت الكوارث المناخية آثاراً سلبية على المستوى الاقتصادي بالدرجة الأولى، ما أسهم في ارتفاع أسعار الحبوب والغلال، وكذلك تراجع النشاط التجاري الذي أدى إلى نقصٍ حادً في توافر فرص العمل.

6. هناك بعض الكوارث التي يمكن للإنسان التقليل من حجمها ومواجهتها من خلال مجموعة الوسائل والاحتياطات، مثل الكوارث المتعلقة بالمناخ وخاصة المتمثلة بالقحط والجفاف عن طريق إنشاء مخازن الحبوب والطحين والغلال.

7. إنّ الاعتقاد السائد بأن الكوارث المناخية مرتبطة بقلة الأمطار أو الجفاف أو القحط هو اعتقاد خاطئ، حيث أظهرت الدراسة أنّ الأمطار الغزيرة في بداية الموسم المطري وانقطاعها في منتصف الموسم المطري شكّل في بعض الأحيان كارثةً.

المختصرات والرموز

أ) أُشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط الآتي:

1. يشار إلى المصدر كالآتي: اسم العائلة، الاسم الاول، اسم الكتاب كاملاً، الناشر، مكان النشر، الطبعة إن وُجِدت، سنة النشر (هـ/م)، الصفحة، عند أول وروّد له.

مثلاً: منصور، أسعد، تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة، مطبعة الهلال، (القاهرة/مصر)، ط1، (1342هـ/1924م)، ص82.

ثم يتم الإشارة كالتالي: اسم العائلة، الأسم الاول، الكلمة الاولى من الكتاب، الصفحة فقط،

مثلا: منصور، أسعد، تاريخ، ص80.

2. **يُشار إلى المرجع كالآتي:** اسم العائلة، الاسم الاول، واسم الكتاب كاملاً، الناشر، مكان النشر، الطبعة إن وجدت، سنة النشر (هـ/م)، ثم الصفحة، عند أول وروّد له.

مثلاً: صافي، خالد، الحكم المصري في فلسطين (1831–1840)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (ب. ط)، (1420هـ/2000م)، ص109.

3. **إذا كان للمؤلف أكثر من كتاب في البحث يتم الإشارة إليه كالآتي:** اسم المؤلف، الكلمة الأولى من الكتاب، الصفحة.

مثلاً: غنايم، لواء، ص7. أو غنايم، فلسطين، ص18.

4. **يُشار إلى الصحف والجرائد:** اسم الصحيفة، العدد، التاريخ الهجري والميلادي ثم الصفحة، مثلاً:

البشير، عدد 195، 22أيار 1874م، ص 3.

ب) الرموزُ الآتية تعني ما يلي:

هـ: هجري.

م: ميلادي.

ت: تُوفي.

ص: الصفحة.

ج: الجزء.

مج: مجلّد.

ق: قسم.

(م.ن): المصدر نفسه.

(د.م): دون مكان النشر.

(د.ن): دون ناشر.

(د.ت): دون تاريخ النشر.

ط: طبعة.

(د.ط): دون طبعة.

تح: تحقيق.

* الكلمة التي تحملُ نجمة في المتن معرّفةُ في الهامش.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الصحف

أ- البشير، بيروت:

- البشير، عدد 1034، 20 تموز 1892م.
- البشير، عدد 1082، 19 تموز 1893م.
- البشير، عدد 1717، 4 أيلول 1905م.
- البشير، عدد 1898، 15 شباط 1909م.
- البشير، عدد 195، 22 أيار 1874م.
- البشير، عدد 199، 19 حزيران 1874م.
- البشير، عدد 200، 30 حزيران 1874م.
- البشير، عدد 335، 9 شباط 1877م.
- البشير، عدد 338، 2 آذار 1877م.
- البشير، عدد 488، 16 كانون الثاني 1880م.
- البشير، عدد 945، 2 تشرين الثاني 1888م.
- البشير، عدد337، 23 شباط 1877م.

ب- فلسطين، يافا:

- فلسطين، عدد 65، 9 رمضان1329هـ/20 آب1911م.
- فلسطين، عدد 66، 13رمضان 1329هـ/24 آب1911م.
- فلسطين، عدد 68، 20 رمضان1329هـ/31 آب1911م.
- فلسطين، عدد 69، 23رمضان 1329هـ/3 ايلول1911م.
- فلسطين، عدد75، 14 شوال 1329هـ/24أيلول 1911م.
- فلسطين، عدد 77، 21شوال 1329هـ/1تشرين أول1911م.
- فلسطين، عدد 103، 27 محرم 1330هـ/4 كانون الثاني1912م.
- فلسطين، عدد 104، 1 صفر 1330هـ/7 كانون الثاني 1912م.
- فلسطين، عدد 146، 5 جمادى الثاني1330هـ/6حزيران 1912م.
- فلسطين، عدد 163، 4 رمضان1330هـ/4 آب 1912م.
- فلسطين، عدد 185، 23ذي القعدة 1330هـ/20تشرين أول 1912م.
- فلسطين، عدد 208، 21صفر1331هـ/16كانون الثاني 1913م.
- فلسطين، عدد 209، 24صفر 1331هـ/19 كانون الثاني 1913م.
- فلسطين، عدد 214، 12ربيع الأول1331هـ/ 6 شباط1913م.
- فلسطين، عدد 218، 26 ربيع الأول 1331هـ/20 شباط 1913م.

- فلسطين، عدد 230، 1 جمادى الأول 1331هـ/3 نيسان 1913م.
- فلسطين، عدد 263، 18 رمضان 1331هـ /3 آب1913م.
- فلسطين، عدد 267، 28 رمضان 1331هـ/17 آب1913م.

ج- القدس، القدس:

- القدس، عدد 47، 2 ربيع الآخر 1327هـ/1 نيسان 1909م.
- القدس، عدد 167، 29 رجب 1328هـ/23 تموز 1910م.
- القدس، عدد 331، 2 صفر 1331هـ/10 كانون الثاني 1913م.

ح- المنادي، القدس:

- المنادي، عدد 37، 11ذي القعدة1330هـ/22تشرين أول 1912م.
- المنادي، عدد 39، 25ذي القعدة1330هـ/15تشرين الثاني1912م.
- المنادي، عدد 46، 29 محرم 1331هـ/7 كانون الثاني 1913م.

ثانياً: المصادر العربية

التميمي، محمد، وبهجت، محمد، **ولاية بيروت – القسم الجنوبي- ألوية بيروت وعكا ونابلس**، دار لحد خاطر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/لبنان)، (د.ط)،(1335هـ/1914م).

جوهرية، واصف، **القدس العثمانيّة في المذكرات الجوهرية: الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية 1904-1917**، الجزء الأول، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/ لبنان)، ط2، (1424هـ/2003).

العارف، عارف:

- **تاريخ غزة**، دار الايتام الاسلامية، (القدس/فلسطين)، (د.ط)، (1362هـ/1943).
- **تاريخ القدس**، دار المعارف، (القاهرة/مصر)، (د.ط)، (1370هـ/1951م).
- **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، (القدس/فلسطين)، ط5، (1419هـ/1999م).

علي، محمد، **الرحلة الشامية 1910 الأمير (محمد علي باشا)**، دار السويدي للنشر والتوزيع، (ابو ظبي/الامارات العربية المتحدة)، ط1، (1422هـ/2002م).

علي، محمد، **خطط الشام**، 6أجزاء، دار العلم للملايين، (بيروت/لبنان)، ط2، (389هـ/1969م).

العورة، ابراهيم، **تاريخ ولاية سليمان باشا العادل**، مطبعة المخلص، (صيدا/لبنان)، (د.ط)، (1355هـ/1936م).

قساطلي، نعمان، **الروض الغناء في دمشق الفيحاء**، دار الرائد العربي، (بيروت/لبنان)، ط2، (1402هـ/1982م).

المعلوف، عيسى، **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف**، المطبعة العثمانيّة، (بعبدا/لبنان)، (د.ط)، (1326هـ/1908م).

منصور، أسعد، **تاريخ الناصرة من أقدم أزمانها إلى أيامنا الحاضرة**، مطبعة الهلال، (القاهرة/مصر)، (ب.ط)، (1343هـ/1924م).

النمر، إحسان، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**، 4اجزاء، مطبعة ابن زيدون، (دمشق/سوريا)، (د.ط)، (1357هـ/1938م).

ثالثاً: المصادر المعربة:

أوليفانت، لورنس، **أرض جلعاد رحلات في لبنان وسوريّة والأردن وفلسطين (1880)**، ترجمة: أحمد، العبادي، دار مجدلأوي للنشر والتوزيع، ط1، (عمان/الأردن)، (1425هـ/2004م).

حتي، فليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج1، ترجمة: جورج، حداد. وعبدالكريم، رافق، دار الثقافة، (بيروت/لبنان)، ط3، (ب.ت).

روجرز، ماري، **الحياة في بيوت فلسطين رحلات ماري إليزا روجرز في فلسطين وداخليتها (1855-1859)**، ترجمة: جمال، ابو الغيدا،(د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882 دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**، دار الهدى، (عمان/الأردن)، ط2، (1410هـ/1990م).

غرانت، إليهو، **الفلاحون في قرى جبال فلسطين الوسطى في مطلع القرن العشرين**، ترجمة: عامر، القبج، دار الفاروق للثقافة والنشر، (نابلس/فلسطين)، ط1، (1442هـ/2021م).

غيز، هنري، **بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن**، ترجمة: عبود، مارون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (القاهرة/مصر)، (د.ط)، (1435هـ/2014م).

ميلز، جون، **ثلاثة أشهر في نابلس الطائفة السامرية عن قرب**، ترجمة:عامر، القبج، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

رابعاً: المراجع العربية:

أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918**، مؤسسة عبد الحميد شومان(عمان/الأردن)، ط1، (1417هـ/1996م).

آغا، شاهر، **الزلازل حقيقتها وآثارها**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (الكويت/الكويت)، (د.ط)، (د.ت).

أغبارية، حسين، **حيفا التاريخ والذاكرة**، مطبع الطلائع، (يافا/فلسطين)، (د.ط)، (1421هـ/2001م).

بلدية نابلس، **إحتفالية مرور 150 عاما على تأسيس بلدية نابلس**، 4 إجزاء، بلدية نابلس، (نابلس/فلسطين)، (144هـ/2019م).

بنورة، توما، **تاريخ بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور أفراتا**، مطبعة المعارف، (القدس/فلسطين)، (د.ط)، (1404هـ/1982م).

تماري، سليم، **عام الجراد: الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين مع أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة: يوميات جندي عثماني 1915-1916**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (القدس/فلسطين)، (د.ط)، (1428هـ/2008م).

خلف، تيسير، **وصف فلسطين أواخر أيام العثمانيين 1898-1916 رحلات ومذكرات**، دار كنعان، (دمشق/سوريا)، ط1، (1431هـ/2010م).

داود، جورج، **السلط وجوارها خلال الفترة 1864-1921م**، بنك الأعمال، (عمان/الأردن)، ط1، (1414هـ/1994م).

دوماني، بشارة، **إعادة اكتشاف فلسطين:أهالي جبل نابلس 1700-1900**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (د.ظ)، (1418هـ/1998م).

رستم، أسد، **المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي**، 4 مجلدات، جامعة بيروت الامريكية، (بيروت/لبنان)، (1359هـ/1940م).

سخنيني، عصام، **طبرية: تاريخ موسوعي من انشائها سنة 20م إلى نهاية الأنتداب البريطاني سنة 1948م**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت/لبنان)، (د.ط)، (1430هـ/2009م)

سميث، باميلا، **فلسطين والفلسطينيون 1876-1983**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق/سوريا)، (د. ط)، (1410هـ/1990م).

صافي، خالد، **الحكم المصري في فلسطين 1831-1840**، مؤسسة الداراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (د. ط)، (1430هـ/2010م).

صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920**، مؤسسة الدراسات العربية، (القدس/فلسطين)، (1402هـ/1982م).

عبيد، يوسف، **قصة مدينة الناصرة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

العسكري، يسار، **قصة مدينة صفد**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دائرة الثقافة بمنظمة التحريرالفلسطينية، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).

غلاب، محمد، والجوهري، يسرى، **الجغرافيا التاريخية: عصر ما قبل التاريخ وفجره**، المطبعة الفنية الحديثة، (القاهرة/مصر)، ط2، (1395هـ/1975م).

غنايم، زهير، **لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانيّة 1281-1337هـ/1864-1918م**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، ط1، (1419هـ/1999م).

غنايم، زهير، ومحافظة، محمد، **فلسطين في نهاية العصر العثماني من خلال الرحلة التي قام بها محمد رفيق التميمي ومحمد بهجت الكاتب تحت عنوان ولاية بيروت**، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، (بيروت/لبنان)، ط1، (1420هـ/ 2000م).

قرإلى، بولس، **فتوحات (إبراهيم باشا) المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير انطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا 1831-1841**، مطبعة القديس بولس، (حريصا/لبنان)، (د.ط)، (1356هـ/1937م).

القضاة، احمد، **نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانيّة، مركز دراسات الوحدة العربية**، (بيروت/لبنان)، ط1، (1428هـ/2007م).

قعوار، نهى، **تاريخ الناصرة: مسيرة عبر العصور**، مطبعة فينوس، (الناصرة/فلسطين)، (د.ط)، (1420هـ/2000م).

المبيض، سليم، **غزة وقطاعها دراسة في خلود المكان وحضارة السكان من العصر الحجري الحديث حتى الحرب العالمية الأولى**، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة/ مصر)، (د.ط)، (1407هـ/1987م).

محسوب، محمد وأرباب، **محمد، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية**، دار الفكر العربي، (القاهرة/مصر)، ط1، (1419هـ/1998م).

موسى، سليمان، **رحلات في الأردن وفلسطين**، دائرة الثقافة والفنون، (عمان/الأردن)، ط1، (1407هـ/1987م).

يزبك، محمود، **النظم الإدارية والبنى الاجتماعيّة في حيفا في أواخر العهد العثماني (1870-1914)**، مطبعة النهضة، (الناصرة/فلسطين)، (د.ط)، (1414هـ/1994م).

خامساً: المراجع المعربة:

بازيلي، **سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية**، ترجمة:يسر، جابر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت/لبنان)، ط1، (1408هـ/1988م).

بوناطيرو، لوط، **سيناريو الكوارث الطبيعية والزلزالية وإدارتها في منطقة الشرق الأوسط**، مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (أبوظبي/الأمارات العربية المتحدة)، ط1، (1435هـ/2014م).

ستورس، رونالد، **توجهات بريطانية شرقية مذكرات السير رونالد ستورس**، ترجمة:رؤوف عباس، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة/ مصر)، (د.ط)، (1424هـ/2004م).

عيساوي، شارل، **التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب 1800-1914**، ترجمة: رؤوف، حامد، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت/لبنان)، ط1، (1410هـ/1990م).

سادساً: الرسائل الجامعية:

دويكات، غسان، **الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في منطقة مشاريق نابلس (1224-1336هـ/1799-1918م)**، (رسالة ماجستير/ غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، فلسطين)، (1434هـ/2014م).

صلاح، محمد، **الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491-923هـ /1097-1517م)**، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، الجامعة الاسلامية، (غزة، فلسطين)، (1430هـ/2009م).

عبد الرحيم، محمد، **طولكرم وجرارها من عام (1281هـ-1337هـ/1864م-1918م)**، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، فلسطين)، (1432هـ/2011م).

العربيات، غالب، **تاريخ الحياة الاجتماعيّة في ناحية القدس القدس في النصف الاول من القرن الحادي عشر/السابع عشر الميلادي**، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، جامعة مؤتة، (مؤتة/الأردن)، (1420هـ/2000م).

نعمة الله، إبراهيم، **الرملة في أواخر العهد العثماني (1281-1333هـ /1864-1914م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية، (رسالة ماجستير/غير منشورة)**، الجامعة الاسلامية، (غزة/فلسطين)، (1425هـ/2004م).

يوسف، مروان، **الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في مدينة نابلس (1900-1918م)**، (رسالة ماجستير/غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، فلسطين)، (1435هـ/2014م).

سابعاً: الموسوعات والمعاجم:

أوين، روجر، **تاريخ فلسطين الاقتصادي في القرن التاسع عشر(1800-1918)**، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الأول، هيئة الموسوعة الفلسطينية، (بيروت/لبنان)، (1410هـ/1990م).

الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، 10أجزاء، دار الهدى، (كفر قرع/فلسطين)، (د.ط)، (1411هـ/1991م).

رافق، عبد الكريم، **فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر هجري/التاسع عشر الميلادي إلى العام 1336هـ/1918م، الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، المجلد الثاني، هيئة الموسوعة الفلسطينية، (بيروت/ لبنان)، (1410هـ/1990م).

الزركلي، خير الدين، **الأعلام: تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، 8 أجزاء، دار العلم للملايين، (بيروت/لبنان)، ط5، (1400هـ/1980م).

شراب، محمد، **معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية وتفسير معانيها ومدلولاتها السياسية والحضارية**، دار الأهلية، (عمان/الأردن)، (د.ط)، (1420هـ/2000م).

هلون، معين، **المعجم التأثيلي لألفاظ الأعجمية في اللهجة الفلسطينية**، جامعة بيت لحم، (بيت لحم/فلسطين)، (د.ط)، (144هـ/2019م).

رابعاً: المجلات العلمية:

أبو بكر، أمين:

- **ملكية آل سرسق في فلسطين 1869-1948م، مجلة جامعة النجاح للابحاث (العلوم الإنسانية)**، مجلد 18، عدد2، (نابس/فلسطين)، (1424هـ/2004م).
- **تطور ملكية الأراضي في ساحل عكا 1869-1948م، المجلة الأردنية للتاريخ والاثار**، مجلد 8، عدد2، (عمان/الأردن)، (1435/2014م).
- **نهضة القدس السياسية 1831-1967**، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

باشا، حسن، **الزلازل واسبابها، مجلة المقتطف**، السنة التاسعة عشر، عدد2، 1895م.

بولوموا، لويس، **الطاعون الدملي، مجلة المشرق**، السنة الثانية، عدد 12، 1899م.

زيدان، جرجي، **مصلحة الصحة والطاعون، مجلة الهلال**، السنة السابعة، عدد19، 1899م.

شار، عبدالله، **الزلازل، مجلة المشرق**، السنة الثالثة، عدد 14، 1900م.

شميل، شبلي، **الكوليرا أو الهواء الاصفر منشأه وسببه والوقاية منه، مجلة الهلال**، السنة السادسة عشر، عدد 5، 1908م.

شهاب، سعد، **قصة الملاريا وعلاجها، مجلة الثقافة**، عدد 101، 1965م.

الكرملي، انستاس، **الهواء الاصفر وصايا صحيه لاتقاء عدواه، مجلة المشرق**، السنة الخامسة، عدد 23، 1902م.

الكيلاني، رضوان، **الزلازل التاريخية في منطقة انهدام البحر الميت**، مجلة البحوث الجغرافية، عدد33، (الكوفة/العراق)، (1443هـ/2021م)

ليبولدويني، موسيو، **الطاعون، مجلة المقتطف**، السنة الحادية والعشرين، عدد 3، 1897م.

مجهول، **الطاعون، مجلة الهلال**، السنة الخامسة، عدد 11، 1897م.

مجهول، **تاريخ الطاعون وعلاجه، المقتطف**، السنة الحادية والعشرين، عدد 2، 1897م.

موصلي، سليم، **كيف ينتشر الطاعون، مجلة الهلال**، السنة الثاثون، عدد 7، 1922م.

همام، حبيب، **الملاريا، مجلة الضياء**، السنة الثالثة، عدد 3، 1901م.

ورتبات، يوحنا، **مقالة في الطاعون، مجلة المقتطف**، السنة الثالثة والعشرين، عدد8، 1899م.

اليازجي، إبراهيم، **الطاعون، مجلة البيان**، السنة الأولى، عدد1، 1897م.

اليسوعي، هنري، **الزلازل في سوريّة_ بيان نواميسها وسيرها، مجلة المشرق**، السنة الثانية، عدد 8، 1898م.

اليسوعي، هنري، **الزلازل في سوريّة_بيان نواميسها وسيرها، مجلة المشرق**، السنة الثانية، عدد 1، 1898م.

الملاحق

ملحق (أ)

نقش على مدخل كرنتينا الخليل

ملحق (ب)

عدد الزلازل التي وقعت فترة الدراسة والأماكن التي وقعت فيها مع تأثيرها

الرقم	تاريخ الزلازل التي وقعت فترة الدراسة	المنطقة التي ضربها	الملاحظات
1	5 محرم 1250هـ/ 13 أيار 1834م	بيت لحم	أحدث أضراراً عمرانيةً فقط
2	1250 هـ/ 1834م	غزة	استمر عدة ايام بشكلٍ متقطعٍ
3	24 رمضان 1252هـ/ 1 كانون ثاني 1837م	صفد وطبرية ووصل تأثيره إلى معظم مدن فلسطين	أحدث أضراراً بشريةً وعمرانيةً بالغةً
4	1258هـ/1842م	يافا	أحدث اضراراً عمرانيةً فقط
5	3 ربيع أول 1257هـ/ 10 تشرين أول 1858م	حيفا	أحدث تشققاً في البيوت والبنية التحتية
6	3 ربيع أول 1287هـ/ 24 حزيران 1870م	غزة	هزةً خفيفة لم تحدث آثاراً تذكر
7	1289هـ/ 1872م	أنطاكيا	هزاتٍ شديدةً شعر بها سكان يافا
8	1296هـ/ 1879م	الناصرة	هزاتٍ خفيفة
9	17 ذو الحجة 1296هـ/ 1 كانون الأول 1879م	القدس	زلزلةً دامت خمس ثواني
10	21 ذي الحجة 1320هـ/ 30 أذار 1902م	الناصرة	أحدث اضراراً عمرانية فقط
11	1321هـ/ 1903م	غزة	كان على شكل ثلاث هزّاتٍ واستغرق ستّ ثوانٍ

ملحق (ج)

اسم الوباء وتاريخ تفشّيه والمنطقة التي تفشى فيها مع عدد الخسائر

الرقم	نوع الوباء	تاريخ تفشي الوباء	المنطقة التي تفشي فيها	ملاحظات
1	الطاعون	1242–1247هـ/1827–1832م	عكا، الناصرة، يافا	شديد الوطأة
2	الطاعون	1248هـ/ 1833م	القدس، بيت لحم، عكا	قضي المرض على حوالي الفي شخص
3	الطاعون	1253–1254هـ/1838–1839م		
4	الطاعون	1256هـ/1841م		
5	الملاريا	1309هـ/1891م	الناصرة	
6	الملاريا	1315هـ/1897م	صفد	إصاباتٍ في معظم بيوت صفد
7	الملاريا	1330هـ/1912م	القدس، يافا، الخليل، غزة	إصابة (16%) من السكان
8	الكوليرا	1247–1248هـ/1831–1832م	معظم مدن فلسطين	بداية انتشاره في فلسطين، وخسرت مدينتي عكا وحيفا ما بين (10–12%) من مجموع سكانهما.
9	الكوليرا	1281هـ/1865م	معظم مدن فلسطين	وفاة (7963) نسمةً من سكانها
10	الكوليرا	1320هـ/1902م	القدس، يافا، الرملة، عكا، طبرية	(141) حالةً وفاةٍ
11	الكوليرا	1330هـ/1912م	حيفا، يافا، نابلس	قدر عدد الوفيات في حيفا ما بين الخمس والست يومياً، بينما فقدت نابلس ما بين (60–70) شخصاً
12	الكوليرا	خلال الحرب العالمية الاولى	معظم فلسطين	إحراق قرية العفولة لوقف انتشار الكوليرا
13	الجدري	1271هـ/1854م	القدس	وفاة (10%) من سكانها
14	الجدري	1294هـ/1877م	لواء عكا	وفاةً أعدادٍ كبيرةٍ من سكانها
15	الجدري	1331هـ/1913م	لواء عكا	وفاةً أعدادٍ كبيرةٍ من سكانها
16	الجدري	1333هـ/1915م	القدس	وفاة أعدادٍ كبيرةٍ من سكانها
17	علة الحميراء	1328هـ/1910م	نابلس	قتل (500) طفل

18	داء الحصبة والخانوق ووباء أبو الركب	1306هـ/ 1888م	عكا، حيفا، شفا عمرو	إصابة الأطفال بالدرجة الاولى
19	الحصبة	1311هـ/1893م	الرملة	إصابة معظم بيوتها
20	الزحار (الدوسنطاريا)	1309هـ/1891م	لواء عكا، الرملة	إصابة ثلاثة إشخاص دون تسجيل حالة وفاة
21	التيفوس	بداية العقد الثاني من القرن العشرين	نابلس	وفاة ما بين (400–500) شخصٍ

ملحق (د)

الكوارث المناخية ومناطق وسنوات حدوثها

الرقم	الكارثة المناخية	التاريخ	المناطق المصابة	ملاحظات
1	قلة الامطار	1246-1254هـ/1831-1839م	جميع الأراضي الفلسطينية	نقص المواد الغذائية
2	غزارة الأمطار وسقوط الثلوج	1255هـ/1840م	المدن الشمالية والجبلية	نقص المواد الغذائية ووفاة أعداد كبيرة من السكان من شدة البرد
3	تأخير سقوط الامطار	1281هـ/1865م	جميع الأراضي الفلسطينية	سوء المحاصيل الزراعية وارتفاع اسعار المواد الغذائية
4	تأخر سقوط الأمطار	1311هـ/1893م	جميع الأراضي الفلسطينية	المساعدة في انتشار مرض الكوليرا
5	أمطار غزيرة	17محرم 1333هـ/4 كانون أول 1914م	الناصرة	تشكيل السيول مسببة خسائر فادحة وجرف بعض الأطفال
6	سقوط الثلوج	1249هـ/1833م	القدس، بيت لحم	إحداث أضرارٍ في كنيسة الروم
7	قحط وجفاف	1248هـ/1832م	جميع الأراضي الفلسطينية	استيراد الأرز من مصر
8	قحط وجفاف	1285-1289هـ/1869-1873م	جميع الأراضي الفلسطينية	نقص إنتاج المحاصيل واستيراد الحبوب من الخارج
9	قحط وجفاف	1297هـ/1880م	جميع الأراضي الفلسطينية	ارتفاع اسعار الحنطة والحبوب بشكلٍ كبيرٍ
10	غزارة الأمطار والصواعق	15محرم 1327هـ/5 شباط 1909م	تل العدس- الناصرة	وفاة (88) شخصاً وخسائر اقتصادية قدرت بـ (6000) ليرةٍ فرنساوية

ملحق (هـ)

الجداول

جدول (1)

قريرُ الحكومة المصرية حول خسائر زلزال عام (1252هـ/1837م)

المقاطعات		البيوت		الاشخاص		ملحوظات
البلاد	القرى التابعة لها	المصابة بالعطب	الخربة	الجرحى	المتوفون	
صفد	توابعها	0	0	0	2158	جميع البيوت التي بصفد والقرى المجاورة لها قد انهدمت وخربت بشكل كامل، ووصل عدد القتلى إلى حوالي (2158) شخصاً.
طبريا	توابعها	0	0	0	122	تهدّمت سبعُ عشرة قرية من توابع طبريا
الناصرة	توابعها	373	425	13	126	
عكا	توابعها	245	563	0	141	
عتليت حيفا	توابعهما	17	3	0	0	تهدّم جزء من سور عتليت
شفا عمرو	توابعها	86	139	4	7	
نابلس وتوابعها	نابلس المدينة	0	0	0	48	خرب ربع المدينة، وأصيب ربعه الآخر بضررٍ بالغٍ والباقي أصيب بضرر خفيف.
	بني صعب	0	0	0	0	أصيبت قرية كور[1]* بضرر بالغ، وأصيب غيرها من القرى أيضاً بخسائر غير قليلة.
	الشعراوية	0	0	0	2	تعرض منزلين من قرية عتيل* للخراب وهُدم منزل في قرية زيتا* وقُتل اثنان، كما هُدم قسم من القلعة الموجودة في قاقون* وأصيبت القرى الأخرى بخسائر خفيفة.

[1] ***كور:** تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة طولكرم على بعد (19) كم منها، وبلغت مساحة اراضيها(8514) دونماً، بلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 301 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص373. شراب، معجم، ص633).

***عتيل:** تقع إلى الجهة الشمالية من مدينة طولكرم، على بعد (10) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (7337) دونماً، بلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1652 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص324-345. شراب، معجم، ص519).

***زيتا:** تقع إلى الشمال من مدينة طولكرم، وبلغت مساحة أراضيها (6410) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1087 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص331-332. شراب، معجم، ص463).

* **قاقون:** تقع إلى الشمال من مدينة طولكرم على بعد (7) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها(41767) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1629 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص335-336. شراب، معجم، ص590-591).

نابلس	واد الشعير	0	0	0	0	أصيبت قرية برقة[1]* التابعة لها بخسائر عظيمة، وأصيبت بقيّة القرى بأضرار خفيفة.
	بلاد جماعين	0	0	0	0	أصيبت قريتا تل* وجيت* بأضرار قليلةٍ جداً.
	بلاد مشاريق نابلس	0	0	0	0	شعر قرى المنطقة بزلزال خفيف جداً.
	بلاد حارثة	0	0	0	0	خربت خمس عشرة من قرى هذه البلد وتعرّض عدد كبير للتصدع.
	مشاريق نابلس (الشمال الشرقي)	0	0	0	18	أرسل الشيخ (محمد عبد الهادي) حاكم المنطقة انه قد خرب قسم من جبع[2]* وأصيبت قرية طوباس* بخسائر عظيمة، أما القرى الأخرى أصيبت بخسائر لا تذكر.
القدس	توابعها	0	0	0	0	شعر سكان القدس بهزة ارضية خفيفة جداً.
يافا		0	0	0	0	شعر سكان يافا بهزةٍ ارضيةٍ خفيفة.
غزة		0	0	0	0	كانت الهزة الأرضية خفيفة جداً فلم تحدث أضراراً تذكر.
الرملة		0	0	0	0	شعر سكان الرملة بهزةٍ أرضيةٍ خفيفة.
المجموع		**721**	**1130**	**17**	**2643**	

[1]* **برقة:** تقع إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس على بعد (18) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (18486) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1688 نسمة. (الدباغ، بلادنا،ق2، ج2، ص414-416. شراب، معجم، ص151).

***تل:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (7) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (13776) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 567 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص350-351. شراب، معجم، ص228).

***جيت:** تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة نابلس على بعد (12) كم منها، وبلغت مساحة أراضيها (6461) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 285 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2،ج2، ص354-355. شراب، معجم، ص284).

[*] **جبع:** تقع في منتصف الطريق ما بين مدينتيّ نابلس وجنين، وبلغت مساحة أراضيها (24620) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 1372 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج3، ص134-135. شراب، معجم، ص245).

* **طوباس:** تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة نابلس على بعد (20) كم منها، بلغت مساحة أراضيها (31312) دونماً، وبلغ عدد سكانها عام (1341هـ/1922م) 3449 نسمة. (الدباغ، بلادنا، ق2، ج2، ص443-445. شراب، معجم، ص504).

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

NATURAL DISASTERS AND EPIDEMICS AND THEIR IMPACT ON PALESTINE (1247-1336AH/1831-1918AD)

By
Ammar Ahmad Ali Ramadan

Supervisor
Dr. Mohammad Alkhateeb

This Thesis is submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2023

NATURAL DISASTERS AND EPIDEMICS AND THEIR IMPACT ON PALESTINE (1247-1336AH/1831-1918AD)

By
Ammar Ahmad Ali Ramadan
Supervisor
Dr. Mohammad Alkhateeb

Abstract

This study highlights natural disasters and epidemics and their impact on Palestine during the extended period (1831-1918AD/1247-1336AH). Most of its historical material was drawn from the blogs of historians who lived through most of its events, represented by historical books and travelers. In addition to its reliance on newspapers and magazines that were issued during the study period and some translated Arabic and foreign references related to the subject.

The study aims to identify the types of natural disasters that ravaged Palestine during the nineteenth and early twentieth centuries AD. And clarify the effects that resulted from it and the extent of its impact on various aspects of life. As the Levant region in general and Palestine, in particular, have witnessed the occurrence of various types of natural disasters such as earthquakes, torrential rains, floods rain storms, snow, drought, and sharp rise or fall in temperatures, in addition to the outbreak of epidemics and plagues.

Disasters contributed to human losses, instability of political conditions, the destruction of a large number of urban facilities, and the decline in economic conditions.

Keywords: Epidemics; impact on Palestine; natural disasters.